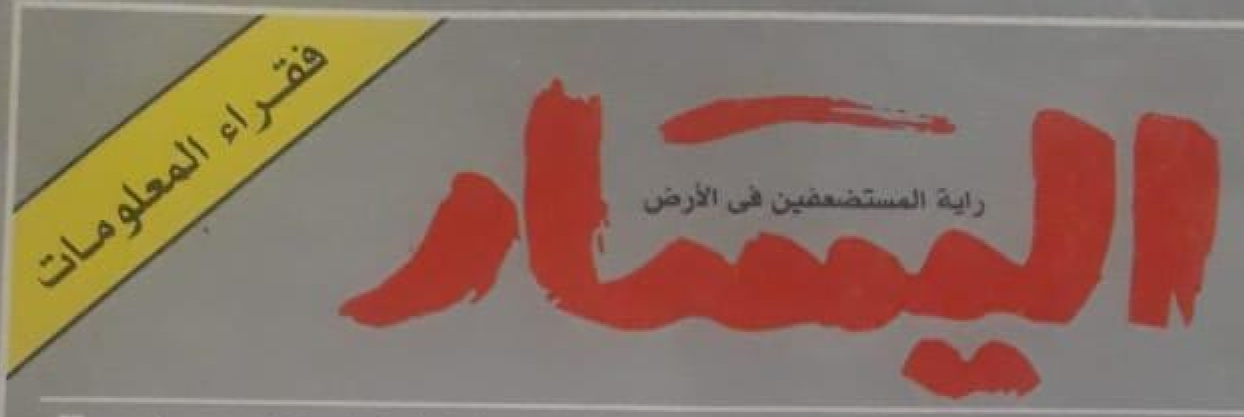


اليسار / العدد الرابع والتسعون / ديسمبر ١٩٩٧ م / شعبان ١٤١٨ هـ / جنيهان مصريان

أصل رجل الأعمال اللى إشترى المصنع ..
ناوى يهده و يعمل مكانه جنينة حيوانات !

الحكومة تسمم الشعب

حوار حول جيل السبعينيات والأحزاب

هل يسقط (نيتانياهو) بضغط داخلى ؟

بغداد .. والولايات المتحدة

فرنسا تعيد تعريف (العمل)

عشرون عاما على مبادرة السادات

مذبحة الإقصر .. وهل تمضى مصر فى طريق الجزائر ؟!

في هذا العــدد

رئيس التحرير

حسين عبد الرازق

المستشارون

ابراهيم بدراوي

أحمد نبيل الهلالي

د. خليل حسن خليل

د. رفعت السعيد

صلاح عيسى

عادل غنيم

عبد الغفار شكر

عبد الغني أبو العينين

محمد وفاء حجازي

محمود أمين العالم

شارك في التأسيس:

د. فؤاد مرسي

اليسار : منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR1KARIM
EL DAWLASTTALAAT
HARB SQ
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة

مصر : ٢٤ جنيها للأفراد و٦٠ جنيها للهيئات

الوطن العربي : ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.

العالم : ١٠٠ دولار أمريكي أو مايعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفي أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت : ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨

FAX : 5786298

موقفنــــا

قبـــل أن يفـــوت الوقـــت ..

ضـرورة المواجهـــة الشـــاملة للإرهـــاب.

أسفر المشهد الدامى الذى ارتكبه مايسمى بـ « **كتائب الدمار والخراب** » التابعة للجماعة الاسلامية ، ضد السياح الأجانب فى منطقة الدير البحرى فى البر الغربى لنهر النيل فى الأقصر عن .. **(٥٨) قتيلا** من السياح السويسريين والألمان واليابانيين ، و**٤ قتلى** من المصريين ، ومقتل الارهابيين الستة الذين مارسوا - بالاضافة للقتل بدم بارد - تمزيق أجساد الضحايا بالسلاح الأبيض . **وإصابة ٢٤** من السياح والمصريين .. و**٤٠٠ طلقة** فارغة من النوع الحارق والخارق للدروع ، وأسلحة بيضاء ملوثة بدماء الضحايا .. والإطاحة بوزير الداخلية " **اللواء حسن الألفى** » وعدد من كبار معاونيه فى وزارة الداخلية .. وإصابة صناعة السياحة المصرية فى مقتل.

ورغم فظاعة ووحشية ماجرى ، فان تداعيات هذه الجريمة تتجاوز بكثير الحدث ذاته .. بدءا من أهمية معرفة أهداف الجريمة تحديدا ودوافعها الحقيقية والقوى التى تقف وراءها ، وصولا إلى آثارها المباشرة على الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى مصر ، والسياسات المطلوبة لمواجهة ظاهرة العنف عامة ، وبصفة خاصة تصاعد عنف الجماعات الارهابية المتسترة بالدين.

وقراءة سريعة لهذا الحدث الجلل ، تشير **بوضوح إلى أن هدف الذين خططوا لهذه العملية ونفذوها ، إشاعة الفوضى وعدم الاستقرار فى الوطن** ، وافقاد الرأى العام **المصرى الثقة فى جهاز الشرطة كجهاز مهمته توفير الأمن الداخلى للمواطنين ، وإضعاف هيبة الدولة والسلطة الحاكمة فى أعين المواطنين والحكومات الأجنبية ؛ ومحاولة وقف السياحة الأجنبية ، ومن ثم ضرب الاقتصاد المصرى ضربة مباشرة** ، حيث تمثل السياحة أحد المصادر " الأربعة الكبار" للدخل والعملة الأجنبية لمصر (البترول - قناة السويس - تحويلات المصريين فى الخارج - السياحة) .

ولاشك أن هذه العملية الإجرامية قد حققت الكثير من أهدافها ، خاصة بالنسبة **للسياحة والاقتصاد المصرى** . فقد ألغت الشركات السياحية فى بريطانيا وألمانيا واليابان عروضها السياحية لمصر بشكل كامل أو جزئى (حتى نهاية العام على الأقل) . وحذرت بريطانيا وألمانيا مواطنيها من زيارة مصر بهدف السياحة . وأعادت بعض الشركات (البريطانية خاصة) الأفواج السياحية الموجودة فى مصر بطائرات خاصة . وسيطر الشلل التام على مدينة الأقصر بعد إلغاء ٨٠٪ من الأفواج السياحية المتجهة إليها ، ومايعنيه ذلك من مشاكل بطالة جديدة ، ومشاكل للفنادق والمنشآت السياحية نتيجة عجزها المؤكد عن تسديد ديونها بعد انهيار الموسم السياحى.

وكانت السياحة فى مصر قد استعادت حيويتها خلال موسم ١٩٩٦ /١٩٩٧ ، ووصل عدد السياح لأول مرة فى حقبة التسعينيات إلى ٤ مليون سائح ، أضافوا لمصر دخلا يقدر بـ ٣ر٤ مليار دولار . **وتأتى جريمة الأقصر - بعد حادثة ميدان التحرير فى سبتمبر الماضى والتى ترتب عليها انخفاض السياحة الألمانية مثلا خلال شهر أكتوبر بنسبة ٣٩٪ مقارنة بنفس الشهر فى العام الماضى - ليقضى على السياحة هذا الموسم على الأقل ، ولتفقد مصر - طبقا لتقديرات رسمية - مليار دولار على الأقل .**

وهناك تخوف من أن يمتد هذا التأثير إلى تدفق الاستثمارات الأجنبية لمصر والتى يراهن الحكم عليها بصورة أساسية فى خطط التنمية . ويقدر اتحاد غرف التجارة والصناعة الألمانية فى بون أن استمرار الاعتداءات الارهابية على السياح فى مصر " قد يؤدى إلى تراجع الاستثمارات الألمانية والأجنبية".

ولاشك أيضا أن مخططى هذه المذبحة اختاروا بعناية هدفهم من حيث الموقع والتوقيت ، مما جعل كثيرين يرجحون وجود قوى خارجية (إسرائيلية أمريكية) تحرك هذه الجماعات والأدوات الجاهلة التى تنفذ هذه الجرائم ، سواء كانت واعية أم جاهلة بهذه القوى التى تستخدمها.

فالجريمة وقعت فى " الأقصر" أهم منطقة سياحية فى مصر والعالم ، فهى تختزن ثلث آثار العالم كله . وقد ظلت بعيدة تماما عن مجال عنف وإجرام هذه الجماعات حتى وقوع هذه المذبحة.

واختار المخططون بداية موسم السياحة الشتوى فى مصر ، وهو أهم المواسم السياحية على الإطلاق ، وعقب حملة سياحية ودعائية عالمية صاحبت إقامة أوبرا عايدة فى نفس الموقع(الدير البحرى) ، وفى نفس يوم إنعقاد بورصة السياحة العالمية فى لندن ، وتركيز مصر عليها لزيادة السياحة الأوروبية إليها.

ومن الناحية السياسية ، فقد وقعت الجريمة فى ظل ممارسات للسياسة العربية لمصر وجدت صدى إيجابيا لدى الشعب المصرى ، وعدم رضا إسرائيلى أمريكى ، مثل مقاطعة الحكومة المصرية للمؤتمر الاقتصادى الثالث للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (الدوحة) ، والمساندة المصرية للموقف الفلسطينى والسورى واللبنانى فى عملية التسوية السياسية مع إسرائيل ، وإعلانها عدم موافقتها على أى عملية عسكرية ضد العراق ، ومساندتها لليبيا فى رفضها للحصار..

وقد ربطت كثير من التحليلات بين الجريمة والخلافات المصرية الأمريكية (الإسرائيلية) ، وأشاروا إلى الامتدادات الخارجية للجماعة . وقال اللواء **حسن أبو باشا وزير الداخلية ورئيس مباحث أمن الدولة الأسبق " المجموعة التى قامت بالعملية لايمكن أن تختار المكان والمدى بهذا الاتساع من تلقاء نفسها . أتصور أن هناك خطا خارجيا يوجه مثل هذه العمليات بجميع احتمالاته ..".**

وإذا تركنا هذا الجانب الذى تختلف حوله الآراء والاجتهادات فى ظل غياب أى دليل مادى على دور القوى الخارجية ، فان

حسين عبد الرازق


حسني مبارك


حسن الألفي


حبيب العادلي

النتائج السياسية لهذه الجريمة عديدة وواضحة وعليها أكثر من دليل.

* لقد أسقطت هذه الحادثة الدموية ماكانت تردده أجهزة الأمن ، والحكم عامة ، من انتهاء خطر الارهاب ونجاح الأمن في تدمير هذه الجماعات وبنيتها الأساسية والتنظيمية ، وأن مايقع من أحداث متفرقة ترتكبها " بقايا متطرفين وبؤر محدودة وفلول وأطلال تطرف ". **فأي مراجعة لهذا الحادث وماسبقه خلال هذا العام والأشهر القليلة الماضية ، تؤكد أن هناك تنظيما ما (قديم أو جديد) يخطط ، وبعيد عن أعين الأمن ، ويعمل بصورة منظمة وله اتصالاته المستمرة والعديدة .**

فمنذ بداية هذا العام وحتى ١٧ نوفمبر (قبل جريمة الأقصر) بلغ عدد القتلى نتيجة للعمليات الارهابية (١٢٧) من بينهم **٤٧ من الشرطة و٢٢** من عناصر الجماعات **و٤٩** من المواطنين و**٩** من السياح .

وفي الأشهر الثلاثة الماضية فقط توالت العمليات الاجرامية لهذه الجماعات . حادث الأتوبيس السياحي في ميدان التحرير (سبتمبر) ، ١٤ مواطنا في أبو قرقاص بالمنيا (سبتمبر) ، مقتل ٩ من رجال الشرطة ومواطنين بملوي وأبو قرقاص (أكتوبر) ، مقتل ضابط وشرطيين في محطة سكك حديد نجع حمادي بقنا (نوفمبر) ، مقتل ٣ من أفراد الشرطة و٣ مواطنين بطما سوهاج (نوفمبر).

* **كشفت العمليات عن أن هذه الجماعات مازالت قادرة على تجنيد عناصر جديدة .. وهذا يعني أنهم ليسوا هاربين وفارين إلى الجبال أو مختفين في الزراعات ، بل قريبون من الأهالي وينشطون في المناطق الآهلة.**

وفي نفس الوقت يتأكد أن هذه المجموعات الارهابية تفقد علاقتها شيئا فشيئا بالفكرية التي انطلقت على أساسها وبالمشروع السياسي للحكم وفرض رؤيتهم " الدينية" على المجتمع ، وتتحول إلى عصابات مسلحة تمارس العنف والثأر والقتل ، دون أي أفق سياسي حقيقي.

* لم يعد هناك شك في وجود تقصير وضعف وإهمال في المواجهة الأمنية للارهاب ، رغم ضخامة الميزانيات المخصصة لجهاز الشرطة والامكانيات الضخمة المتوفرة لها من الأجهزة والسلاح والحملات الميكانيكية ، بل وإطلاق يد الشرطة في ظل حالة الطوارئ المستمرة منذ ٦ أكتوبر ١٩٨١ (أكثر من ١٦ عاما) لتعتقل من تريد (**تقدر المنظمة المصرية لحقوق الانسان عدد المعتقلين بحوالي ١٧ ألف**) ، وتمارس التعذيب في السجون والمعتقلات وأقسام الشرطة ومباحث أمن الدولة ومعسكرات الأمن المركزي ، وتمارس القتل خارج القانون ، وتقدم من تريد إلى المحاكم العسكرية.

وربما يعود هذا الفشل إلى هذه السلطة المطلقة بلا رقيب أو حسيب ، بحيث أهمل الجهاز والعاملين فيه ، الأساليب الصحيحة والعلمية للتحري وجمع المعلومات وتحليلها واختراق المنظمات الارهابية ، اعتمادا على العنف واستخلاص الاعترافات (صحيحة أو كاذبة) ، والتخلص من الذين لايعترفون.

لقد ألقت جريمة الأقصر بأضواء جديدة على أزمة السياسة الأمنية في مصر ، واختلال القيم والمعايير والأولويات.

فالحراسة على هذا الصرح السياحي الضخم والأثر التاريخي العظيم لم تتجاوز مجنداً ومساعداً ليس معهما طلقة ذخيرة واحدة . واستمرت المذبحة ٤٥ دقيقة كاملة دون أي وجود للأمن. ووصلت أول قوة أمنية (ضابط و٤ جنود) بعد ٩٩ دقيقة . واضطر الضابط لمتابعة القتلة الهاربين إلى استعارة سيارة تاكسي " لتعطل سيارة الشرطة"!

وتبدو المقارنة بين اهتمام الأمن بالجماعات الارهابية واهتمامه بالنشاط السياسي السلمي مثيرة للفزع ، رغم وجود جيوش من القوات الخاصة لمواجهة الارهاب.

ففي الوقت الذي خلت الساحة تماما في الأقصر من أي وجود أمني ، كانت هناك عشرات من سيارات الأمن المركزي والقوات الخاصة ومباحث أمن الدولة حول الجامعات المصرية بسبب إجراء انتخابات الاتحادات الطلابية!!

وعند عقد أي مؤتمر أو ندوة يحضرها مائة أو مائتان من المهتمين بقضايا الوطن في الأحزاب أو النقابات تتحول الشوارع المحيطة بمقر الحزب أو النقابة إلى ثكنة عسكرية . والذين مروا في منطقة طلعت حرب يوم ٣٠ أبريل الماضي وفاجأهم حشد قوات الأمن المركزي وفرق الكاراتيه وفرق الأمن السياسي التي ملأت شوارع طلعت حرب وقصر النيل وشمبليون ومحمود بسيوني ، لم يصدقوا أن كل هذه القوات شاكية السلاح وعلى رأسها عدد كبير من اللواءات والعمداء ، تجمعت كلها لوجود **مؤتمر للفلاحين في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي!!**

وهل ينكر أحد أن وزارة الداخلية بكافة أجهزتها ظلت طوال أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر مشغولة بالزام المستأجرين بالتوقيع على عقود جديدة مع ملاك الأرض تنفيذا لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر في الأرض الذي فرضته الحكومة لصالح الملاك واستجابة لشروط صندوق النقد الدولي ، بحيث تراجعت المهام الأخرى تماما ، بما فيها التصدي للارهاب ، بعد أن أقنعوا أنفسهم أن هبوط موجة الارهاب لبعض الوقت تعني أنه قد تم القضاء عليه .

وانشغلت قيادات أمنية عديدة بتكديس الثروات باستغلال مواقعها التنفيذية كجزء من الظاهرة المتمثلة في استغلال المرتع السياسي أو التنفيذي للتحول إلى طبقة الأغنياء.

ورغم هذا القصور والخلل الأمني الواضح ، فالمسئولية في النهاية لاتقع على جهاز الشرطة وحده . بل لعل المسئولية الأكبر مسئولية سياسية . فالحكم تعامل مع ظاهرة الارهاب باعتبارها مجرد ظاهرة جنائية، ومن ثم فمسئولية الشرطة أن تتصدى لها وحدها ، وتقضي عليها - دون التزام بقانون أو دستور

أو احترام للحريات العامة وحقوق الانسان - والأهم دون أى جهد من الحكم للتصدى لأسباب هذه الظاهرة والعوامل الحقيقية التى أدت إلى صعودها وعنفها . وإمداد دعاتها بجيوش من المواطنين البسطاء المستعدين للموت بلا ثمن.

فالحكم لم يتوقف أبدا ليتساءل ويدرس أسباب تصاعد ظاهرة التيارات المسماة بالتيارات الجهادية أو الراديكالية " الاسلامية" التى تكفر المجتمع وتعتبره مجتمعا جاهليا وتدعو إلى تغييره بالعنف والقوة . فهذه الأفكار موجودة دائما وهناك من يتبناها ويدعو لها فى مصر وخارج مصر . ولكن تحولها من مجرد أفكار تعتنقها قلة . إلى تيار قادر على الحركة والفعل وممارسة القتل والارهاب ، يرتبط بأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية .

وهناك شبه اتفاق بين كافة الباحثين والدارسين لهذه الظاهرة والأحزاب السياسية الديمقراطية - والتجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى طليعتها - أن الأزمة الاقتصادية وخاصة الفقر (٤٨٪ من سكان مصر تحت خط الفقر) والبطالة (مابين ٥ر٢ و٣ مليون عاطل عن العمل) والفروق الطبقية الهائلة بين قلة مترفة من المليارديرات والمليونيرات ، وكثرة غالبة من الفقراء الذين يعانون شظف العيش ، والمدن العشوائية ، وشيوع الفساد . وغياب الديمقراطية واستحالة الحلم بتداول ديمقراطى للسلطة فى ظل تزوير الانتخابات والاستفتاءات ، وحالة الطوارئ المشرعة منذ مايزيد عن ١٦ عاما . وممارسة التعذيب بصورة منهجية وممارسة الدولة للعنف ضد المواطنين ، وحصار النقابات ومنظمات حقوق الانسان والعمل الأهلى ، واحتكار الاذاعة والتليفزيون والصحافة .. وإشاعة ثقافة الخرافة ، والتدين الخليجى الكاذب ، والأفكار الظلامية ، ومحاربة العقل والاجتهاد والعلم .. كل هذه عوامل أساسية مكنت لهذا الفكر الظلامى المعادى للانسانية وللدين من الانتشار والشيوع . خاصة بين الشباب اليائس المحبط فى المناطق العشوائية وصعيد مصر .

وأخشى أن الحكم لم يستوعب الدرس بعد . صحيح أنه اعترف وبمبادرة من رئيس الجمهورية بوجود أخطاء ونواقص أمنية وأقال وزير الداخلية وعدداً من كبار معاونيه ، واختار وزيراً جديداً للداخلية . بل وقرر اشتراك القوات المسلحة فى حماية الأماكن السياحية .. ولكن هل يمثل ذلك حلا حقيقيا للأزمة ؟!

لقد شهدت مصر فى ظل حكم الرئيس مبارك تغييرات متوالية فى وزراء الداخلية بحيث وصل عدد من تولوا هذا الموقع حتى الآن سبعة . (**النبوى اسماعيل - حسن أبو باشا - أحمد رشدى - زكى بدر - عبد الحليم موسى - حسن الألفى - حبيب العادلى**) وثلاثة منهم ينتمون أصلا إلى جهاز مباحث أمن الدولة(حسن أبو باشا - أحمد رشدى - حبيب العادلى) ، ومع ذلك لم ينجح أى منهم فى حصار هذه الظاهرة .

فالمعالجة فى كل مرة ظلت جزئية وقاصرة . فلم تجر مراجعة حقيقية لممارسات الشرطة وماتمارسه من عنف خارج القانون وبالمخالفة له . والذى ثبت فشله وآثاره السلبية على الأمن والوطن . ولم توضع المواجهة الأمنية - الضرورية - فى إطارها الصحيح كجزء من مواجهة شاملة تقوم على إطلاق الحريات الديمقراطية وفتح الباب أمام التطور السلمى وضمان حقوق الانسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . وفتح الباب أمام كافة التيارات والاتجاهات والاجتهادات الديمقراطية العقلانية لتعبر عن نفسها من خلال الاذاعة والتليفزيون ، وتتصدى بايجابية وفعالية لهذا الفكر الظلامى وتحد من أثره على المواطنين .. وكذلك التصدى بسياسات اقتصادية واجتماعية صحيحة للأزمة التى يعيشها المجتمع ومعالجة الفقر والبطالة والعشوائيات والفساد والفروق الطبقية الهائلة بين أغنياء هذه الرأسمالية المتوحشة وفقرائها.

والوقت لم يفت بعد لمواجهة حقيقية وشاملة للأزمة.

وقد يكون من الضرورى عقد " مؤتمر" محدود العدد يحضره رئيس الجمهورية وعدد من الوزراء (من بينهم وزير الداخلية والإعلام والشئون الاجتماعية والاقتصادية) وممثلين للأحزاب السياسية الرئيسية ليناقش الاتفاق على برنامج عمل شامل لمواجهة الارهاب والعنف بكافة جوانبه ، تقوم الحكومة بتنفيذه بالتعاون مع الأحزاب والنقابات والمنظمات الديمقراطية . ولتكن ورقة عمله الأساسية تقرير قديم صادر عن مجلس الشورى منذ سنوات وألقى به فى الأدراج منذ ذلك الحين.

هوامش على دفتر الحياة

هل تمضي مصر في طريق الجزائر



واحدة من ضحايا مذبحة سيدى الكبير (الجزائر) العام الماضي

د. عبد العظيم أنيس

بعد المجزرة التي وقعت في **وادي الملوك بالأقصر** يوم ١٧ نوفمبر الماضي، أعتقد أن هذا السؤال بات مشروعاً، فقد عشنا زمنا طويلا نصدق ما تقوله أجهزة الأمن المصرية من أن العمليات الارهابية المسلحة كادت أن تنتهي وأنه لم يبق غير جيوب صغيرة في طريقها هي الاخرى للتصفية. بل ان الكثيرين منا صدقوا -عندما وقع **حادث ميدان التحرير**- أن الشقيقين اللذين نفذا العملية ليس لهما شركاء، كما أكدت أجهزة الأمن. وبدا أن الحكومة تريد أن تعطينا، وتعطي العالم، الانطباع بأنه حادث فردي ليس من صنع الارهابيين، خوفا بالطبع على النشاط السياحي الذي هو عنصر أساسي من الاقتصاد الوطني في شكله الجديد.

لكن حادث وادي الملوك- فوق أنه يضرب الموسم السياحي ضربة قاصمة -يجعلنا من جديد نتشكك فيما قالته الحكومة عن قضائها على الارهاب، ونتشكك من جديد في أن حادث ميدان التحرير ليس من صنع الارهابيين، وهو يبين بوضوح أن الجماعة الاسلامية تمارس حرب العصابات في الصعيد مع قوات الحكومة. وتنفيذها مثل هذه العمليات الكبيرة بعد حادث ميدان التحرير، وحادث الهجوم على قطار الصعيد في محطة نجع حمادي، وحادث طما بسوهاج يشير إلي أنه **تتوفر لهذه الجماعات إمكانيات ليست صغيرة من ناحية السلاح والبشر.**

وبالطبع يساعدها في نشاطها الارهابي هذا طبيعة الأرض في أقاصي الصعيد، وضعف يد الدولة في تلك الأماكن المترامية النائية، والموقف السلبي للناس- في معظمهم- من هذا الذي يجري لفقدان الثقة في الحكومة وما تقوله. كما يساعدها انتشار الفساد في أجهزة الخدمة العامة الحكومية الأمر الذي يتيح لهذه الجماعات شراء الكثير بالمال.

وفي كل أعمالها تعتمد هذه الجماعات على عنصر المفاجأة للخصم والضرب ثم الهرب بسرعة، ربما في أماكن غير متوقعة. فمرة في ميدان التحرير في قلب القاهرة، وعلى بعد خطوات من وزارة الداخلية، ومرة في نجع حمادي، أو في ساحل طما بسوهاج. وأخيرا هذه العملية الجريئة في وادي الملوك بالأقصر.

والحكومة اليوم لا تستطيع أن تدعي أن الأحوال مستقرة في مصر، هذا الاستقرار الذي هو عنصر أساسي في إقبال الاستثمارات الأجنبية كما كانت تؤمل وفوق هذا فقد **أخفقت الحكومة زمنا طويلا في إدراك أن هذا الارهاب له جذوره الاجتماعية المتمثلة في البطالة الواسعة النطاق، وفي الفقر المدقع الذي تتميز به أجزاء واسعة من سكان الصعيد،** وفي تدهور الخدمات العامة تدهوراً **غير مسبوق يذكرنا بأحوال الصعيد أيام الملكية قبل ثورة يوليو، في التعليم والمستشفيات وانتزاع الأرض من الفقراء.**

أليس من المهازل أن ضحايا السيول في العام الماضي ما زالوا يعيشون في الخيام حتى الآن.

وعندما نتأمل حالة العديد من هؤلاء الشباب الذين انخرطوا في عمليات الارهاب نجد أنهم في معظمهم خريجو مدارس فنية صناعية أو زراعية تقطعت بهم السبل فلم يجدوا عملا بعد التخرج، أو أنهم تلاميذ مدارس ثانوية ولم يستطيعوا أن يكملوا تعليمهم، وبعضهم قد تسرب، ولم يكمل التعليم الاعدادي لظروف عائلية صعبة، وكان من السهل في تلك الظروف الصعبة أن يقعوا فريسة سهلة لقيادات دينية متطرفة، وفرت لهم المال وجعلتهم يتوهمون أنهم يؤدون رسالة تستحق التضحية بالروح.

والحل؟

أخشى أن تمضي الأوضاع من سيئ إلى أسوأ في طريق الجزائر ما لم تعدل الحكومة عن تنفيذ سياسات صندوق النقد الدولي، من ضغط الانفاق وقبول البطالة الواسعة النطاق، والمضي في طريق الاحكام العرفية المفروضة على هذا الشعب منذ ستة عشر عاما..

والتحول بديمقراطية حقيقية ، أي الاعتماد على برلمان منتخب انتخابا حرا حقا وليس مطعونا في صحة غالبية أعضائه من قبل محكمة النقض كما هو الحال اليوم.

لا حل في رأيي إلا ببناء **تحالف وطني واسع النطاق يقوم على أسس ديمقراطية حقا وعلى مجلس نيابي غير مزيف وعلى مشاركة جماهيرية واسعة النطاق في العمل الوطني وفي الرقابة الشعبية.**

لاحل في رأيي إلا بالتخلي عن السياسة المفروضة علينا من قبل الاجانب .. البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، سياسة بيع القطاع العام، سياسة طرد العمال من المصانع وطرد المستأجرين للأرض من الأراضي التي يعيشون عليها والتي زرعوها سنين طويلة ، سياسة التضييق على الفقراء الذين هم غالبية هذا الشعب، سياسة القبول بأن يكون رجال الأعمال هم أصحاب الكلمة العليا.

ومن المؤكد أننا سنكون في هذا الحل في حاجة إلى نشاط رأسمالي واسع النطاق ، لكن في إطار قيود المصلحة العامة لهذا الشعب وعندما نتحدث عن المصلحة العامة له فإننا نعني في المحل الأول مصالح الفقراء والطبقة الوسطى.

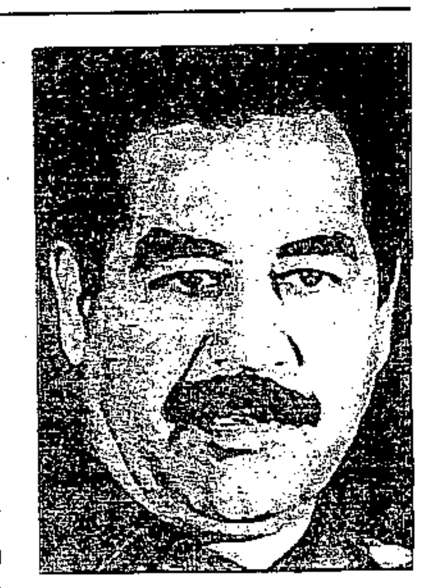
وبدون هذا فسوف تمضي الأمور في مصر من سيئ إلى أسوأ ولن ينفعنا كثيرا تهليل المنظمات المالية الدولية عن عظمة أحوالنا الاقتصادية وعن استقرار ليس موجوداً، وستستمر عزلة الحكومة عن الشعب وسوف تتسع، وسيصبح مستقبل مصر في مهب الريح، بينما تتربص بنا إسرائيل والحركة الصهيونية الدولية.

ولعل حادث وادي الملوك يكون دافعا للحكومة لإعادة التفكير فيما هي تمضي إليه والعدول عنه مهما كان هذا العدول صعبا ، فالرجوع إلى الحق فضيلة.



حسني مبارك
مطلوب تحالف وطني واسع

بغداد والولايات المتحدة



الأزمة الحالية بين بغداد والأمم المتحدة هي في حقيقة الأمر بين بغداد والولايات المتحدة التي تفرض هيمنتها على المنظمة الدولية وتسعى دائما لتسخيرها لخدمة سياستها الخارجية. **والمؤسف أن هذه المنظمة الدولية تتحول بالتدريج- في ظل مناخ دولي موات للولايات المتحدة خصوصا- في اتجاه الضعف وفقدان الثقة في استقلاليتها والخضوع للابتزاز الأمريكي** . أنظر مثلا إلى المذبحة التي قتل فيها الصرب سبعة آلاف مسلم في البوسنة والهرسك(في سبرنيتشا) عندما كانت تلك المنطقة معلنة رسميا كمنطقة آمنة في حماية قوات الأمم المتحدة . وانظر أيضا إلى وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة والتي كانت تشرف على معسكرات اللاجئين من الهوتو الروانديين . ومع ذلك فقد اتضح- باعتراف الصحافة الغربية- أن المجرمين الهاربين من الهوتو كانوا يدربون رجالهم داخل هذه المعسكرات ضد الحكومة الرواندية الشرعية أمام أعين رجال الأمم المتحدة .

بالطبع لا يعني هذا أن الأمم المتحدة أصبحت بالتمام والكمال أداة طيعة في يد واشنطن، والدليل على ذلك ما حدث من تباين في الرأي في مجلس الأمن مؤخراً حيث وقفت **روسيا وفرنسا والصين ومصر** ضد العدوان العسكري على العراق، فضلا عن القرارات السنوية التي تصدر عن الجمعية العامة بإدانة الحصار الأمريكي لكوبا، وإدانة السياسة الاسرائيلية ضد شعب فلسطين وآخرها قرار صدر بأغلبية ١٣٩ دولة وعارضته إسرائيل وأمريكا وجزيرة صغيرة نسيت اسمها ، ولو أن قرارات الجمعية العامة قيمتها رمزية فقط.

لكن يمكن للقارئ أن يدرك ما أعنيه إذا قارنا وضع الأمم المتحدة في الستينيات حيث الدور النشيط لدول المعسكر الاشتراكي ودول عدم الانحياز بقيادة ناصر وتيتو ونهرو بوضعها اليوم في عالم أحادي القطب كما يقولون.

ولعل أوضح دليل على ما أعنيه ليس فقط الاستعدادات العسكرية الأمريكية البريطانية التي تجري في الخليج ، وإنما أيضا تصريحات المسئولين الأمريكيين المليئة بالصفاقة والغطرسة .

انظر مثلا إلى تصريح الرئيس **كلينتون** أخيرا بأن العقوبات على العراق ستظل قائمة ما بقي صدام حسين في السلطة ،وتأمل كيف تكون الغطرسة الأمريكية في أبهى صورها .وكيف يكون الاستخفاف بميثاق المنظمة الدولية.

فمبلغ علمنا أنه لا يوجد في ميثاق الأمم المتحدة ولا في الباب السابع من هذا الميثاق نص يقول إنه ما دام صدام حسين في الحكم في العراق فلن ترفع العقوبات عن بغداد ، ومبلغ علمنا أنه لا يوجد في القانون الدولي شئ اسمه صدام!.

وأنظر أيضا إلى المقالات التي تنشر في الصحف الأمريكية- وبعضها قريب من وزارة

الخارجية الأمريكية والمخابرات الأمريكية مثل **الواشنطن بوست**- والتى تدعو جهارا نهارا إلى إنشاء «**حكومة عراقية**» فى المنفى تعترف بها دول الغرب والقيام بحملة دولية لمحاكمة صدام **حسين كمجرم** حرب وتعبئة كافة الأجهزة الأمريكية بما فيها المخابرات فى هذا الاتجاه.

وفى واشنطن لا يبدو - فى جو هذه الحمى الأمريكية- أن هناك الكثير من العقلاء الذين يدركون أن هذه **السياسات- سواء فيما يتعلق باسرائيل أو بغداد قد اكسبت أمريكا كراهية عميقة من الشعوب العربية ، وأن مصالح أمريكا فى المنطقة مهددة حقا بسبب هذه السياسات**. فما حدث فى«الخبر» فى السعودية العام الماضى وما حدث قبل ذلك فى بيروت من هجوم مدمر على قوات التحالف الغربى فى أوائل الثمانينات ومات فيه المئات من ضباط وجنود أمريكيين وفرنسيين ، بل ما يحدث اليوم فى الدوحة من مقاطعة للمؤتمر الاقتصادى من غالبية الدول العربية.. كل ذلك مفروض أن يكون علامات واضحة على موقف الشعوب العربية من أمريكا يدركه العقلاء فى واشنطن . ولكن أين هم؟. **أكتب هذه الكلمات يوم ١٧ نوفمبر ، وبالطبع لا أدرى إلى أين سوف تنتهى الأزمة بين العراق وواشنطن . ولكن فى هذه المرة أعتقد أن حكومة بغداد قد تصرفت بحكمة وحساب صحيح- على الاقل حتى اليوم** - وتصريحات صدام الاخيرة بأنه لا يسعى إلى مواجهة مع أمريكا ، وتصريحات **طارق عزيز** باستعداد العراق قبول خبراء أمريكيين شريطة أن تمثل فرق التفتيش الدول الخمس الكبرى فى مجلس الأمن بشكل متساو يضع واشنطن فى مأزق ويصب الماء البارد على حمى الحرب التى تحاول أمريكا إذكاءها ويوحى أن ثمة إمكانية للوصول إلى حل وسط. ولو صح هذا لخرجت بغداد منتصرة فى المعركة الدبلوماسية.

وأيا كانت النتيجة فالذى **لا شك فيه أن العالم كله- وليس واشنطن وحدها- يدرك أن الشعوب العربية تقف فى صف العراق وتتعاطف معه** ، وأنها لن تقف مكتوفة الأيدى إذا هوجم العراق ، كما أن الكثيرين يدركون الآن أنه بسبب المواقف الأمريكية المتعنتة فإن الشعب العراقى يزداد تأييداًلحكومته.. رغم كل ما حدث فى الماضى، وأن الفضل الأول فى هذه الحقيقة إنما يعود إلى السياسة الامريكية إزاء العراق.



د. حسين كامل بهاء الدين



د. مفيد شهاب

الجامعات الاستثمارية المصرية

أحسن الدكتور **مفيد شهاب** وزير التعليم عندما قفل أبواب **الجامعات الاجنبية** الاستثمارية بالضبة والمفتاح ، ونتمنى أن يظل ثابتاً فى موقفه الشجاع هذا مهما كانت الضغوط عليه .و إذا كان الدكتور **حسين كامل بهاء الدين** يقول إنه نبه وزارة الداخلية والرقابة الادارية مرارا إلى مهزلة ما يسمى **بجامعة سيتى** .(وهى فرع لجامعة من الدرجة العاشرة فى الولايات المتحدة) ،**فسيظل للدكتور مفيد شهاب فضل اتخاذ القرار التنفيذى الحاسم فى هذا الشأن.**

على أن الموضوع الذى يهمنا بعد ذلك هو حالة الجامعات **الاستثمارية** المصرية التى وافقت عليها الحكومة ،وهى فى الحقيقة جامعات ليست لديها استعدادات كافية لما يجب أن تكون عليه أية جامعة حقيقية ، وطلابها أسوأ عليها بمراحل من الطلاب العاديين فى الجامعات الحكومية ، ومعظهم لا يصلحون للتعليم الجامعى من قريب أو بعيد. **ولقد أنشأت هذه الجامعات لا لسبب إلا لأن أولياء أمور الطلاب من ذوى النفوذ والسلطان والمال فى البلاد ، ولا يستطيعون تصور أبنائهم دون تعليم جامعى أو بمعنى أصح دون شهادة جامعية يشتريها الواحد منهم بفلوسه.**

ولقد رفعت **نقابة الاطباء** قضية ضد **التعليم الطبى** فى هذه الجامعات فى المحاكم المصرية، فى قضية مشهورة ،وحكمت محكمة القضاء الادارى بوقف التعليم الطبى فى تلك الجامعات **ولم ينفذ الحكم حتى اليوم**.كما رفعت **نقابة الصيادلة** قضية أخرى مؤخراً تطالب بوقف تعليم الصيدلة فى تلك الجامعات ما دامت لاتوجد استعدادات علمية ملائمة لتعليم الصيدلة، ولا شك أنها ستنجح فى استصدار قرار من المحكمة مماثل للقرار الذى صدر لصالح نقابة الأطباء ، ولن ينفذ كالقرار الأول.

وأود أن أضيف إلى ذلك أننى تحدثت مؤخراً مع عدد من الاساتذة الجامعيين الذين أعيروا من جامعتى عين شمس و القاهرة- لهذه الجامعات الاستثمارية والتى يملكها ويديرها أناس لم نكن لهم يوما ما علاقة بالتعليم الجامعى ،فوجدتهم **ساخطين على حالة هذه الجامعات** وعلى مستوى الطلاب الذين **حصل العديدون منهم على الثانوية بنحو ٥٠٪**. وهم يقولون إن هذه الجامعات الاستثمارية تشبه المدارس الثانوية . وأن الطلاب لا يعرفون شيئا لا فى مواد المرحلة الثانوية ولا فى اللغة الانجليزية الذين يدرسون بها. وباستثناء أن هؤلاء الاساتذة تصرف لهم شهريا مرتبات تعادل ثلاثة أمثال ما كانوا يصرفونه فى جامعتهم الاصلية ، فإنه لايوجد فى هذه الجامعات الاستثمارية ما يدعو إلى

البهجة أو الراحة النفسية كما يقولون.

وقلت لبعض هؤلاء الأساتذة : أنتم مفروض أن تستحدثوا في جامعاتكم الاستشارية تخصصات جديدة(كعلوم الروائة وأبحاث الكومبيوتر) كما أدعى أصحاب هذه الجامعات ،وأصدقاؤهم في النظام ، وأن تقودوا البحث العلمي في مصر إلى آفاق جديدة تعجز عنها جامعات الدولة.

ولم أكد أكمل جملتي هذه حتى انفجروا ضاحكين، وهو ضحك السخرية والاستهزاء بهذا الذي يقوله مسئولو الدولة ورجال الأعمال. وقال واحد منهم : في المشمش إن شاء الله!.

كل هذا يوضح حقيقة الحال الذي وصل إليه المجتمع المصري. فعلى خلاف ما تصوره صحف الحكومة وخطب المسئولين ، ورغم أنف ما يقوله صندوق النقد الدولي ، فإن العديدين من المثقفين يرون أن حالة المجتمع المصري تزداد سوءا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن **المسئولين بدأوا يعودون إلى السياسة الساداتية والتصريحات الساداتية بأن الرخاء قادم، وقريب ،ويرسمون صورا وردية زائفة على الورق ، بينما يغرق المجتمع في حمأة الفقر والمرض، وأن سياسة الانفتاح -السداح المداح كما قال أحمد بهاء الدين- قد أصابت صواميل هذا البلد بالتفكك بحيث يتمزق نسيج الوحدة الوطنية شيئا فشيئا ، وتصبح الكلمة العليا لمن يملك المال بصرف النظر عن مصالح هذا الوطن.**

وهذا الذي حدث من إنشاء لهذه الجامعات الاستشارية ، ومن بعدها فروع الجامعات الاجنبية ذات السمعة العلمية المتدنية ، دليل على هذا الذي نقوله هنا. واتجاه المسئولين في مصر للموافقة على هذا العمل لا يعبر عن تقدير صحيح لمصالح هذا الوطن ومستقبله. وإنما يعبر عن رغبة عارمة لإرضاء كبار أصحاب الاعمال الذين استلموا تقاليد الأمور في هذا البلد في حقيقة الأمر.

ولا يخامرني أي شك في أن بعض هذه **الجامعات سوف تفلس كما أفلست شركات توظيف الأموال من قبل** . لأنها قامت على غير أساس ، وعندئذ ستكون الدولة مطالبة بأن تبحث عن حل لطلاب هذه الجامعات. وسيكون الحل هو ضمهم إلى جامعات الدولة بصرف النظر عما إذا كان مستواهم العلمي مناسبا لذلك أم لا، وبصرف النظر عن أن جامعات الدولة متخمة بالطلاب، وتستوعب كل عام أكثر من طاقتها بكثير، وبصرف النظر عن أن الدولة لا تريد أن تبحث عن حل لهذه التخمة. لأن الحل الحقيقي- وهو تقسيم الجامعة الكبيرة إلى عدة جامعات أصغر- يحتاج إلى مال ضخم، والحكومة ملتزمة أمام أسيادنا في صندوق النقد الدولي بتخفيض الإنفاق.

سعد الدين وهبه وداعا



فقدت مصر والعالم العربي مناضلا وطنيا ،وكاتبا مسرحيا مرموقاً هو **سعد الدين وهبه**،وقد رحل عنا ومصر في أشد الحاجة إليه في ظل اشتداد معركتنا ضد الصهيونية واسرائيل وعملائهما في العالم العربي.

ولقد أصبح **سعد وهبه** في السنوات الأخيرة رمزا وطنيا وقوميا لهذا النضال ، وأحبه الناس بأفعاله وحديثه في التلفزيون والصحافة . **في كل الأماكن التي كنت فيها مع سعد الدين وهبه لاحظت كما لاحظ الكثيرون الشعبية التي يتمتع بها لدى الناس** . ولا أعني بهذا فقط كتاباته في الصحف ومواقفه في اتحاد الكتاب ومهرجان السينما، وإنما أعني أيضا مواقفه من **عصبة كوبنهاجن** ،وبعض هذه المواقف شاهدتها عن قرب لأنني كنت أحد المشاركين فيها.

ولقد عرفت **سعد الدين وهبه** عن قرب لأول مرة في نوفمبر عام ١٩٦٧ . عندما صدر قرار الرئيس **عبد الناصر** بتعييني رئيسا لمجلس إدارة دار الكاتب العربي للتأليف والنشر ،وتعيين **سعد الدين وهبه** رئيسا للدار القومية للتوزيع، وأدى هذا إلى لقاء أسبوعي آنذاك في مكتب وزير الثقافة الدكتور **ثروت عكاشه** كان يحضره **نجيب محفوظ ومحمود العالم وسهير القلماوي وسعد كامل وعبد المنعم الصاوي** وآخرون .كما كان من الضروري أن يجرى تعاون وثيق بيننا ، فقد كنت مسئولا عن إنتاج الكتاب المصري بينما كان هو مسئولا عن توزيعه في مصر والعالم العربي.

ومن خلال هذا الاتصال شبه اليومي لمست فيه تواضعه وطيبته وحماسه للعمل وللفكر الوطني ولعبد الناصر. كما لمست فيه ميله للفكاهة حتى في أصعب المواقف. ثم باعدت الايام بيننا بعد ذلك عندما تركت العمل في وزارة الثقافة وعدت إلى الجامعة. حتى **التقينا في السنوات الأخيرة في معارك النضال ضد الصهيونية واسرائيل وضد عصبة كوبنهاجن** ، وفي ندوات التلفزيونات العربية ، وفي اجتماعات عدة بعضها في جامعة عين شمس وبعضها الآخر في نقابة الصحفيين ، وتذاكرنا أيام زمان التي جمعتنا سويا وابتسمنا معا. واشتكى لي من ظروفه الصحية، وقلت له:

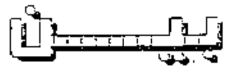
«الحقيقة يا **سعد** أننا كبرنا وشخنا» وضحكنا سويا.

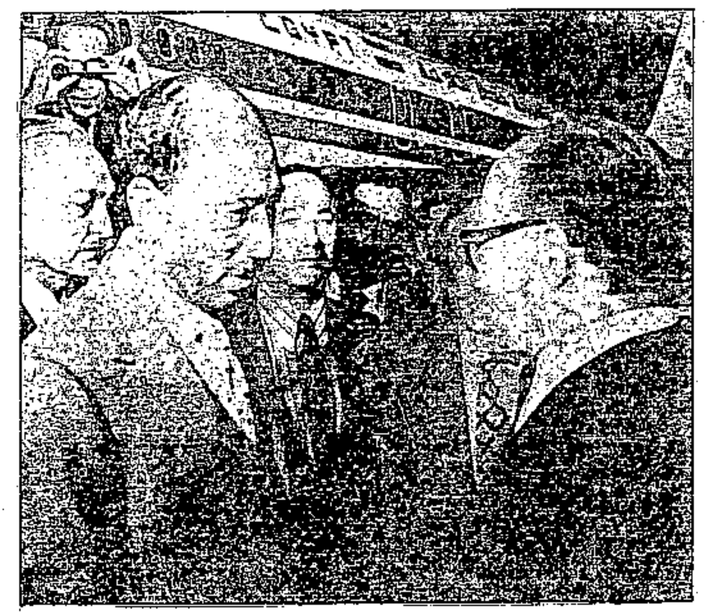
لكنى لم أتصور يومئذ أن رحيله سيكون سريعا هكذا.

إنه الفارس الوطني الذي لم يترجل قط في معاركنا ضد إسرائيل والصهيونية عزاؤنا للفنانة الكبيرة **سميحة أيوب** في مصابها الجلل ، الذي هو مصابنا جميعا.



الذكرى العشرون " لمبادرة " السادات





السادات وصديقه " بيجين "

سندان مقاطعة مؤتمر الدوحة ومطرقة الأزمة مع العراق

الأزمة بين العراق وأمريكا كانت في ذروتها .. كل التوقعات كانت تشير إلى حملة هجمات صاروخية وجوية وبحرية تشنها أمريكا على مجموعات من الأهداف العراقية العسكرية والصناعية . وليس فقط إلى ضربات متفرقة " تأديبية" كالتي سبق توجيهها إلى العراق بعد الحرب الأمريكية في الخليج عام ١٩٩١ .

في تلك الأثناء ، وفي حرارة وصلت إلى حد الالتهاب شاركت إسرائيل بالتحريض المستمر ضد " أسلحة التدمير الشامل" التي ينتجها العراق و" التي تهدد إسرائيل وتهدد القوات الأمريكية في الخليج والشرق الأوسط وتهدد كل أصدقاء إسرائيل " .

في تلك الأثناء أيضا كانت أزمة المواجهة السياسية بين أمريكا والغالبية الساحقة من الدول العربية بشأن مؤتمر الدوحة . وعندما أعلنت مصر قرارها بمقاطعة المؤتمر التزاما بما سبق أن أعلنته " إذا لم يحرز تقدم ملموس وحقيقي في عملية السلام يتم عن تغيير في طريقة حكومة إسرائيل في التعامل مع المشكلة " ، أخذت إسرائيل القرار المصري ذريعة تحريض أيضا ضد مصر وضد كل العرب الذين قاطعوا المؤتمر فاقت كثيرا رد الفعل الأمريكي إزاء هذه المقاطعة .

في جو التوتر العسكري والسياسي والدبلوماسي بين أمريكا والعرب لم يكن خافيا على أحد أن تحول المواقف العربية في معظمها بزاوية ١٨٠ درجة عما كانت عليه في عام ١٩٩١ ، سواء بالنسبة لأزمة العراق أو بالنسبة للمؤتمر الاقتصادي الشرق أوسطي عما كانت عليه إزاء المؤتمرات المماثلة السابقة. كان العامل الرئيسي هو التصدي للتطرف الإسرائيلي ممثلا في سياسات حكومة **بنيامين نتنياهو** والتخاذل الأمريكي ممثلا في عجز إدارة **كلينتون** عن ممارسة أي ضغط على إسرائيل بشأن عملية السلام ككل .. أو حتى بشأن المحادثات بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

في جو المواجهة والتوتر بين الولايات المتحدة وغالبية الدول العربية - وبالأخص مصر - وفي جو اختناق عملية السلام إلى حد أن الاختلاف على وصفها انحصر إلى اعتبارها قد ماتت بالفعل أو اعتبار أنها تحتضر - حانت الذكرى العشرون لمبادرة السادات .. زيارته لإسرائيل في نوفمبر عام ١٩٧٧.

من يمكن أن يتذكر السادات أو " المبادرة" أو السلام في مثل هذا الجو ؟

تذكرها ووضع برنامجا لتخليد ذكراها وذكراه " معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ". هذا المعهد هو الآن - وبعد نحو ١٥ سنة من تأسيسه - **مصنع الأفكار الأول لحساب إسرائيل في العاصمة الأمريكية - بل لقد أصبح خلال السنوات الخمس الأخيرة مصنع تخريج المسئولين لشغل أكثر المناصب حساسية وأهمية للسيطرة على سياسة أمريكا في الشرق الأوسط.**

مؤسسه وأول مدير تنفيذي له هو الآن مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأوسط ، أي المسئول الأول عن سياسة واشنطن في المنطقة "مارتن إنديك " الذي أصبح أول يهودي يشغل هذا المنصب . وقبل ذلك مباشرة كان أول يهودي تعينه الولايات



رسالة واشنطن

وقائع الندوة التي شكلت الاحتفال الوحيد للوبي الإسرائيلي في أمريكا بالذكرى الـ٢٠ لزيارة السادات للقدس المحتلة

خطان متوازيان في الندوة : تمجيد السادات ومهاجمة سياسة مبارك



د. عبد المنعم سعيد

المتحدة سفيرا لها لدى إسرائيل بعد أن كانت تحرص على أن لا يعين يهودي في هذا المنصب منذ تأسيس الدولة اليهودية.

إضافة إلى هذا فإن مجلس مستشاري هذا المعهد يضم الآن أسماء كل وزراء خارجية أمريكا السابقين الباقين على قيد الحياة (عدا واحد هو **جيمس بيكر**) حتى **وارين كريستوفر** ، بالاضافة إلى **جين كيرباتريك** سفيرة أمريكا لدى الأمم المتحدة في بداية رئاسة **رونالد ريجان** ، **وروبرت ماكفيرلين** مستشار الرئيس الأسبق **ريجان** أيضا لشئون الأمن القومي ، **ويوجين روستو** مستشار الرئيس الأسبق **جونسون** ، **وماكس كامبلمان** كبير مفاوضي الولايات المتحدة للحد من الأسلحة الاستراتيجية ، و **ريتشارد بيرل** مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشئون الأمن الدولي في عهد **ريجان**.

هذا بخلاف عشرات من السفراء والمسئولين السابقين الذين تشملهم قائمة مجلس أمناء المعهد .. ولايتسع المجال لذكر الجميع.

وقد أصبح الباب المؤدي إلى دخول المعهد والى الخروج منه بمثابة " باب دوار" فمن يترك مناصب السياسة الخارجية في الحكومة الأمريكية يدخل المعهد ، ومن يخرج من المعهد يخرج غالبا إلى واحد من هذه المناصب ، فالمعهد بشكل أخطر بؤرة للنفوذ الإسرائيلي المباشر في واشنطن .. وخلافا لكل منظمات اللوبي الإسرائيلي أو جماعات الضغط اليهودية الأخرى فان **معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى"** لايكتفي بممارسة هذا الدور على الكونجرس . إنما يشمل دوره التأثير المباشر على البيت الأبيض ووزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي الأمريكي .. فضلا عن أجهزة المخابرات والمؤسسة العسكرية.

وحده هذا المعهد يقرر تخليد الذكرى العشرين لمبادرة السادات بعقد ندوة خاصة يحشد لها عددا كبيرا من العقول الأمريكية والمصرية والإسرائيلية ، مسئولين سابقين بعضهم شارك مباشرة في أحداث " **المبادرة الساداتية"** سفراء ، باحثون وخبراء أكاديميون وغير أكاديميين : **هيرمان إيلتس** السفير الأمريكي لدى القاهرة إبان " المبادرة" - **إيلياهو بن إيليسار** (مدير مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي **مناحم بيجين** أنذاك و أول سفير لإسرائيل في مصر بعد ذلك) - **كنيث شتاين** مدير مركز كارتر للسلام في جامعة ايموري بولاية جورجيا الأمريكية - **كاميليا السادات** ابنة الرئيس المصري الراحل (التي تشغل الآن منصب تدريس في احدى الكليات الجامعية في مدينة بوسطن الأمريكية) - **مارتن انديك** مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط حاليا - **كنيث بولولاك** كبير الباحثين في الشئون الاستراتيجية في معهد واشنطن نفسه (وكان قبل ذلك محللا للمخابرات في الجيش الأمريكي) - **صمويل لويس** المستشار العام للمعهد وسفير أمريكا لدى إسرائيل في وقت" المبادرة" - **روبرت بيللترو** المساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكي - **بيتر رودمان** نائب مستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي في عهد **ريجان** - **شمعون شامير** مدير مركز السلام الإسرائيلي وسفير سابق أيضا لإسرائيل في القاهرة - **ايهود ياماري** مراسل التليفزيون الإسرائيلي في واشنطن ، وكان لفترة " زميلا" في معهد واشنطن ..

ومن مصر شارك سفيرها الحالي في واشنطن أحمد ماهر السيد - والدكتور سعد الدين ابراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية في

القاهرة ومدير مركز ابن خلدون - **اللواء أحمد فخر مدير أكاديمية نصر العسكرية سابقا - الدكتور عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات الدولية الاستراتيجية فى صحيفة الأهرام القاهرية.**

امتدت مناقشات الندوة الخاصة على مدى ٢٥ ساعة - تقريبا خلال يومين .. وقد تحولت خلال التصعيد التدريجي للمناقشات بين المشاركين وبينهم وبين الحاضرين (من دبلوماسيين وأكاديميين وإعلاميين) من مستوى التمجيد غير الموضوعي **للسادات** " والأهمية التاريخية للمبادرة" - إلى حد أن أحد المتحدثين وصفه بأنه " يتفوق إذا قارناه كمفكر استراتيجي بكل من **بسمارك ومولتكه** الألمانيين" ! - إلى مستوى النقد الذى بلغ حدوده القصوى بتحليل نقائص المبادرة ، وتحول فى النهاية إلى فضح كامل لسياسات إسرائيل نتنياهو وسياسات أمريكا.

كادت الساعات الأولى أن تكون مهرجانا لتكريم السادات . امتدحت " عبقريته على الرغم من أخطائه الكثيرة" -" بعد رويته على الرغم من ضيق أفقه" -" نظرته الاستراتيجية على الرغم من ضيقه بالتفاصيل ".

لكن تبقى الحقائق التاريخية .. حتى حينما تتمثل فى الخلافات " الأكاديمية" حول بداية **عملية السلام"** . بعضهم اعتبر أنها بدأت بزيارات سرية قام بها **حسن التهامى** المقرب كثيرا إلى قلب السادات إلى المغرب - بعضهم رأى البداية فى **انتفاضة الخبز** (التى أطلق عليها السادات نفسه وصف " انتفاضة الحرامية" فى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧) - وبدايات أخرى كثيرة بدأت بهزيمة ٦٧ - بل بحرب أكتوبر ٧٣ - لا . قبل ذلك عندما طرد السادات الخبراء السوفييت - لا .. لا.. بعد ذلك عندما فتح السادات قناة السويس للملاحة وأصر على أن تكون أول سفينة تعبر القناة بعد فتحها حاملة طائرات أمريكية ، **فقد كان ذلك " إيذانا بنقل مصر تماما إلى المعسكر الغربى"**. وقال آخرون إن عملية السلام لم تبدأ إلا عندما تلقى بالفعل دعوة رسمية مكتوبة من بيجين لزيارة إسرائيل بناء على طلبه .. وبناء على طلبه إيضا نص فيها على أنه " سيعامل معاملة رئيس دولة صديقة".

وامتد الخلاف بعد الانتهاء من تأكيد ملكة" الرؤيا" **لدى السادات** إلى الدافع ، أو الدوافع ، التى حدت به لأن يخطو هذه الخطوة الخطيرة منفردا إلى المجهول .

لكن من وراء الخلافات كلها حول هذه النقطة يبدو اتفاق غير مسبوق . اتفاق مؤكد على أنه أراد أمرين أساسين : أن يقصى الاتحاد السوفيتى .. وأن يبتعد تماما عن سوريا وعن الارتباط الذى كان قد قام فى حرب ٧٣ ،" فقد كان يدرك أن الأسد لن يقبل السير فى هذا الطريق وأنه سيعرقله ".

كثيرون اجتهدوا فى تمجيد " **مبادرة السادت"** إلى الحد الأقصى حتى لايقتصر الأمر على تمجيد الشخص: " لم يشك أحد أبدا بأهمية رحلة السادات إلى القدس مع أن كثيرين تشككوا بأهمية رحلة الانسان إلى القمر" ، ثم تعثرت محاولاتهم عندما اصطدمت مبالغاتهم بحقائق - حتى الحقائق الصغيرة - مثل الفزع الذى ألم **بالسادات** لسقوط صديقه الرئيس **فورد** فى الانتخابات الأمريكية (١٩٧٦) ونجاح رجل آخر لايعرف شيئا عنه أسمه **جيمى كارتر**. فقد اعتقد أن **كارتر** سيضعه فى مأزق شديد وذلك عندما أبلغه أن " إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل أمر لامفر منه ".

ويؤكد السفير الأمريكى فى القاهرة آنذاك **وايزمان ايتكنز** - وقد لعب أكبر الأدوار فى توجيه **السادات** وسياسته - أن السادات لم يكن مرتاحا أبدا لفكرة " وفد عربى واحد " يواجه إسرائيل فى جنيف .." كان يريد أن يكون هو فقط هناك" ثم يؤكد أن **السادات** تلقى صدمة أخرى أزعجته حينما انتخب **بيجين** رئيسا للحكومة فى إسرائيل .. وكان يظن أن **موشى دايان** هو الرجل الأفضل فى إسرائيل .. بل وكان يظن أن **عازر وايزمان** (رئيس إسرائيل الحالى .. وكان آنذاك وزيرا للدفاع) هو أسوأ الجميع . وقد انعكست آراؤه فى هؤلاء وغيرهم انعكاسا تاما.

تنتهى شهادة السفير إيتكنز لتبدأ شهادة السفير الإسرائيلى الحالى فى واشنطن **إلياهو بن إليسار** (وقت " المبادرة" كان مديرا لمكتب رئيس الوزراء **بيجين**). قال إن **بيجين آمن دائما بأن مصر ستكون أول دولة عربية مستعدة لعقد سلام مع إسرائيل " سمعته يقولها** فى عام ١٩٧٤ " (أى قبل مبادرة السادات بثلاث سنوات).

أهم من هذا فى شهادة **بن إليسار** :" كانت شخصيتا السادات وبيجين شخصيتين متشابهتين .. بعد هذا **كان ماأعلنه السادات فى الكنيست بصورة قاطعة من أنه لاحرب بعد الآن بين مصر وإسرائيل هى العامل الأساسى فى التقريب بينهما** .. وعندما عقد اللقاء الثانى بينهما فى مدينة الاسماعيلية المصرية حدد الموعد بحيث يوافق يوم عيد ميلاد " السادات " مع ذلك فقد كان اجتماع الاسماعيلية مصدر إحباط شديد **للسادات** .. فقد أخذ **بيجين** فيه برأى **دايان** وهو أن لاتعد إسرائيل باعادة سيناء كاملة مقابل سلام مع مصر . ورفض بيجين فى الوقت نفسه فكرة حكم ذاتى للفلسطينيين يشمل الأرض وليس السكان فقط . أصر على أن تحتفظ إسرائيل بالأرض .. بالضفة الغربية وغزة حتى بعد الحكم الذاتى . تمسك بأن تكون السيادة على الأرض لإسرائيل وحدها . وتمسك بيجين فى الوقت نفسه بتجريد سيناء ليس فقط من السلاح . بل من أى وجود للجيش المصرى والإسرائيلى على السواء.

ويضيف بن إليسار . **كذلك فان بيجين**

المســـئول الأول عن السـياسة الأمريكيـة في الشرق الأوسط .. يحذر من حالة انقطـاع الاتصال بين العسكريين في مصر وإسـرائيل والنتائـج السلبية التي يمكن أن تؤدي إليها

لم يفكر أبدا فى التخلى عن المستوطنات التى أقامتها إسرائيل فى سيناء .. مع ذلك فقد " تعلم السادات أن يثق بيجين، كما تعلم بيجين أن يثق بالسادات".

تواترت خطوط الإشادة بالسادات ومبادئه مع خطوط الهجوم على سياسات مصر ومواقفها الحالية..

وبدأ التناقض يتضح بين أمس واليوم .

قبل عشرين سنة - عندما أعلن **السادات** مبادرته وقام بها - كان أول من يعتبر أولئك الذين ينتقدونه خونة لمصر ، إذا كانوا من المصريين، حاقدين على مصر إذا كانوا من غير المصريين . والويل الويل لأولئك الذين سمحوا لأنفسهم بمساحة أكبر من الحرية من بين الكتاب والصحفيين المصريين فى الصحافة العربية خارج مصر.

بعد عشرين سنة من المبادرة وقف الإسرائيليون بعد السلام مع مصر ينتقدون مصر نفسها ويمتدحون السادات فى ذكرى المبادرة .

مفارقات لم تكن هى الحد الأقصى بين المفارقات لولا أنها دقت على وتر شخصى.

بعض الذين جاءوا من إسرائيل ومن مصر ليلقوا أوراقهم وأفكارهم مع " الخبراء " الأمريكيين فى هذه الندوة الخاصة تحت الجناح الأقوى للوبى الإسرائيلى (**معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى**) وجدوا أنفسهم فى مواجهة مع مصر اليوم ،لأن مصر الأمس **مصر السادات هى الأنسب لإسرائيل وخططها ومصالحها وفكرها**. ولأن الابتعاد عن مسار السادات - خاصة إذا كان باتجاه الوطن العربى ، وبالأخص إذا كان باتجاه سوريا - خطر على السلام . لأنه خطر على إسرائيل ، وخطر على المصالح الأمريكية.

يقول **روبرت ساتلوف** المدير التنفيذى للمعهد وصاحب فكرة الندوة الخاصة وبرنامجها وصاحب قرار اختيار المشاركين : إن " رؤية السادات لم تتحقق كاملة" ويعفى نفسه من تقديم تصور واضح لما أراده السادات كاملا .. لأن أحدا لم يعرف فى أى وقت ماذا أراد فى النهاية . ويضيف " أصبح من الضرورى أن نحدد إلى أين نحن ماضون .. فليس السادات وحده على جدول الأعمال الشرق أوسطى . إنما التاريخ والسياسة والمساحات المتداخلة بينهما".

يقول **أحمد ماهر السيد** سفير مصر محاولا باخلاص تنبيه الندوة إلى أن التحليق مع الرؤى لايفيد :" لسوء الطالع أن الأساطير (الخرافات) لاتموت بسهولة .. والبعض رأى فى رحلة السادات إلى القدس عرضا يرمى إلى الحفاظ على الأمر الواقع كما هو" . ويزداد تحديدا فيشد الندوة إلى اللحظة الراهنة:" أن كل الأطراف مثل مسافرين فى قطار واحد. فجأة ينشق أحدهم ويترك القطار . تصبح السيطرة للآخرين . **لم تمت عملية السلام ، لكنها بالتأكيد مريضة توشك على الموت . ينبغى أن لايدفع أحد بالدم ثمن هذا . لكن إذا استمرت إسرائيل فى ابتلاع الأرض العربية فانها ستستمر فى دفع الثمن نفسه".**

ويضع النقاط على الحروف . دون أن يذكر بالاسم **نتنياهو** أو الليكود يقول: لابد من تحمل المسئولية بدلا من الهروب منها . لاالاستثناء لطرف ما . **إذا كنا نقول إن ميراث السادات لايزال حيا . فأين الآن ميراث بيجين ورابين وبيريز » .**

أن اضافة " أن السادت قد أصيب باحباط شديد بعد المبادرة . لأن الإسرائيليين لم يستجيبوا له بنوع عمله . كانت لديه توقعات كبرى . لكن الواقع كان مختلفا " بل وقال شتاين " لعب السادات **دوره فى غياب وحدة عربية . فهو لم يردها. ولقد أدرك أن سوريا عقبة كبرى فى طريقه . لم يرد سوريا ، ولو أمكنه لخاض حرب أكتوبر مستبعدا مشاركتها** ،فهذا هو ما فعله مع الملك **حسين** . لقد استبعده من الحرب ليستبعده من السلام.

أما كيف حلل **كنيث شتاين** ماأنجزه السادات فيتلخص فى أمرين : الأول أن ماوقعه مع إسرائيل لايعدو أن يكون معاهدة عدم اعتداء . معاهدة لنبذ استخدام القوة . والثانى أنه بينما لم تشكك إسرائيل فى أى وقت فى شرعية مصر (وهل كان هذا ممكنا؟) فان مصر لاتزال تتشكك فى شرعية إسرائيل "(...)

ماذا فعل السادات على الصعيد العسكرى فى محاذاة المبادرة أو قبلها؟

يتصدى لهذا الجانب **كنيث بولاك** الذى قضى عدة سنوات محللا للمخابرات فى الوكالة المركزية ويقول إن السادات بدأ المبادرة قبل المبادرة بأن غير الاستراتيجية العسكرية المصرية كى لاتصبح موجهة ضد إسرائيل . كى لايعود التعامل مع إسرائيل على أنها " العدو" و" الخطر" ، ولكى يصبح المفهوم الجديد أن مصر تواجه أخطارا متعددة ليس فقط من شرقها (حيث إسرائيل) إنما من شمالها ومن غربها (حيث ليبيا) ومن جنوبها (السودان وأثيوبيا ودول منابع النيل).

ويلاحظ **بولاك** تحولا آخر: بقى الدفاع عن مصر ومصالحها الحيوية المفهوم المبدئى ، ولكن رافقه توجه نحو الاهتمام بأمن الخليج نتيجة حدثين، أولهما التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان وثانيهما الثورة الاسلامية فى إيران . ثم يضيف تحولا ثالثا : تجميد أسلحة مصر السوفيتية الصنع والتحول نحو أنظمة الأسلحة الأمريكية لتتواءم مع استراتيجية أمريكا ومفاهيمها العسكرية .

وماقاله منتقدو السادات فى وقت المبادرة قاله بولاك فى وقت تخليد ذكره وذكراه " فى اللوبى الإسرائيلى فى واشنطن : استخدم السادات الحرب المحدودة لكسر الجمود .. فقط أراد بالحرب أن تكون طريقه إلى السلام ، أراد بها إقناع الولايات المتحدة بأن تلعب دورا . بل أن رأى بولاك أن السادات بهذا يكون قد استعار استراتيجية إسرائيل التى استخدمتها فى حرب عام ١٩٦٧ (..)

قبل هذا فى سياق امتداح السادات .. وهو نفسه ماسبق أن قاله منتقدوه فى مجال التحذير من نتائج سياسته (..)

يأتى دور **شيمون شامير** ثانى سفير لإسرائيل فى القاهرة ومدير معهد دراسات السلام فى إسرائيل الآن .. وهو بالمهنة مؤرخ

قبل أن يكون دبلوماسيا . مع ذلك فقد آثر استخدام تحليل الشخصية في الحديث عن السادات أكثر من أي منهج آخر :" حينما **نتحدث عن شخصية السادات وعن نمط سلوكه نجد أنه كان شخصا يتخذ قراراته بالانسحاب ، لا بالاتصال إلى الآخرين والانفتاح على الآراء الأخرى . كان ينصت لصوته الداخلي .. ولم تكن له مبادئ أيديولوجية عميقة يلتزم بها . كان إيمانه الأول بذاته** ".

مع ذلك يستخلص شيمون شامير من هذه الشخصية ثلاثة محاور أساسية : **نزعة مصرية(هي في الحقيقة عداء للعرب ، أكثر منها إيمان عميق بمصر) - تقديس لمفهوم الدولة - انبهار بالحداثة.**

ماذا يستطيع **شامير** أن يستخلص من هذا التحليل بالنسبة لما يمكن أن يقال عن " انجازات " السادات.

في واحدة من أكثر العبارات التي قيلت في الندوة مواربة وحتى مراوغة، ينهي شامير عرضه قائلا: " **ربما يكون السادات قد حل مشكلات لاندري حتى الآن ماهي . وربما يكون قد خلق مشكلات لاندري نحن الآن ماهي** "(..)

من تلك العبارة - في تلك اللحظة - تسيطر على الندوة هواجس الوضع الراهن .. كيف أصبحت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة؟

يأتي بعد ذلك دور **مارتن إنديك** ألمع نجوم اللوبي الإسرائيلي في أمريكا .

وهاهو على رأس صانعي السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط مساعدا لوزير الخارجية لشئون المنطقة بعد خدمة وطنه الجديد في وطنه الحقيقي سفيرا.

يلتقط **انديك** خيطا جديدا . عن السادات بعد مبادرته بعشرين عاما ولكنه يحولها إلى مناسبة للربط بين السادات ورابين . وإذا كانت الفكرة السريعة تجد الرابطة بينهما في أن كلا منهما قد اغتيل ، فان انديك يدفع المقارنة إلى أبعد من ذلك .. ليتساءل : **أين اليوم قيادات مثل السادات ورابين ذات رؤية استراتيجية واقعية تدرك أهمية العلاقات مع الولايات المتحدة.** كما أخذ السادات الطريق الأقصر بالذهاب إلى القدس فان رابين فعل شيئا مماثلا . من السادات حينما أراد من الولايات المتحدة أن تزيد لا أن تقود عملية السلام.

بل يضيف **إنديك** إن كليهما قرر أن يتصرف من وراء ظهرنا (أي من وراء ظهر أمريكا) . كلاهما قرر أن السلام يعقد مع العدو..

ولأنه ليس هناك سادات في العالم العربي اليوم . وليس هناك رابين في إسرائيل فان من الصعب - يقول انديك - أن يكون المرء متفائلا . ويعرب عن **أسفه بشكل خاص لأن العلاقات بين العسكريين في مصر وإسرائيل لم تعد كما كان السادات يحب أن تكون . فلا يكاد يكون هناك اتصال . وهذا مدعاة لقلق شديد ، فالحوار غائب وإذا بقي كذلك فان النتائج ستكون سلبية.**

ولايقول **إنديك** ماذا ستكون هذه النتائج السلبية . لكن تبرير الفشل يبقى ضرورة سياسية . يضيف :" دورنا هذه الأيام (يقصد دور أمريكا) صعب للغاية ، أصعب كثيرا مما كان حينما كان **رابين** حيا .. أما **نتنياهو** فمشكلته أنه محدود بالائتلاف . والتحدي الرئيسي الذي يواجهه هو أن يتحرك، أن يكسر هذا الطوق".

تبسيط إلى حد الخلل .

ولقد كان **إنديك** آخر هدوء الندوة . بعده هبت العواصف التي لم تبق شيئا من ذكرى السادات أو المبادرة .. أو عملية السلام(..)

كان الأمر شاقا بالتأكيد خاصة على من تصوروا أنه من الضروري أن يكون دورهم في الندوة الحذر من أية إشارات سلبية إلى السادات .. وبالمثل إلى إسرائيل .. لأنه كان من المستحيل تناول العلاقات المصرية الإسرائيلية وعملية السلام بعد السادات بأي درجة من الرومانسية إلا بالتضحية بالحقائق التاريخية والراهنة - تجاهلها أو تزويرها - أو التناقض مع الذات . وقد حدث هذا في بعض المواقع .

بدأ الدكتور **عبد المنعم سعيد** مدير مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية بصحيفة الأهرام" المصرية مع بداية الخيط مذكرا بعبارة كان **هنري كيسنجر** قد قالها للسادات وظل السادات ومريدوه حتى الأيام الأخيرة من حياته يرددونها :" سيادة الرئيس لقد جعلتنا جميعا نبدو جديين" .. وربما كان يتعين على **كيسنجر** أن يضيف عدا العرب الذين وقفوا ضد السلام على طريقته . لكن **كيسنجر** لم يقل هذا طبعاً ، إنما تكفلت الأحداث بعد نهاية السادات باثباته.

وعندما انتهى حديث مديح السادات وذكراه بدأ حديث الدكتور سعيد عن الحقائق: حقبة الثمانينات سادها " السلام البارد" في العلاقات المصرية - الإسرائيلية . كانت " المبادرة" قد فقدت قوة الدفع ، ولم تأت بأية نتائج للحكم الذاتي ، وظهر الصراع على "طابا" المصرية . وجاء غزو لبنان من جانب القوات الإسرائيلية .. ثم جاءت الانتفاضة الفلسطينية.

ويصف المتحدث حرب إسرائيل ضد لبنان بأنها كانت " أم الهزائم جميعا لعملية السلام".

والتسعينات ، قليل من الدفء مع البداية الجديدة في مدريد..(**حتى أن ٣٠٠ ألف إسرائيلي زاروا مصر في عام ١٩٩٥ مقابل نحو ٣٠ ألف مصري زاروا إسرائيل خلال العام نفسه**). ولم تلبث أن توقفت هذه الحركة **إثر إغتيال رابين** . ثم **"عناقيد الغضب" و"مذبحة قانا" واغتيال المهندس عياش ..** وفوز **نتنياهو** والليكود في الانتخابات . ان الحكومة الإسرائيلية الحالية مشكلة كلها من شخصيات تعارض أوسلو نتنياهو يضطر لأن يقول أحياناً إنه مع الالتزام بأوسلو لكنه لايكف أبدا عن وصفها بأنها "كارثة على الشعب الإسرائيلي ".

وفي ظل هذا الوضع - يضيف عبد المنعم سعيد - وميزان القوة يميل لصالح إسرائيل فان " القوى الكبرى مستعدة دائما لأن تسمح لإسرائيل بما لاتسمح به لأي دولة أخرى في العالم " . ويضيف إلى هذا " العجز في ميزان الدور الأمريكي . لقد أصبحت الولايات المتحدة رهينة للانتخابات الأمريكية للسياسات المحلية والنفوذ اليهودي القوي ..".

ويختتم المتحدث بثلاثة تصورات لما كان يمكن أن يقترحه السادات لو كان لايزال بيننا في الظروف الراهنة .. مؤتمر دولي في القدس أو ربما رام الله .. سلام تفرضه على الأطراف جميعا الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن .. أو دعوة للولايات المتحدة لوضع تسوية للشرق الأوسط على غرار اتفاقية " دايتون " لانهاء نزاع البوسنة (..)

ينتهي دور العرض المصري للجانب الذي يحمل عنوان " مصر - عملية السلام - والعلاقات المصرية - الإسرائيلية ".. ويبدأ دور عرض إسرائيلي للجانب نفسه . عهد به إلى إيهود ياعارين مراسل التليفزيون الإسرائيلي . و"زميل " سابق في معهد واشنطن نفسه.

ولسبب مايعرفه ياعاري ويعرفه منظمو الندوة تصور أن دوره هو تمجيد السادات عن طريق تصعيد الانتقاد لسياسات مصر الحالية وكشف التناقض بين ماأراده السادات

وماتريده مصر الآن . وقدكان ياعارى "أخف" المتحدثين وزنا من الناحية الفكرية حاول نيل استحسان المشاركين والمناقشين والساكتين فى الندوة بالاكثار من " النكت" .. والتحدث بطريقة " القضمات" الكلامية السريعة المفضلة فى تعليقات التليفزيون وتحليلاته فى أمريكا: " السلام الآن - موجود وغير موجود" - " جودة العلاقات المصرية - الإسرائيلية تختلف الآن عما كانت " -" الوضع الراهن بين مصر وإسرائيل أشبه بالحرب الباردة منه الى السلام البارد".

وقد تبدو هذه العبارات المختصرة محايدة .. لكن أبدا . فالسبب دائما هو مصر. ومرة أخرى بعبارات مقتضبة لاتعنى بإيضاح الأسباب أو تقديم أى قياس منطقى : " **الفلسطينيون يتشددون لأنهم واقعون تحت تأثير الموقف المصرى" - " مبارك يدفع للشعب المصرى ثمن العجز عن تحقيق انجازات داخلية كبيرة باتنهاج سياسة خارجية مرضية لهم" - " الأزمة الراهنة فى العلاقات المصرية - الإسرائيلية هى أزمة نجاح ، لاأزمة فشل** ".. وهذه بتركيبا غير مفهومة المعنى والقصد . هل يعنى أن العلاقات نجحت إلى حد لم يكن الطرفان مستعدين له .. لا على نحو مانقول أن هناك مشكلات تقدم ؟

لكن الإسرائيلى **ياعارى** لايلبث أن يقول إن **من أسباب الأزمة الراهنة فى عملية السلام وجود ائتلافين فى إسرائيل** : أحدهما الائتلاف المناهض للصهيونية (وأبرز الأسماء فيه **يوسى بيلين** الزعيم العمالى الذى لعب دورا بارزا فى الاتصالات السرية مع الفلسطينيين التى أدت إلى " أوسلو") وهذا هو ائتلاف المعارضة . والائتلاف الثانى هو ائتلاف الحكم الذى يتزعمه **نتنياهو** وهو بين الصهاينة الجدد والصهاينة المتطرفين الذين يتركز اهتمامهم على الاحتفاظ بأرض الضفة الغربية.

فهل كان ياعارى يحاول توزيع مسئولية مأزق عملية السلام بين سياسات المصريين وسياسات الإسرائيليين؟

على الاطلاق . فعند استخلاص النتائج قال ياعارى بالتحديد : " **لقد كانت كامب ديفيد المرجعية الرئيسية التى يمكن الانطلاق منها ، لكن مبارك رحل تماما بعيدا عن ميراث السادات** ". وأكبر أدلته على ذلك الأزمة التى أثارتها مصر عند مناقشة معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عندما أصرت على ضرورة إلزام إسرائيل بها وعلى ضرورة إخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية .

ليس هذا فحسب . لقد " قرر **مبارك** أن يتحالف حكمه مع **الناصريين الجدد**. وهؤلاء الآن يمثلون بصورة كثيفة فى وزارة الخارجية المصرية"

سفير مصر فى واشنطن (وكان السفير الوحيد الحالى بين المشاركين .. وكلهم سابقون) تصدى للرد على ياعارى ، غير مكتف برد هادئ جاء من **بيتر رودمان** نائب مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى فى عهد ريجان .. وقال فيه إن التيار الجديد الذى يسيطر على الدبلوماسية المصرية ويوجه سياسة مصر الخارجية بما فيها دورها فى عملية السلام وعلاقاتها مع الولايات المتحدة وكذلك علاقاتها مع إسرائيل هو" **تيار ديجولى" وليس تيارا ناصريا جديدا.**

كذلك لم يكتف بمداخلة قال فيها السفير الأمريكى الأسبق لدى مصر **هيرمان إيلتس : ان نتنياهو لايتمتع بثقة أحد ، حتى داخل معسكره نفسه** . وقال أيضا أن من يظن أن لوزير الخارجية فى مصر سياسته الخارجية الخاصة التى تختلف عن السياسة الخارجية للرئيس أو البلد ككل لايعرف شيئا عن مصر.

ولم يكتف بمداخلة أخرى **لرودمان** قال فيها أن مصر ترى نفسها اليوم القوة التى تواجه وتوازن النفوذ الأمريكى فى المنطقة . وأن لمصر سياسة خارجية قومية ليست سياسة خارجية لائتلاف ما. **إن مصر تقف ضد التحالف التركى - الإسرائيلى ، وبينما تريد مصر إقناع سوريا بالدخول مرة أخرى فى عملية السلام - فان " أمريكا تبدو أكثر اهتماما بدفع سوريا إلى حالة من اختلال التوازن"** .. ولهذا فان هناك مخاطرة النظر إلى مصر باعتبارها عقبة ، والنظر إلى الأردن باعتباره الحليف الأوثق للمصالح والمفاهيم الاستراتيجية الأمريكية.

كان رد السفير المصرى واضحا وقاطعا: إن هناك من يحاول خلق أصولية ساداتية . لقد مات الرجل منذ سنوات طويلة . والأشياء تغيرت كثيرا .. **وايهود ياعارى بخلط بين الحقائق وتخيلاته.**

ويختتم **أحمد ماهر** الموضوع بصراحة وقوة : حينما تتصور إسرائيل أشياء معينة يكون مطلوبا من الجميع أن يأخذوا تصوراتها على أنها حقائق . إذا تصورت أن إيران أو العراق تنتج أسلحة نووية أو كيميائية أو بيولوجية تعين علينا أن نتعامل مع تصوراتها على أنها حقائق . أما حينما تقلق مصر من حقيقة أن إسرائيل تملك ترسانة نووية يصبح على الآخرين أن يتعاملوا معها على أنها تصورات وغير حقيقية.

ويضيف السفير **ماهر** " إن البعد العربى لمصر حقيقة حياة وحقيقة تاريخ لهذا فأننا لانستطيع أن نحصل على السلام مالم يكن سلاما شاملا".

ويؤكد " إن مصر لاتبحث لنفسها عن دور ، الأحرى أن الدور يبحث عن مصر"

ويصبح أكثر تحديدا فى التصويب ، وهو يرد على قول **ياعارى** أن الفلسطينيين واقعون تحت تأثير الموقف المصرى ،" أن أحد تخيلات إسرائيل الوهمية أن على مصر أن تسلم إليها الفلسطينيين . أن تقنع الفلسطينيين بقبول ما تريده إسرائيل . ماذا وإلا فانهم يصرخون : مصر لاتتعاون .."

تنتهى بارتفاع صوت مصر فوق صوت " المبادرة" .. ولايبقى من صاحبها سوى ميراث الأخطاء الذى جعل إسرائيل تظن أن لاطريق إلى السلام إلا على طريقة السادات.

ويشعر المتابع لوقائع الندوة بارتياح عميق وهو يتنبه فجأة إلى مالم يتنبه إليه من قبل وهو **أن تلك المبادرة حملت دائما اسم السادات .. فلم يجرؤ أحد على تسميتها " مبادرة مصر" أو " المبادرة المصرية".**



صراع أقطاب الحزب الوطني دفع نوابه للبحث عن الديمقراطية

فشل دعاة التغيير و" العواجيز" يسيطرون على لجان المجلس

شرخ في سيطرة كمال الشاذلي على نواب الحزب الحاكم

لحق بدعاة التغيير بين نواب الحزب الوطني الحاكم وصاحب" الأغلبية البرلمانية الكاسحة" خيبة أمل كبيرة ، بعد أن أسفرت انتخابات تشكيلات مكاتب اللجان النوعية في مجلس الشعب للدورة البرلمانية الجديدة عن تغييرات محدودة لم تتجاوز خمس لجان من بين ثماني عشرة لجنة . وعبرت تشكيلات هيئات مكاتب اللجان عن سيطرة مطلقة للنواب كبار السن والذين تتجاوز أعمارهم الستين عاما . وبذلك تجاهلت قيادة الحزب الدعاوى التي تبناها عدد كبير من النواب المنتمين إلى جيلي الوسط والشباب بتغيير القيادات الحالية بما يسمح بدور أكبر لهم في تولي تشكيلات اللجان.

حنان حماد

جاء التغيير ، على محدوديته ، معبرا عن توازنات القوى بين قيادات البرلمان والحزب . وكشفت الاتصالات المحمومة التي قام بها أنصار رئيس المجلس الدكتور فتحي سرور من جهة و" غريمه" وزير الدولة لشئون مجلسي الشعب والشورى وأمين التنظيم في الحزب الحاكم كمال الشاذلي من جهة أخرى عن تعمق الصراع بينهما.

فعلى الرغم من المصالحة المعلنة بينهما والتي قضت بفوز سرور برئاسة المجلس للمرة الثامنة على التوالي ، ضاربا رقما قياسيا بين رؤساء برلمانات فترة مابعد الثورة ، فقد سعى كل منهما إلى الدفع بأنصاره إلى المواقع القيادية في لجان المجلس . أسهم في تصاعد وتيرة الصراع خلال اللحظات الأخيرة التي تسبق افتتاح الدورة البرلمانية أن تركت القيادة السياسية لكل من أمين عام الحزب ونائب رئيس الوزراء الدكتور **يوسف والي** والأمينين المساعدين **كمال الشاذلي وصفوت الشريف** مهمة تحديد أسماء المرشحين لرئاسة **اللجان** واكتفت في اجتماع مغلق قبل ثلاثة أيام من بدء الدورة باختيار **سرور** رئيسا و**أمال عثمان والسيد راشد** وكيلين عن الفئات والعمال على الترتيب.

تجلت الصراعات بصفة خاصة في معركة رئاسة اللجنة الاقتصادية ، والتي ظل حسمها معلقا حتى ليلة انتخابات اللجان . **وتعليقا على هزيمته لصالح عبد الله طايل ، الذي يوصف بأنه رجل الشاذلي ، قال مصطفى السعيد إن أطرافا تتمتع بنفوذ قوي داخل الحزب الوطني والمجلس معا سعت للاطاحة به مستغلة قضية إيصال الأمانة الذي ثبت أن رجل الأعمال الطوخي على الطوخي قد زوره .**

في حين أشار المراقبون إلى أن **الشاذلي** بدأ من الآن ترتيب الأوضاع استعدادا لمرحلة مابعد رئاسة سرور ، بحيث يضمن المناصب البرلمانية لأنصاره أو لشخصيات ضعيفة يسهل استقطابها.

وعلى الجانب الآخر من الانتصار الذي حققه **الشاذلي** - تعويضا لفشله في تحقيق أمنيته باعتلاء منصة رئاسة المجلس هذه الدورة - إلا أنه بدأ يفقد قبوله الواسع بين أعضاء الحزب بسبب إصراره على استبعاد قيادات جيل الوسط من المناصب الحزبية والبرلمانية . تستر نواب الوطني في التعبير عن تذمرهم وراء المطالبة بالديمقراطية الحزبية وإطلاق حقهم في اختيار قيادات البرلمان عبر انتخابات حرة دون التقيد بأي قوائم يقرها الحزب. **وتبدو الدعوة إلى دمقرطة الحزب الوطني للمرة الأولى منذ نشأة الحزب العام ١٩٧٧ مطلبا غير منطقي لأنه يأتي من نواب في مجلس مشكوك في شرعيته** ، ويشهد على ذلك الكم الضخم من تقارير محكمة النقض ببطلان عضوية مايقترب من ثلث عدد النواب . ولاتفهم المطالبة بالديمقراطية إلا في إطار صراع المصالح وتصفية الحسابات بين قيادات الحزب.

يدعم هذا التفسير الانتقادات التي جاءت من أنصار أطراف متعارضة ولم تعف أحدا . فقد شن النواب المرفوع عنهم الحصانة في الجلسات الأولى للمجلس هجوما حادا على انفراد سرور بقرارات رفع الحصانة خلال العطلة البرلمانية . في الوقت نفسه انتقد آخرون في اجتماع حزبي وبصورة مبطنة تركز القرار داخل الهيئة البرلمانية للحزب في يد **الشاذلي** عبر عن التوجهين معا النائب الحكومي **حمدي الطحان** الذي شن هجوما لم تكن حدته متوقعة في الجلسة الافتتاحية للدورة البرلمانية ضد مااعتبره تركيزا للسلطات في يد عدد قليل من القيادات داخل البرلمان والحزب . ولاقت كلمته استحسانا كبيرا من النواب الشباب ، وأيضا من النواب الممثلين لمحافظات الصعيد . كان غضب " الصعايدة" واضحا ومبررا في إطار تقدمهم لمنصب وكيل المجلس والذي اعتبروا



كمال الشاذلى .. الرجل القوى الذى لايعصى له أمرا

أنفسهم ورثاء شرعيين له خلفا للمستشار **أحمد حمادى**.

وتجدر الإشارة إلى أن الدعوة إلى مقرطة الحزب الحاكم أصابت بعض النجاح عندما طرحها النواب وبجرأة تحسب لهم في اجتماعهم بالرئيس حسنى مبارك . فللمرة الأولى يوافق مبارك بصفته رئيسا للحزب الوطنى على أن يترك للنواب حرية خوض الانتخابات لتولى المناصب القيادية في اللجان النوعية للبرلمان دون التقيد بترشيحات قيادة الحزب. ومن المسلم به أن نواب الحزب الوطنى فقط هم القادرون على الفوز بكل المناصب البرلمانية الرفيعة بحكم الأغلبية المطلقة التى يتمتعون بها تحت القبة.

لكن ماكشف **شكلية المطالبة بالديمقراطية وأيضا يدعم تفسيرها بأنها فى جزء من تصفية الحسابات وصراعات المصالح الشخصية** ، أن أهدر النواب هذه **الموافقة الرئاسية وتمسكوا بالالتزام الصارم بترشيحات قيادة الحزب للمناصب القيادية في اللجان** .

ولم يجرؤ أى من دعاة التغيير على ترشيح نفسه كمنافس لمرشحى الحزب . كما يفسر هذا الاحجام أيضا الحرص على شبكة المصالح القائمة بغض النظر عما يعتريها من تناقضات تتفاوت فى قوتها من وقت لآخر . وكذلك عدم الثقة فى أن موافقة الرئيس **مبارك** تحمى النواب " الخارجين " من بطش الأمين العام الدكتور **يوسف والى** والأمين المساعد **كمال الشاذلى** ، أصحاب القرار الفعلى فى إعداد قوائم مرشحى الحزب فى الانتخابات التشريعية والمجالس المحلية.

ويدعم هذا الخوف الحرج البالغ الذى وقع فيه نائب سوهاج عمر أبو ستيت الذى رشح نفسه لمنصب وكيل البرلمان منافسا لمرشحة الحزب **أمال عثمان** ومدعوما بتأييد زملائه نواب الصعيد ، ثم خضع لضغوط وزير الدولة لشئون مجلسى الشعب والشورى وأمين التنظيم بالحزب الوطنى **كمال الشاذلى** وسحب ترشيحه وسط سخط كل النواب ، سواء أنصاره أو معارضوه . فى حين **أوضح الشاذلى لكل الأطراف أنه مازال الرجل القوى** داخل الحزب وصاحب **الكلمة النافذة على كل نوابه والذى لايعصى له أمرا**.

اللافت للانتباه أن أضعف حلقات المجلس وهم النساء حققن نصرا واضحا فى الوقت الذى لم يكن لهن دور معلن فى هذا الصراع رغم محدودية تمثيلهن عدديا . وجاء التغيير المحدود الذى طرأ على تشكيل مكاتب اللجان من حظ النساء . فالى جانب فوز وزيرة التأمينات الاجتماعية السابقة الدكتورة أمال **عثمان** بمنصب وكيل البرلمان فازت أربع نساء أخريات بمناصب قيادية . فازت النائبتان فايدة كامل وثريا لبنة بمنصب وكيلى لجنتى الثقافة والشئون الدينية على الترتيب . كما فازت **جليلة عواد وسوسن الكيلانى** بمنصب أمينى سر لجنتى المقترحات والشكاوى والشئون العربية على الترتيب . وبذلك يكون خمس سيدات من بين تسع نائبات **فقط فى مجلس الشعب قد فزن بمناصب** قيادية تسمح للمرأة عموما بتمثيل **واضح فى اللجنة العامة وغيرها من التشكيلات البرلمانية الرئيسة ، وذلك بغض النظر عن الضعف الواضح فى الصوت النسائى تحت القبة** . يذكر أن أعلى منصب برلمانى تولته سيدة مصرية كان رئاسة لجنة الشئون الدستورية والتشريعية ، أحد أهم اللجان [illegible] [illegible] فوزية عبد الستار فى المجلس السابق .

الظاهرة الجديرة بالملاحظة أن الأوساط النسائية والتقدمية وحتى أوساط المحافظين والمعارضين لاعطاء المرأة دورا أكبر فى الحياة العامة استقبلت خبر فوز أمال عثمان بمنصب وكيل مجلس الشعب فى أول سابقة فى تاريخ البرلمانات العربية بنوع من البرود وعدم الاهتمام. فلم تصدر عن أى جهة تمثل أى قطاع شعبى تصريح يعبر عن السعادة أو حتى الاستياء مما تحقق كاضافة لتاريخ الحركة النسائية المصرية ، وكأن ماحدث مجرد خبر عادى يفتقد لأى دلالة عن أى تطور اجتماعى تشهده البلاد . يفسر هذا الاستقبال الذى افتقد إلى حرارة الجدل والنقاش أن الدكتورة **أمال** نموذج يرضى جميع الأطراف دون أن يشعر أحدها أن نجاحها يمثل انجازا خاصا به . فهى فى نظر التقدميين شخص محافظ لاتنتمى فقط إلى النخبة الحاكمة وإلى الحزب المتربع على السلطة على مدى عشرين عاما . بل أنها تمثل أكثر أجنحة هذه السلطة محافظة وتقليدية . يؤكد ذلك مالحق بها من اتهامات بالبيروقراطية الشديدة وعدم دعمها لأى أفكار أو مشروعات تنحاز للفئات الأكثر فقرا . بل لم يعرف عنها أى اهتمام بالأفكار التى تبرز فى المجتمع المصرى من آن لآخر وتستهدف اعطاء النساء مزيد من المكاسب فى القوانين المنظمة للعلاقة الزوجية.

أما فى أوساط النساء فنجد أن كثيرات أصابهن الغضب من مواقف الدكتورة **أمال عثمان** تحت القبة فى الدورات السابقة ، لأنها لم تدعم مادعا إليه بعض نواب البرلمان بشأن حق أبناء الزوجة المصرية فى الحصول على الجنسية المصرية ، وهى المشكلة التى تؤرق عددا ليس باليسير من الأمهات اللاتى

* الامتيازات " الأجنبية " وإيجارات المساكن القديمة أهم القوانين الجديدة ..

* والتطبيــع وجواســيس إســرائيل والفســاد أسخن الاستجوابات ..

تزوجن من غير المصريين . الأكثر من ذلك أنها وقفت بشدة في وجه محاولات تشريعية جرت العام الماضي إبان مناقشة قانون الطفل واستهدفت منح مزيد من الحقوق للأمهات العاملات في القطاع الخاص. وبات واضحا وقتها أن الدكتورة آمال تنحاز للتوجه الحكومي حتى على حساب النساء ، أكثر حلقات المجتمع ضعفا في ظل التوجه نحو اقتصاديات السوق.

والسجل الطويل والعريق لوزيرة التأمينات السابقة في انحيازها نحو أفكار تعارض أي اصلاح اجتماعي يجعل المحافظين مطمئنين على مكانتهم ، مما يبرر التزامهم بالهدوء حيال تولي صاحبة هذه المواقف منصبا يعد حكرا على الرجال. وبذلك فقد اعتلاء امرأة لمقعد رئاسة البرلمان بالانابة في الأوقات التي يضطر فيها سرور إلى التغيب عن الجلسات أي معنى أو دلالة عن أي تطور اجتماعي وإصلاحي أو حتى عن انحياز النخبة الحاكمة للنساء . وفي كل الأحوال مازالت الدكتورة **آمال عثمان** تحتفظ بعداء خاص رصين من جانب أعضاء جماعة الأخوان المسلمين بسبب " الهزيمة " التي ألحقتها بنائب المرشد العام للجماعة المستشار **مأمون الهضيبي** في الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت نهاية العام ١٩٩٥ في دائرة الدقي ، بعد معركة شرسة.

ومن اللافت للانتباه أيضا أن مجموعة **رجال الأعمال المتلين في البرلمان حظوا في هذه الدورة على مناصب رفيعة تعكس قوتهم العددية والتي تصل إلى ثلث عدد النواب.** فقد فاز كل من عضو اللجنة التنفيذية لمجلس الرئاسة المصري الأمريكي **محمد أبو العينين** ورجل الأعمال **عبد الوهاب قوطة** بعضوية اللجنة العامة . أعلى تشكيلات البرلمان . كما فاز العضو المنتدب لبنك مصر اكستريور **عبد الله طايل** برئاسة اللجنة الاقتصادية . احدى اللجان التي تصل في أهميتها حد تعريفها بأنها من الأعصاب الحاكمة لحركة المجلس . كذلك استمر النائب القبطي **فتحي قوزمان** في رئاسة لجنة الدفاع والأمن القومي . على الرغم من أن الأقباط لايتجاوز عددهم تحت القبة خمسة نواب حصلوا على مقاعدهم بالتعيين بقرار من رئيس الجمهورية ، إلا أن احتفاظ **قوزمان** بمنصبه في لجنة الدفاع حسبه أنه ضابط سابق بالجيش . ومن الأمور ذات الدلالة عن انعكاسات توازنات القوى داخل الحكومة على البرلمان أن استمر **أحمد فؤاد عبد العزيز** ، في رئاسة لجنة التعليم على الرغم مما يتردد بشأن محاولات حكومة الدكتور **كمال الجنزوري** تقليص نفوذ وزير التعليم **حسين كامل بهاء الدين** والذي يعمل عبد العزيز مستشارا له .

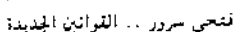
وبعيدا عن الصراع بشأن المجلس وداخل قيادات الحزب الوطني فان الدورة القادمة تشهد مناقشة عدد كبير من القوانين ذات الطابع الاقتصادي ، والتي تعبر عن سعي الحكومة الدؤوب إلى تلبية مطالب المستثمرين ومنح الأجانب منهم تسهيلات وامتيازات تقترب من امتياز حفر قناة السويس الذي منحه الخديوي سعيد للفرنسي فردیناند ديليسبس القرن الماضي . في مقدمة هذه القوانين حق الانتفاع للقطاع الخاص بادارة الموانئ البحرية والمصالح الضريبية والاعفاءات الجمركية على الواردات وقوانين التجارة والحماية من الاغراق ومحاربة الاحتكار وحماية المستهلك من الغش التجاري . أما القانون المنتظر مناقشته خلال هذه الدورة وسيكون له نتائج خطيرة على قطاعات واسعة من المواطنين فهو قانون **إعادة تنظيم العلاقة الإيجارية في المساكن القديمة** . وفي إطار قوانين إطلاق العلاقة الإيجارية بين الملاك والمستأجرين في المساكن القديمة والأراضي الزراعية وتعديل قانون المحال غير السكنية يكون **من المستبعد تماما أن ينحاز قانون المساكن القديمة لحقوق المستأجرين** ، ويظل الأمل معلقا على تصريح الرئيس **مبارك** بتعهده بحماية هؤلاء المستأجرين من الطرد .

على صعيد القوانين ذات السمة الاجتماعية **ينتظر الدورة الجديدة حسم قانونين بمثابة " ألغام شديدة الانفجار" وهما قانونا الأحوال الشخصية ونقل الأعضاء البشرية** . حيث يستهدف الأول تبسيط إجراءات التقاضي في قضايا الأحوال الشخصية ، بينما يصطدم الثاني بأصحاب الآراء الدينية شديدة المحافظة . ومن القوانين التي بدأ الجدل بشأنها بالفعل وتحظى باهتمام جماهيري واضح قانون الثانوية العامة . أهم مواد القانون اعتبار درجات امتحان الطالب في امتحان نهاية السنة الثالثة فقط من المرحلة الثانوية كنتيجة في الشهادة الثانوية . ويجمع القانون بين الغاء الثانوية العامة الجديدة . تحديدا مايتعلق بالتحسين . ونظام امتحانات المدارس والجامعة والذي يسمح بدخول الطالب امتحان دور ثان وامكانية صعوده للسنة الأعلى حتى مع رسوبه في أحد المواد . ويضاف إلى ذلك مناقشة استجوابات ساخنة قدمها نواب المعارضة بشأن قضايا **عمل الشباب المصري في إسرائيل وتزوج بعضهم من إسرائيليات وضبط جواسيس إسرائيليين خلال السنوات الماضية ومحاولات تسلل الصهاينة للاستيلاء على مشروعات حيوية بشراء مشروعات مطروحة للبيع في إطار برنامج الخصخصة** ، وأسئلة وطلبات احاطة حول تورط بعض الجهات الحكومية في قضايا فساد وإهدار للمال العام.



آمال عثمان .. هزمت الصعايدة

و" الاخوان المسلمون" وتعادي حقوق النساء



فتحي سرور .. القوانين الجديدة





الحكومة تسمم الشعب!!

ليس المقصود من أن الحكومة تسمم الشعب، المفهوم العام للعبارة والذى يتمثل فى الممارسات السياسية والاقتصادية للحكومة والتى تسمم بها بدننا- كما يقال- كل يوم:

*** بتدخلها السافر فى الانتخابات العامة.**

*** بسياساتها المعادية للفلاحين والمدمرة للزراعة المصرية .**

بتصفيتها للقطاع العام وإهدارها للصناعة الوطنية.

***بافقارها المتزايد للشعب، فى الوقت الذى تمكن فيه كبار المستثمرين والشركات متعددة الجنسية من كل مرافق ومنافذ الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر.**



د. كمال الجنزورى

.ولكن الذى نعنيه بهذا التعبير ، هو التسميم الفعلى والمباشر للمواطنين نتيجة استهلاكهم للسلع الغذائية التى تحمل فى داخلها السموم المدمرة لصحة الانسان بل ولحياته، والتى تتحمل الحكومة بسياساتها- المباشرة وغير المباشرة- المسئولية الكاملة عن آثارها. ولسنا فى خصوص هذا الموضوع الخطير والمتعلق بصحة أبناء الشعب- نلقى الكلام على عواهنه. بل نرصد واقعا فعليا وأحداثا مأساوية كان كل منها موضع الاهتمام والتحرى فى الصحف «**القومية**» وبعض الأجهزة والمؤسسات «**الرسمية**» ونكتفى -فى هذا المجال- بالوقائع التى حدثت فى الأعوام الخمسة الأخيرة(٩٣-١٩٩٧):

* مئات الأطنان من «البطاطس» تغرق السوق المصرية فى عامى ٩٥، ١٩٩٧ وهى ملوثة بمعدلات عالية من المبيدات والكيماويات المحظور استخدامها دوليا والتى تسبب لمستهلك الاصابة بالسرطان والفشل الكلوى وغيرهما من الأمراض الخطيرة.

* اكتشاف كميات كبيرة من الأرز المصرى -الشديد الجودة- ملوثة بمادة الجير الضارة بصحة الانسان . وذلك فى عام ١٩٩٣.

* صرت نفس مئات المواطنين نتيجة استهلاكهم -عام ٩٤ / ١٩٩٥ -اللحوم المصابة بمرض «حمى الوادى المتصدع».

*آلاف الأطنان من اللحوم الفاسدة- غير الصالحة للاستهلاك الآدمى -تم استيرادها عام ١٩٩٤.

*انهيار الثروة السمكية الكبيرة فى مصر، نتيجة التلوث القاتل- للسمك والانسان -فى المصادر الرئيسية للسمك.(بحيرات : المنزلة- قارون- ادكو- مريوط).

* تدهور الثروة الداجنة المصرية ، وخاصة بعد استيراد آلاف الأطنان من أعلاف الدواجن من بقايا الحيوانات المصابة بجنون البقر.

*وأخيرا -وليس آخر- دخول ما يقرب من ٢٠٠ ألف طن من اللحوم الفاسدة والمصابة بجنون البقر إلى مصر فى منتصف هذا العام.

مسئولية الحكومة عن هذه الجرائم فى حق الانسان المصرى:

بالتأكيد أننا لا نتهم كل الجهات الرسمية والحكومية بالفعل أو التواطؤ لتسميم المواطنين المصريين.

ولكن -بالتأكيد أيضا- **أن الحكومة مسئولة- كل المسئولية- عن هذه الجرائم فى حق الشعب، سواء من خلال سياساتها العامة أو من خلال عدم الحسم تجاه الفساد الذى استشرى فى المجتمع.**

أولا- التسميم.. بالقانون!!

*** بتعديل قوانين قائمة تحمى الانسان من التلوث:**

وكمثال على ذلك تعديل القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢-بشأن حماية مجارى النيل- والذى كان ينص على عقوبة السجن للمسئولين بالشركات الصناعية التى تلقى بمخلفاتها فى النيل، واستبداله-حماية لعلية القوم من المسئولين عن هذه الشركات- بالقانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ ، الذى يكتفى بعقوبة الغرامة.

***باصدار قوانين جديدة:**

مثل القانون ٣٨٢ لسنة ١٩٩٢،الذى أعطى صلاحيات واسعة« للفراكات» الخاصة، بشأن عملية ضرب الأرز والاتجار فيه.

وكانت النتيجة أن هذه الفراكات الخاصة قد أصبحت تتعامل فى حوالى ٦٦٫٧ ٪ من مجموع إنتاج الأرز المصرى ، وبعيدا عن الرقابة الفعلية.

التفسير الخاص للقانون

فعلى الرغم من الضجة الكبرى التى حدثت عام ١٩٩٤-فى مجلس الشعب وفى الصحافة وفى وزارتى الصحة والتموين-بشأن **استيراد اللحوم الفاسدة** .وعلى الرغم من كشف هؤلاء المتربحين على حساب غذاء الشعب وصحته، **إلا أنه لم يتم شطب أى منهم من سجل المستوردين- وفقا للقانون ١٢١ لسنة ١٩٨٢ ، بحجة أنه لم يتم الحكم على أى منهم بعقوبة جنائية .**

ثانيا: تحكم مافيا الاستيراد

وفقا للفهم المصرى الخاص **بالخصخصة والرسملة** .فليس هناك- مثل باقى الدول الرأسمالية الأصيلة- أى ضوابط حقيقية على عملية الاستيراد وبالنسبة لهذا الموضوع. كأمثلة للقوة الخارقة لمافيا الاستيراد:

-فعلى الرغم من مطالبة كبار العلماء والخبراء البيطريين المصريين . باستخدام المصل المصرى ضد مرض« حمى الوادى المتصدع».



هذا المصل الذي ثبت محليا وعالميا طوال ما يقرب من خمسة عشر عاما مدى ما يحمله من إمكانيات ايجابية.

وعلى الرغم من تحذيرهم- بكافة الوسائل- للمسئولين من استيراد مصل آخر. إلا أن **مافيا الاستيراد تحكمت وفازت في المعركة. وكان نتيجة استيراد هذا المصل موت عشرات المواطنين واصابة المئات منهم بالعمى الكامل أو الجزئي ونفوق آلاف المواشي.**

-وفي أثناء احتدام التحذير- عالميا ومحليا- من مخاطر مرض **جنون البقر** عام **١٩٩٦** فإن **مافيا الاستيراد** لم تتورع عن أن تطرح على صفحات الجرائد- مناقصة لاستيراد **١٥٠٠ طن** من مسحوق مخلفات الماشية (لحوم وعظام) المصابة- أو المشكوك في إصابتها بهذا المرض. لاستخدامها كعلف للماشية والدواجن.

-ومع تحذير البرلمان الاوروبي من تصدير اللحوم البريطانية واعتبار من يقوم بخرق الحظر عليها، بأنه يتصرف «بطريقة شديدة الاجرام» على حد وصف «**داجمار روث**» رئيس اللجنة الخاصة بذلك.

ورغم التحذير المسبق للمستشار التجاري المصري في بروكسل من محاولة تصدير كميات كبيرة من هذه اللحوم المصابة بجنون البقر إلى مصر.

فإن مافيا الاستيراد قد تمكنت -في شهري يونيو ويوليو ١٩٩٧-من إدخال أكثر من ١٨٠ ألف طن إلى مصر من هذه اللحوم.

-في مواجهة بحوث ودراسات كبار العلماء والاقتصاديين المصريين بشأن مستلزمات الانتاج الزراعي وضرورة اخضاع المستورد منها للمعايير الدقيقة لما تحمله بعضها من أمراض خطيرة على المحصول وعلى التربة وعلى الانسان. تجاهلا لذلك-وفي مواجهته -يفتح الباب على مصراعيه أمام مافيا الاستيراد -وعصابات

بطاطس وارز ولحوم وأسماك ودواجن.. مسموحة!

تخفيض عقوبة تلويث مياه النيل من السجن للغرامة!!

الحكومة تستسلم أمام مافيا الاستيراد..

التسلل- لهذه المستلزمات بكل ما ينتج عنها من مضار محققة.

ثالثا: فوضى السوق

في ظل رفع يد الدولة- بالكامل- عن عملية الانتاج والتسويق- خروجا حتى على النظم الراسخة للاقتصاد الرأسمالي الحقيقي- كان لابد من استشراء ظاهرة فوضى السوق.

ولعل أحد مظاهرها الواضحة -في هذا المجال- هو ترك عملية التحكم في الخضر والفاكهة في أيدي السوق السوداء بكل عشوائيتها واضرارها بالإنتاج والمستهلكين. وبالنسبة لمحصول واحد هو «البطاطس» وهو سلعة غذائية وتصديرية هامة في مصر- فلقد أدت فوضى السوق هذه- وعدم تدخل الدولة- إلى تحكم عدد محدود في الثلاجات وعدم التخزين للمنتجين الا بشروطهم المتعسفة مما أدى إلى أن عدداً كبيرا من هؤلاء المنتجين وكبديل للحفظ في الثلاجات قاموا باضافة مادتي الـ د. د. ت والملاثيون- رغم أنها من أشد المواد سمية-إلى البطاطس فكانت النتائج المؤسفة على المحصول والمستهلك في عامي ٩٥ـ ١٩٩٧.

..وأخيرا..

فإذا كان مهما أن نحصر الظواهر السلبية في المجتمع، فأهم من ذلك أن نحلل ما وراءها من عوامل ومسببات.

أما الأكثر أهمية فهو أن نحاول أن نضع لها الحلول الممكنة.

.. وفي هذا المجال، وحماية للمواطن المصري، فاننا نقترح:

١- الإسراع في إصدار قانون منع الاحتكار الذي أعده د. أحمد جويلي منذ توليه الوزارة من سنوات عديدة وما زال «حبيس الادراج» حتى الآن.

٢- عدم تخلي «الدولة» -تحت أي حجة- عن ممارسة دورها المفترض في الرقابة الفعلية على حركة السوق وخاصة بالنسبة لعمليات الاستيراد.

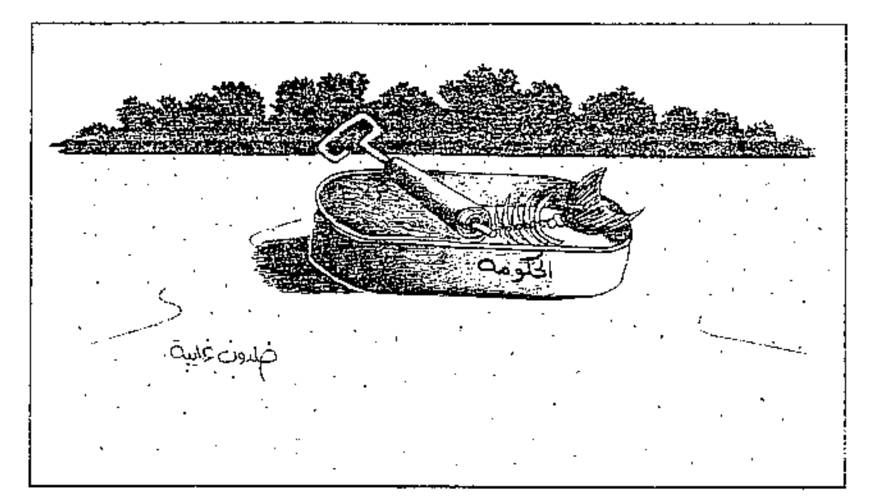
٣- تمكين التعاونيات الزراعية والسمكية من الاشراف الحقيقي على الانتاج الداجني والسمكي، ودعم صلاحياتها- ماديا وتشريعيا- بما يمكنها من القيام بهذه المسئولية الهامة في مجال الغذاء الشعبي.

٤- الجدية في تنفيذ قرار مجلس الوزراء في ١٩٩٦/١/٣١ بشأن عودة مشروع «البتلو» ،مع العمل على توسيع نطاقه واستفادة أكبر عدد من صغار المربين بمزاياه.

٥- تغليظ العقوبة على من يثبت في حقه جريمة التربح على حساب **غذاء الشعب وصحته.**

.. هذا هو الحد الضروري لحماية الغذاء الأساسي للإنسان المصري.

أما في حالة استمرار الوضع على ما هو عليه، وبمواصلة عملية «تسميم الشعب» فاننا ندرك -حينئذ- أن الحكومة لا تسير في سياساتها الاقتصادية على أسلوب عشوائي، بل إنها تنفذ إحدى النظريات المرفوضة في الفكر الاقتصادي والرأسمالي- وهي نظرية «**مالتس**» -التي ترى أن الحل الأمثل لعلاج الفجوة بين محدودية الموارد الاقتصادية وتزايد احتياجات المواطنين ، إنما هو في فناء جزء كبير من البشر بالحروب أو الأوبئة أو الأمراض الخطيرة!!.





حرب كونية وغزو اقتصادى أمريكى للسيطرة على العالم تحت اسم.. «الخصخصة»

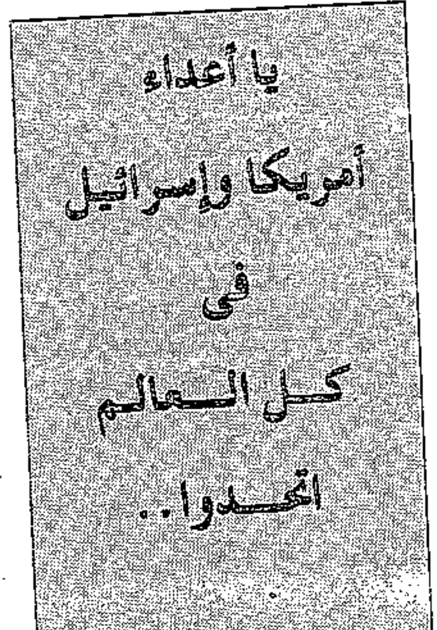
عبد الخالق الشهاوى

تريد أمريكا خصخصة العالم، وهى من أجل ذلك تخوض معركة كونية تشمل أقطار الأرض: يابسها وبحارها.. اقتصادها وأفكارها.

فالخصخصة عندنا ليست الوحيدة فى العالم، بل هى مع أخواتها الخصخصات الأخريات فى روسيا ودول «الكومنولث» التى كانت اتحاداً سوفيتياً، ودول أوروبا الشرقية التى كانت جزءاً من معسكر اشتراكى، ودول افريقيا وآسيا التى كانت مستقلة حديثاً إلخ إلخ.. هى مع أخواتها تعبير اقتصادى عن **العولمة**، أو **النظام العالمى الجديد**، أو القطب العالمى الوحيد الذى يحاول ابتلاع كافة الأقطاب.

ومنذ حوالى عام ونصف العام نشرت مجلة «**اليسار**» موضوعاً بعنوان «**القطاع العام فى سوق النخاسة الدولى**» (مايو ١٩٩٦ العدد ٧٥) حذرت فيه من أن **تصفية القطاع العام تحت اسم الخصخصة يعنى أن ثروة الشعب المصرى التى تكونت عبر قرن من الزمان. أصبحت معرضة للضياع والاهدار** وأن الحكم وأتباعه نجحا فى إحاطة الأمر كله بضباب كثيف يغطى قلب الحقائق وتزييفها.

وهذا التحذير من مجلة «**اليسار**» ليس نابعا من رؤية محلية لأخطار تحيق باقتصاد مصر وحدها، بل هى رؤية عامة للخصخصة باعتبارها عالمية. فالموضوع بعنوان خاص ينطبق على حالة عامة **فالهرولة لبيع القطاع العام لا تتم بقرار مصرى أو تحقيقا لمصلحة وطنية وإنما خضوعا لتوجهات وضغوط المؤسسات الدولية المالية التى هى أذرع الاخطبوط الأمريكى** (صندوق النقد الدولى، هيئة المعونة الأمريكية) وعمليات التقييم تباشرها بيوت خبرة أمريكية ،ومصرية بتمويل أمريكى (**١٠٥ ملايين دولار**). والشركات المطروحة للبيع تشمل عصب وعمود فقرى الاقتصاد المصرى (الصناعة الثقيلة) ثم الهيئات الخدمية مثل السكك الحديدية ،والنقل العام والمرافق وخدمات المياه والصرف الصحى وقناة السويس وشركات الطيران إلخ.



وهذه العناصر جميعا ليست محلية، بل هى عامة تشمل كل ما يقع فى نطاق أذرع الاخطبوط الأمريكى، **والخصخصة بهذا المفهوم ليست عدواناً محليا على اقتصاد مصر بل هى حرب كونية ،وغزو اقتصادى أمريكى فى نطاق خطة تخريبها لاقتصاد العالم من أجل السيطرة عليه وتطويعه لسوقها باسم خصخصة الاقتصاد العالمى.**

ليس ذلك فحسب هو السمة المشتركة بين **مصر** وغيرها من البلدان التى تقع فى نطاق هذه السياسة الاقتصادية الأمريكية، بل إن مشروعية المال الخاص الأمريكى والصهيونى فى العملية تطرح نفسها فى كل المواقع تقريبا، وبالذات فى دول الكومنولث تلك ودول شرق أوروبا.

هنا وهناك فإن السمات المشتركة ليست فى أساليبها فقط بل وفى نتائجها حيث لم **تستطع الخيمة الاعلامية إخفاء عواقب هذه** السياسة المتمثلة فى زيادة الفقراء فقرا وعددا **والأغنياء غنى وشراسة**،وبالتالى فانتشار

البطالة، وتفشى الفساد والجريمة فى كل المستويات الاجتماعية يؤكدان الصلة بين العنوان العام والتطبيق الخاص. بل يضيفان طرحا خاصا لمشروعية المال الخاص فى كل مواقعه.

وبالطبع فنحن كاشتراكيين نرى المشروعية هى الاشتراكية، أما الرأسمالية فإن مشروعيتها مفتقدة ابتداء من المراحل الأولى للتراكم البدائى وأساليبه غير الانسانية ثم لآليتها المفتقدة للضمير الاجتماعى حيث تستبيح لنفسها كل الأساليب الممكنة بغض النظر عن الشرعية مثل سياسة الاغراق والتحكم فى الأسواق والاحتكار والغزو والاستعمار مما يجعلنا نتساءل حول مشروعية رأس المال الأمريكى والاستعمارى وعموما مع تحفظ خاص للرأسمال الوطنى.

أما مشروعية رأس المال المحلى الخاص فقد عجزت خيمة الاعلام عن ستر عوراتها، وقد امتلأت صفحات الحوادث بالصحف بقضايا الاختلاس والسرقة بكافة أنواعها من البنوك والشركات، والاستيلاء على الأراضى الزراعية وأراضى البناء وأصبح من المتداول الحديث عن «**الحيتان**» وقضايا تهريب الأموال والتهرب من الضرائب واستيراد الأطعمة الفاسدة ولحوم الأبقار المجنونة، والمخدرات مما يجعل أصحابها خارج النطاق المؤتمن على صحة وسلامة الشعب وبالتالى خارج نطاق الثقة والجدارة بقيادته وتمثيله مثل «نواب الكيف» و«نواب القروض» و«العمولات» و«السمسرة» وما خفى كان أعظم.

وطرح المسألة على هذا النحو يعنى أن عدم المشروعية خارجيا وداخليا **ليس تبسيطا للمسألة. إنها دعوة للدراسة والاجابة عن أسئلة وتمحيص الاجابات**.. ماذا يجمعنا وماذا يفرق كل الذين طالتهم الخصخصة؟ وإلى أى حد يمكن للصفقة بطريقة أمريكا أن تنجح؟ وهل سيتحقق لأمريكا دور القطب الأوحد للنظام العالمى؟

وفى المقابل ماذا كانت مشروعية القطاع العام، والاصلاح الزراعى وتأميم القناة، والسد العالى، والصرح الاقتصادى الذى كان؟ إن عدم المشروعية لعملية الخصخصة برمتها الآتى من الجانبين الداخلى والخارجى، [illegible] فى تخريب القطاع العام وسرقته ثم

رأسمالية محلية يقودها نواب الكيف والقروض والعمولات..

الخصخصة تتم خضوعا لضغوط المؤسسات المالية الدولية

مطلوب خصخصة الفكر والتاريخ والجغرافيا والعواطف الوطنية

المتمثل فى عقود الاذعان والجبر والقهر فى عملية التقييم، والاستسلام والخضوع لمشروعية السرقة والتهرب الضريبى والتربح والعمولات والسمسرة.. كل هذا يدعو إلى دعم عملية مشروعية البناء الاقتصادى قبل أن تتهاوى كل أركانه.

إن الذين هاجموا القطاع العام ودعوا إلى تصفيته هم أولا وقبل كل الآخرين الذين استفادوا منه عبر إدارتهم له وقيادتهم لقدراته وأصبحوا بأموالهم التى سرقوها منه هم المنافسون له والداعون إلى تصفيته بحجة فشله وخسارته، ويمكن دراسة هذه الجزئية بتتبع المليارات التى ظهرت فجأة، وتتبع أصحابها، والمجالات التى كانوا يعملون بها فى قيادة القطاع العام والمجالات التى اختاروها إذ هم فى ثياب الرأسمالية الجديدة مع من أفرزتهم عملية الخصخصة.

ولابد هنا أن نؤكد أن **أبرز الجوانب العاطفية لعدم المشروعية هذه هو المتعلق بالعلاقات الاقتصادية الإسرائيلية، سواء كان عن طريق مباشر أو غير مباشر** عن طريق البنوك الأجنبية والشركات العابرة للقوميات الداعمة لاسرائيل والمدعومة منها، إذ أن مشروعية ما كان من بناء اقتصادى قد تعمدت بالدماء وأرواح الشهداء والدفاع عن الوطن، ولا يجب أن ننسى أن التأميم بعد العدوان الثلاثى كان موجها فى الأساس ضد الاستغلال الاستعمارى، وعلى الذين يطرزون قوانين التعويضات للاقطاعيين السابقين و«لضحايا» التأميمات ستجر إن قريبا أو بعيدا إلى تعويضات لاسرائيل عن أملاك رعاياها الذين هاجروا من مصر إليها أو عودة اسرائيليين إلى ملكية صروح اقتصادية كانت مجرد «محلات تجارية» حين أممت.

يبقى فى النهاية أن البحث عن ما هو مشترك فى التجارب المماثلة على الصعيد العالمى يتيح الفرصة لنوع من التآخى النضالى ضد هجمة شرسة تريد العودة لماضى الاستغلال الاستعمارى، وتجعلنا ضمن الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى الأعداء.

إن الجانب الخارجى من عدم الشرعية يعطى أبعادا هامة ويؤكد **إن تفكيك الاقتصاد الوطنى وحصاره وإعادة هيكلته بأيدى مصالح أجنبية يتفق ويتواءم مع تفكيك الوحدة الوطنية المدعومة بأرواح الشهداء، وأجساد الأسرى المدفونين**، إنها خصخصة الفكر والتاريخ والجغرافيا والعواطف الوطنية والوجدان، وروح التضامن بين بنى الوطن، وبين ضحايا الخصخصة العالمية فى كافة أرجاء الأرض، ضحايا سوق النخاسة الدولى.

وإذا كانت أمريكا وإسرائيل هما الخط المركزى فى النظام الأمريكى العالمى الجديد، **وإذا كانت البنوك الأمريكية الاسرائيلية هى مصدر الاشارات للتخريب فى أى موقع من العالم** فان القاسم المشترك يبدو مهما، وتجدر بنا مهمة ابرازه وتوضيحه واضعين نصب أعيننا الشعار الصحيح: «**ياأعداء أمريكا وإسرائيل فى كل العالم: اتحدوا**»!!.



* وجهة نظر المانية*

السياسة والاقتصاد ومعضلة الدولة الريعية

عرض لبحث عن سياسة مصر الاقليمية ومنهجها الاقتصادى

البحث الذي تقدم «اليسار» عرضا له هنا («توجهات السياسة الاقليمية والتوجهات الاقتصادية لمصر منذ بدء عملية السلام» بقلم فرهاد ابراهيم) نشرته في ١٩ سبتمبر ١٩٩٧ الصحيفة الاسبوعية الالمانية «داس برلامنت - البرلمان» وهي صحيفة تعد رسمية مهمتها إعلام البرلمانيين والسياسيين على المستوى الاتحادي ومستوى الولايات والمحليات وكذلك الهيئات الثقافية والتعليمية بالتطورات السياسية والفكرية العالمية والمحلية الجارية ومواقف الاحزاب الالمانية الممثلة في البوندستاغ وبالتطورات في البرلمان الاوربي. وتصدر الصحيفة ملحقا اسبوعيا يتناول شتى القضايا السياسية المحلية والعالمية بالتحليل.

واحد الموضوعات المركزية في المقال - وعموما في البحث الاكاديمي عن مصر - هو الطابع الريعي للدولة المصرية. ويعرف الباحث الالماني بيتر باتيلكا) الريع والطابع الريعي في صياغته التالية:

لا يوجد إقليم آخر في العالم تعتمد فيه أجهزة الدولة إلى هذا الحد المرتفع من الريع الدولي ومماثلات الريع والريع الدولي هو دخل يتحقق في ظروف تربة جيدة بشكل فوق المتوسط، وينشأ من إنتاج المواد الخام المعدنية والزراعية، ومن التلاعب السياسي بظروف السوق (الاحتكارات والمعدلات المشوهة لتبادل العملة وإلى ما يشبه ذلك) ومن هبات مالية مقابل القيام بمهمات سياسية خاصة. هذه الدخول لا تتحقق عن انجاز اجتماعي استثماري أو عن بذل عمل اجتماعي مماثل، ولذلك فهي لا تحتاج لأن يعاد استثمارها بشكل دائم مما يجعلها تحت التصرف (السياسي) للدولة. وقد ساعد هذا النوع الخاص من الدخول الخارجية للدولة على صعود بيروقراطيات دولة استبدادية أو طبقات حاكمة (بالحرف في النص الالماني: طبقات دولة Staatsklassen)، كما جعل الأنظمة السياسية في الشرق الادنى مستقلة إلى درجة كبيرة عن مجتمعاتها الخاصة، وسد طريق التطور الاقتصادي الاجتماعي».

ويفسر البحث التغيرات في التوجهات السياسية والاقتصادية بشحة منابع الريع السياسي ومماثلات الريع والمقصود بها بالتحديد هنا المساعدات التي تتلقاها مصر من دول الغرب مكافئة على اتباع نهج سياسي معين، والنفط والسياحة، وقنال السويس، وتحويلات العاملين المصريين في الخارج. كما يفسرها بعامل آخر يربطه بالاول وهو حسب رأيه خوف مصر من أن تفقد دورها لصالح إسرائيل التي تملك اقتصاداً قويا ويستعرض البحث الذي ينطلق بشكل واضح من وجهة نظر غربية العلاقة بين ما يسميه «عملية السلام» من ناحية و«التعاون الاقتصادي الاقليمي» الشرق أوسطي من ناحية أخرى وهو يستدعي للذاكرة هنا كيف تطبق دول الغرب الكبرى ومؤسساته الاقتصادية الدولية مع مصر سياسة العصا والجزرة بشكل ناجح.

يستهدف هذا العرض مجرد تعريف القارئ بالنظرة السائدة في الاوساط الرسمية وشبه الرسمية في بلد اوروبي يزداد نفوذه في السياسة الدولية، وهي نظرة محدودة بمنطلقاتها الليبيرالية وبالتصاقها بالمصالح الغربية في عالم تراد صياغته طبقا لتصورات الرأسمال. هذه المنطلقات تقود في أوضاع القوى الراهنة بشكل تلقائي إلى مواقف تهمل شأن مطالب العرب العادلة، وتجعل تبني مواقف تصب في دعم مواقف إسرائيل في المحصلة (وإن كان بالصمت عن جريمة الاحتلال والتوسع المستمرة) أمراً يبدو طبيعيا.

نبيل يعقوب

«يسجل الكاتب قناعته بأن السلطة المصرية قد تابعت محادثات السلام بقلق واستقبلت نتائجها بتحفظ (اتفاقية أوسلو بين اسرائيل و م. ت. ف ومعاهدة السلام مع الاردن) ويعتبر أن المصريين «الذين يرون عن حق أنهم كانوا من المبادرين بعملية السلام رأوا أن دورهم **قد أهمل في مفاوضات ١٩٩٣ - ١٩٩٤، وأنهم لم يشركوا كما يستحقون في المفاوضات الرسمية التي جرت بعد ذلك**. وانطلاقا من موضوعته الرئيسية يرى فرهاد ان «**الريع السياسي الذي تلقته مصر من أمريكا ودول الغرب الاخرى منذ اتفاقيات كامب ديفيد «مكافأة على موقفها**» آذن بالنضوب بعد أن فقدت مصر احتكار السلام مع اسرائيل» في العالم العربي. ويكتب إن هذا قد يحدث إذا ما استطاعت الدول المانحة جذب آخرين - مثل الاردن والفلسطينيين وآخرين - للسلام مع العدو مقابل تلقي «نفقة» سياسية (هكذا بالحرف).

وينطلق الكاتب من أن هناك علاقة واضحة بين «الريع السياسي» الذي تتلقاه مصر سنويا من الولايات المتحدة والدول المانحة الاخرى منذ عام ١٩٧٩ **والدور الاقليمي القائد لمصر**. ويقول ان القيادة المصرية اضطرت لهذا السبب منذ عام ١٩٩١ إلى اعتماد صياغة وممارسة جديدة لسياساتها الإقليمية.

ويشير المقال إلى أن الريع السياسي الذي تتلقاه مصر وسوريا والاردن يتكون من قسوم اقتصادية تدفعها الدول الصناعية ودول الشرق الأوسط النفطية مكافأة لسلوك **سياسي معين. ويعرف الريع الخارجي عموما كدخل لا ينشأ نتيجة استثمار أو عمل.**

ويصل بعد ذلك إلى ان «**انفعال**» القيادة المصرية حسب قوله، بعد عقد المعاهدات بين اسرائيل والاردن واسرائيل و م. ت. ف، جاء بسبب اعتقادها **بأن ثمار سياستها الاقليمية أصبحت مهددة منذ نهاية الثمانينات نتيجة التطور الجديد لعملية السلام**. ويذكر أن **موقف مصر في حرب الخليج الثانية**. جرت مكافأتها عليه من الدول الغربية ومن دول الخليج. **ويقول** ولكن كان من المفترض عند إبراز دور مصر كقوة قيادية إقليمية أن **تشترك بشكل حاسم في الخطط والتسويات الاقتصادية والسياسية** في هذه

المنطقة . ويقول فرهاد (مثله مثل العديد من المحللين السياسيين الغربيين): إن مصر تريد بجهودها الدبلوماسية **كوسيط** في مفاوضات السلام وكممثل **للمصالح العربية** في قضايا الأمن الاقليمي وكرائد **لتحقيق التفاهم والتعاون بين العرب أن تتصدى لخطر أن تزيحها اسرائيل بقدرتها الاقتصادية إلى الهامش في«الشرق الأوسط الجديد»**.

ويسجل الكاتب أن النهج الاقتصادي الذي تسلكه الحكومة المصرية والمسمى «عملية تحرير الاقتصاد يتحقق **تحت ضغط ورقابة الدول المانحة والمؤسسات المالية الدولية**» ،ولكنه يذكر أن «سياسة تحرير الاقتصاد» الثابتة التي تتبعها الحكومة المصرية ترمي إلى غرض آخر أيضا وهو **المشاركة بشكل أكثر فعالية في الهياكل الاقتصادية الجديدة في المنطقة**.

ويتساءل فرهاد ان كانت مصر ستتمكن من **الحفاظ على استحقاق أن تكون قوة قيادية اقليمية، وان كانت قادرة على اتباع سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة الامريكية راعيها وممولها الحالي**. كما يتساءل ان كانت مصر قادرة على استخدام دورها الاقليمي **لتوسيع مجال حركتها السياسية والاقتصادية** ولتشترك في ذات الوقت في **امكانيات تعبئة الريع** التي اتسعت في ظل عملية السلام. كما يحدث **التداخل بين التوجه الجديد للسياسة الاقليمية والاصلاحات الاقتصادية التي اجريت في التسعينات**.

٢-رد فعل مصر على التغيرات السياسية والاقتصادية الاقليمية

يكتب فرهاد أن التقارب مع الدول العربية والعودة إلى الجامعة العربية «**بدون تعريض اتفاقية كامب ديفيد مع اسرائيل إلى الخطر**»يعد نجاحا كبيرا لسياسة مصر الاقليمية . **ولكن حرب الخليج الثانية قسمت العالم العربي** . ورغم ذلك ظلت مصر، حتى في الوضع الجديد الناشئ ، تعتقد بأنها قادرة على تفعيل دورها باعتبارها القوة العربية القائدة. ويسجل الكاتب فشل محاولة إقامة الاتحاد الأمني الاقتصادي الذي أرادات مصر وسوريا وست من دول مجلس التعاون الخليجي انشاءه كما عبر عنه«**اعلان دمشق**». **ويفسر هذا بأن ، دول الخليج كانت قد وضعت نفسها تحت حماية الولايات المتحدة الامريكية ولم يعد لديها اهتمام بالتحالف مع مصر وسوريا** . ويلاحظ أن الولايات المتحدة استغلت الوضع الناشئ بعد حرب الخليج الثانية ورغم استعداد مصر لدعم جهود أمريكا الا أن الاخيرة لم تكن محتاجة بشدة لمساعدة مصر في إعداد مؤتمر السلام»..

يستنتج الكاتب من هذا ان **ترتيب معاهدات السلام في اواسط التسعينات أخاف مصر من احتمال تهميش دورها الاقليمي** وكان هذا مبرر **اعطاء سياسة مصر الاقليمية توجها جديداً** بعد معاهدات السلام. ولا بدلنا أن نلاحظ أن الكاتب لا ينظر بالمرة لطموحات اسرائيل نحو التوسع والهيمنة الاقتصادية والسياسية ولا يعطي أي اعتبار لمصالح قومية مصرية أو عربية. وهذا تحيز فج من اكاديمي يبحث في ميدان العلوم السياسية لانه **يصمت كليا في مواجهة مبدأ الامن غير المتساوي** الذي تنطلق منه إسرائيل وتدعمها فيه الولايات المتحدة.

وفي تصويره للمواجهة الرسمية المصرية للتحديات والاخطار يطرح النقاط التالية:

-الاعتراف بواقع إنهيار«**النظام الاقليمي العربي**» بعد حرب الخليج الثانية مما «يعني احتمال ان **تفقد مصر القاعدة التي ترتكز عليها سياستها الاقليمية**».

-خوف مصر من احتمال ان تتضاءل أهميتها اذا ما تم التوصل إلى سلام شامل في الشرق الأوسط لأن المفاهيم العربية التوحيدية العامة مثل **التضامن العربي** وقبله مفهوم **الأمن القومي العربي** لم يعد لها معنى واقعي».

-**بفضل اقتصادها القوي تستطيع اسرائيل في ظل سلام شامل أن تلعب دورا مسيطرا** مما يضر بمصر.

- ويقول ان استراتيجيي السياسة الخارجية المصرية قرروا تطبيق«**سياسة خارجية فعالة وديناميكية**» لتفادي التهميش الاقليمي. وتطلب هذا بذل جهود **لاعادة بناء نظام اقليمي عربي** . ويسجل ان مصر حاولت في السنوات الاخيرة **اعادة تفعيل الجامعة العربية** التي فقدت كثيرا من أهميتها بعد حرب الخليج الثانية.

ويعلق بأن نجاح الدبلوماسية المصرية في هذا المجال كان محدودا.

٣- جهود مصر لاعادة تفعيل النظام العربي

ويقول إن مصر **قاومت الخطة المطروحة للنقاش حول شرق أوسط جديد** بالتوظيف البراجماتي لفكرة الوحدة العربية وكان الهدف يتمثل في **الحد من دور المشاركين غير العرب وبالاساس الاسرائيليين في** التعاون الاقليمي ، ويتمثل من ناحية أخرى في **اعطاء الشرعية لدور مصر القيادي في المنطقة**.

ولكن دول الخليج ،كما يبدو بسبب تجربتها مع العراق، أخذت على الخطط والافكار التي طرحتها مصر مثل فكرة «**ميثاق شرف للتعاون والأمن العربي**» وعلى شعارات الأمن **العربي والمصالح المشتركة** بعدها عن الواقع بسبب الاستقطاب القائم في العالم العربي، وبسبب أن تكلفتها غير محتملة. ويستخلص أن الجهود المصرية قد فشلت في إنشاء المحيط الضروري لسياستها الاقليمية الامر الذي لم يمنع مصر من أن تحاول تأكيد استحقاقاتها في **السيطرة الاقليمية** . وهو يسجل هنا الأمثلة التالية:

-بعد أن عقدت الاردن و م . ت . ف معاهدات مع إسرائيل ، بأسرع مما تصور المصريون . حاولت مصر التأثير على التطبيع مع إسرائيل. وكانت الوساطة بين إسرائيل و م. ت. ف . تخدم منذ ١٩٩٤ تفعيل الاهمية الاقليمية لمصر. ولكن بعد انتخاب نتنياهو وضع حد لجهود الوساطة المذكورة . وتتهم إسرائيل مصر بنصح الفلسطينيين بانتهاج خط متشدد لكي تلعب في النهاية دور الوسيط.

-قامت مصر بدور **المتحدث باسم الدول العربية منذ ١٩٩٤ في قضية حظر انتشار التسلح النووي** . واتخذت الدبلوماسية المصرية في نهاية ١٩٩٤ مد معاهدة حظر الانتشار النووي مناسبة لتجعل **انضمام إسرائيل للمعاهدة شرطا للموافقة على المد** . وان كانت مصر ظلت تطالب إسرائيل بهذه الخطوة باستمرار، من خلال العلاقة الثنائية ، جاء تجديد طرح القضية مرتبطا باهداف سياسة، «**وبه ارادت مصر اظهار انها قادرة على انتهاج خط مستقل في سياستها** الخارجية رغم **معاهدة السلام مع اسرائيل ورغم العلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة**

كمال الجنزوري... الاستثمارات الاجنبية



الامريكية ». ولم تقبل إسرائيل كشف برنامجها النووى للرقابة الدولية كما لم تقبل أن تلتزم بتخفيض أسلحتها النووية بشكل مواز لمعاهدات السلام مع الدول العربية . ولكن بالرغم من موقف إسرائيل الرافض **اضطرت مصر فى النهاية للموافقة على مد معاهدة الحظر النووى تحت ضغط الولايات المتحدة الامريكية.**

– لم يقتصر موقف القيادة المصرية فى منتصف التسعينات على النظر إلى معاهدات السلام بريبة وانفعال . ويذكر الكاتب على سبيل المثال السياسة المتبعة إزاء العراق والمعاهدة العسكرية التركية الاسرائيلية. ويقول إن مصر التى لم يكن بيدها أدوات سياسية اكتفت فيما يخص العراق باعلان صيغة أن مصر ترفض كل ما يهدد وحدة العراق الاقليمية.

كما وقفت مصر فى عام ١٩٩٥ ضد التدخل الاردنى ضد العراق والذى تم بإيعاز من أمريكا.

– ويلاحظ الكاتب **تناقضات السياسة العربية** ازاء **المعاهدة العسكرية الإسرائيلية التركية** ، والتى تمس بالدرجة الأولى أمن سوريا . فمن ناحية قيمتها مصر على أنها **خطر يواجه الأمن الاقليمى** ، ورفضت محاولات التهدئة التركية بدعوى ان المعاهدة مجرد معاهدة فنية وليست سياسية. وبالرغم من **ذلك جاء قرار مؤتمر القمة لدول الجامعة العربية فى يونيو ١٩٩٦ حول التعاون العسكرى الاسرائيلى التركى معتدلا فاقتصر** الامر على تحذير تركيا حتى لا تهدد أمن الدول العربية بمعاهدتها مع إسرائيل . ويقول ان هذا البيان المتحفظ لم يسر النزاع مع تركيا . **وأن مصر سعت للحيلولة دون أن** يذهب التعاون بين تركيا وإسرائيل إلى مدى **أبعد وربط هذا بما يسميه «التمهيد لفكرة التعاون العسكرى مع إيران»** لتنبيه تركيا لوجود إمكانيات لاستراتيجيات مضادة.

– ويلاحظ الكاتب محاولات القيادة المصرية «**الابتعاد بقدر معين عن سياسة امريكا فى الشرق الأوسط لاظهار استقلال سياستها الخارجية**.» ويقول : كان المطلوب من الولايات أن تعترف بدور مصر الاقليمى فى الترتيبات الجديدة فى الشرق الأوسط وألا تعطى أفضلية لاسرائيل. فى نفس الوقت أرادت مصر أن تظهر للدول العربية انها **بالرغم من الارتباطات بالولايات المتحدة منذ اتفاقية كامب دفيد فهى لا تخضع لضغط القوى العظمى** فيما يتعلق بالنزاع العربى الاسرائيلى.

–وتجد جهود مصر من أجل التفوق الاقليمى التعبير عنها ليس فقط فى التحفظات ومواقف الرفض . **فقد حاولت مصر بسياسة خارجية ديناميكية وفعالة خاصة منذ ١٩٩٥ أن تحصل على احترام إقليمى بالقيام بدور وساطة نشط للغاية فى النزاع بين الفلسطينيين والاسرائيليين**. وبغض النظر عن هذه الوساطة حاولت مصر بعد حرب الخليج الثانية أن تأخذ دورها **الكلاسيكى كعامل مساعد** (كعنصر حافز) على **تحقيق التقارب بين العرب** . ويكتب ان مصر ادركت أن العالم العربى رغم مظاهرات الصلح سيبقى منقسما ومستقطبا لزمن طويل ويسجل ان التجمعات التى نشأ بعضها قبل حرب الخليج الثانية لا تستطيع بالفعل أن تلتقى إلا من خلال مصر، ومن خلال دورها كعنصر حافز ووسيط.

ويرجع الكاتب جهود مصر لجمع العرب بغرض ابراز دور **مصر الاقليمى من أجل تأمين الأموال من الخارج** ومن أجل أهداف أخرى . **ويقول إن قرارات جامعة الدول العربية فى السنوات الثلاث الاخيرة جاءت معتدلة جدا مراعاة لموقف الدول المانحة** وهكذا صيغ قرار الجامعة العربية فى مايو ١٩٩٧ للابطاء من عملية التطبيع مع إسرائيل **غامضا جدا، وترك لكل دولة على حدة أن تفسره . أعفت الدول التى نظمت علاقاتها مع اسرائيل بشكل تعاقدى –مثل مصر– من تنفيذ التوصية.**

٤– **مصر.. من دولة ريعية إلى نمر جديد؟**

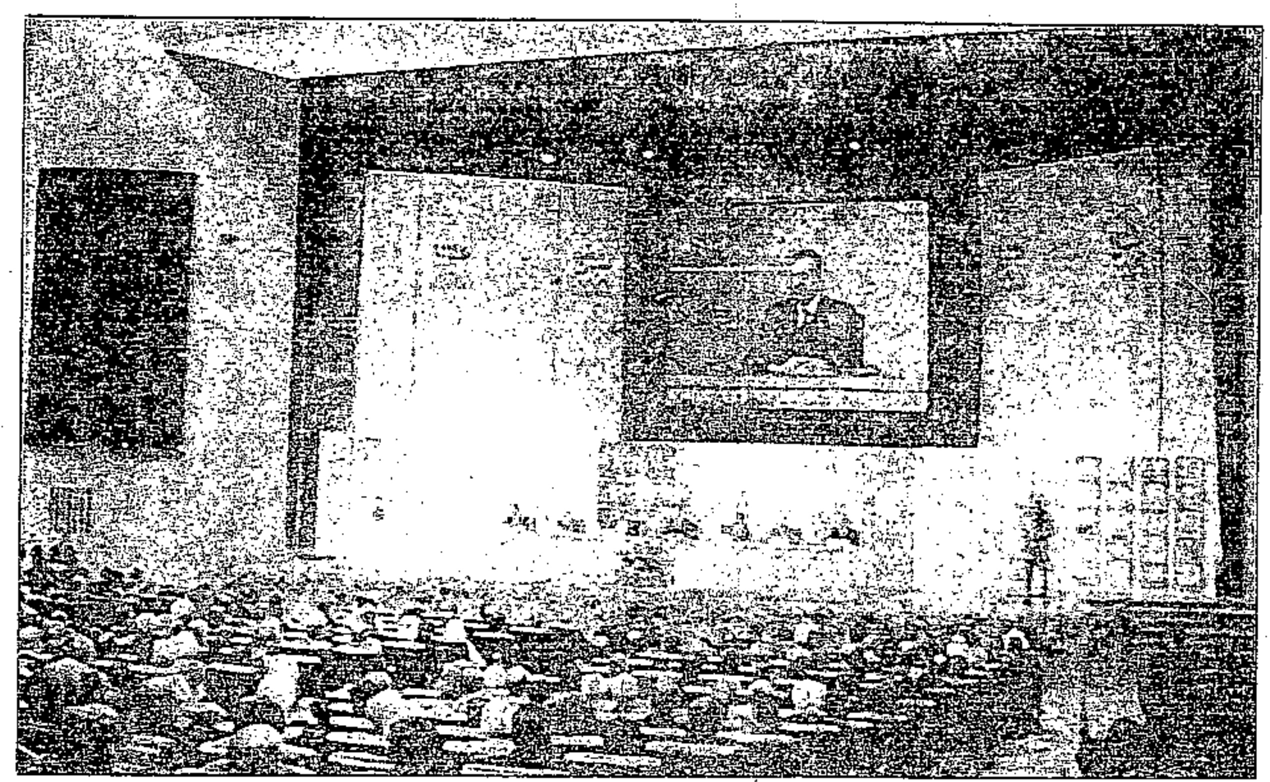
يرى الكاتب ان «الاصلاحات الاقتصادية المطبقة فى التسعينات والانفراج الذى شهده الاقتصاد المصرى فى السنوات الثلاث الأخيرة» ساعد على أن تنتشر فى مصر النظرة إلى نموذج **«النمر الآسيوى» كنموذج لمصر ذاتها** . ويستنتج أن هذا يعد اقرارا بضرورة إجراء **مصر تغييرات هيكلية لأن مصر التى تعد مثالاً «للدولة شبه الريعية»** ينبغى أن تصبح دولة منتجة اقتصاديا وذات توجه تصديرى. من الناحية الاخرى لا زال الواقع الاقتصادى يبين أن **الدخول المماثلة للريع**، والمقصود هنا هو **«الاربعة الكبار»** (النفط ، والسياحة ، ورسوم قناة السويس، وتحويلات العمال المصريين) **والريع السياسى** لا زالت تمثل الاسس التى يرتكز عليها الاقتصاد المصرى. ويقول انه على عكس مثال إسرائيل التى تتلقى ريعا سياسيا لم يعوق نمو المنظمات الاجتماعية كان لمشكلات الريع

وللريع السياسى فى مصر اثر سلبى دام زمنا طويلا حتى انه **سد الطريق فى وجه الاصلاحات الاقتصادية حتى بداية التسعينات**. ولكن مصر استطاعت، ورغم الاعتماد على الريع، وربما بسبب حقن رأس المال التى حصلت عليها حتى منتصف الثمانينات، أن تحقق معدلات نمو وصلت إلى ٩ بالمائة(؟).

ويتعرض البحث إلى أزمة النمط الريعى والتى ألقت بظلها على التنمية فى مصر فى النصف الثانى من الثمانينات **كأزمة مستمرة** . وتمثلت الاسباب فى هبوط دخل مصر مما يسمى بالمصادر «**الاربعة الكبار**» الى درجة حساسة . والى جانب **انخفاض الدخل من النفط اضطر جانب من القوى** العاملة المصرية فى بلدان النفط العربية إلى **العودة إلى** الوطن، واضافة إلى ذلك قررت الدول النفطية **الحد من كمية النقود المسموح للعاملين الاجانب بتحويلها** . واصيب الدخل من **السياحة ومن قناة السويس** بالركود بسبب الشعور العام بانعدام الأمن الذى سببته حرب الخليج الأولى.

ويكتب فرهاد إبراهيم أن مديرى الازمات فى الدولة المصرية ، التى توصف **بأنها تجيد فن البقاء** .كان لديهم للتغلب على الازمة خيارات أقل بكثير مما كان باديا . إذ من ناحية خشيت الحكومة المصرية الاصلاحات الهيكلية التى فرضتها الولايات المتحدة الامريكية والمؤسسات المالية الدولية، ومن الناحية الاخرى راهنت على **أن الولايات المتحدة الامريكية لا يمكن ان تترك دولة بأهمية مصر تسقط**. وفى الخيار الأول كان على الدولة (التى تدعم ٨٠ بالمائة من وسائل المعيشة التى يتم استيراد الجزء الاعظم منها) أن تقامر بشرعيتها السياسية .**وكان شرط إعادة هيكلة الاقتصاد يتمثل فى خصخصة قطاع الدولة المنهك**. ولكن هذا كان يعنى فى نظر كاتب البحث ويتردد فى العديد من التحليلات المساندة لوصفة الخصخصة «**نهاية الامتيازات التى يتمتع بها جزء من البيروقراطية التى تمثل دعامة الدولة**».

وعندما يكتب فرهاد ابراهيم أنه لم يكن من المتوقع أن تؤدى إعادة هيكلة الاقتصاد إلى الحد بشكل محسوس من البطالة التى تقدر بنسبة ٢٠ بالمائة يصل إلى حد التضليل الصريح. فليس هناك من يتوهم أن تحد اعادة الهيكلة (أى الخصخصة) من البطالة، اذ **المشاهد فى كل مكان أن عملية الخصخصة** ارتبطت بتفاقم ظاهرة البطالة إلى حد الكارثة **الاجتماعية، حتى فى المانيا الغنية**.ويقول



المؤتمر الاقتصادي الشرق أوسطي بالقاهرة.. الخوف من السيطرة الاسرائيلية

مستعدا تردد الحكومة المصرية بين تنفيذ تعليمات الصندوق الدولي وحرصها على تفادي الانفجار الاجتماعي اتبعا معوقات السياسة القديمة وكانت النتيجة مديونية أكبر . ويكتب أن مصر كانت على وشك الانهيار وكان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحمي مصر من الافلاس لأسباب استراتيجية ويسجل ان القيادة المصرية تخلت بعد حرب الخليج الثانية عن معارضتها لتنفيذ برنامج التكيف الاقتصادي الهيكلي الذي طالب به صندوق النقد الدولي [illegible] ذلك بالاحتياج [illegible] سداد [illegible] ورأى الاتفاق على التنازل عن ديون أخرى فالتمرا عاملين إضافيين [illegible] قرار الحكومة المصرية من ناحية [illegible] الاقتصادية القديمة [illegible] تسمح قرة [illegible] ومن ناحية أخرى الخوف من [illegible] مصر وكانا كما يجب في مجرى التحولات الاقتصادية الإقليمية . وكان من شأن العاملين أن يعصرا بشرعية النظام السياسي وفرص بقائه».

٥- إعادة هيكلة الاقتصاد المصري

جاء قانون الخصخصة الذي لم يصدر إلا في عام ١٩٩١ بلا شك نتيجة لاتفاق مع [illegible] الدولي [illegible] وجهته الحكومة المصرية لصندوق النقد الدولي

اعلنت الحكومة عزمها على تنفيذ التزامات تؤدي إلى تطبيق نظام اقتصاد السوق. وإلى جانب الخصخصة التزمت مصر بتحرير التجارة الخارجية وبتوجه اقوى لاقتصاد السوق نحو الخارج، وباصلاح قطاع التأمينات وقانون الايجارات. وفي سبتمبر ١٩٩٣ تم توقيع اتفاقية ثانية مع صندوق النقد الدولي تلزم باصلاح السياسة الضريبية والخصخصة. وفي اعلان نوايا بتاريخ أغسطس١٩٩٣ تحدد كم شركات الدولة التي سيجرى إعادة هيكلتها [illegible] ٣١٤ شركة [illegible] ٧٤ شركة [illegible] وتصفية ١٥ شركة مضرابة بديون ثقيلة وخصخصة ١٢٥ شركة. وجرت ببطء شديد خصخصة مؤسسات الدولة التي ستجمع [illegible] ٢٧ [illegible] على ٣١٤ شركة [illegible] عدد الشركات التي تم بيعها لم يصل عام ١٩٩٧ إلا إلى ٤٦ شركة بقيمة ٣ر١ مليار جنيه مصري . ويصعب ان يعد هذا نجاحا لأن قيمة بيع المؤسسات المعروضة للبيع يقدر بنحو ٨٠ مليار جنيه أي ما يعادل ٢٧ مليار دولار تقريبا. وللابطاء في خصخصة مؤسسات الدولة أسباب متعددة:

- رغم انشاء ما يتراوح بين ٢٥٠ و٣٠٠ [illegible] القوى العاملة الجديدة كل سنة بلا وظيفة .

وستؤدي الخصخصة بسبب الترشيد والتجديد إلى ارتفاع معدل البطالة والذي يقدر اليوم رسميا بنحو ٩ بالمائة وتصل التقديرات غير الرسمية إلى ما يزيد على ٢٠ بالمائة.

- وينتقد الكاتب ربط بيع شركات الدولة بشرط عدم فصل العاملين خلال السنوات الثلاث الأولى بعد الشراء، وبيع من ٥ إلى ١٠ بالمائة من الاسهم للعاملين مقدرا انهما اثرا سلبا على استراتيجية بيع الشركات. ولكن الترتيبات المقررة تسمح للمشترين بتخفيض عدد العاملين بدفع تعويضات لهم. ويرمي الصندوق الاجتماعي للتنمية الذي أسسته الدول المانحة والحكومة المصرية إلى تخفيف الآثار الاجتماعية السلبية بتمويل الصناعات الصغيرة وبرامج إعادة التأهيل

- ويذكر البحث ان «التلكؤ» في بيع المؤسسات وتحفظ المستثمرين بسبب الحالة غير المشجعة للشركات المعروضة للبيع دفع إلى «اختراع» طرق جديدة للخصخصة . فلجأت بعض المؤسسات إلى خصخصة بعض اقسامها بحيث بدأ عرض اسهم الشركات في البورصة على خطوات ويقول أن هذا الاسلوب في الخصخصة يسمح بفساد ذي أبعاد هائلة بسبب عدم كفاية الرقابة. وفضيحة الحباك التي كشفت في عام ١٩٩٦ لا تمثل سوى قمة جبل الثلج في بحر من عمليات الخصخصة

التي يكتنفها الغموض. وعبد الوهاب الحباك الذي حكم عليه بعقوبة سجن طويلة وغرامة مالية عالية كان مديرا **للشركة القابضة للصناعات الهندسية وهي شركة تضم ٢٠ مؤسسة للصناعات الاليكترونية بيعت أجزاء** منها إلى مستثمرين اجانب بأسعار تقل كثيرا عن قيمتها الحقيقية . واتهمت النيابة مدير الشركة القابضة بتلقي عمولات ورشاوي تصل إلى ٢٠٠ مليون دولار.

- ومن المتوقع أن تجد الحكومة نفسها مضطرة إلى عرض الشركات في البورصة لكي تتمكن من تنفيذ برنامج الخصخصة بسرعة ولكي تتفادى مسئولية تسديد العجز الجاري.

ويقول إن الحكومة المصرية تحاول تفسير التحسن الواضح في حالة الاقتصاد المصرى بانه نتيجة لسياسات تحرير الاقتصاد. وبالفعل **يشهد الاقتصاد المصرى منذ حرب الخليج الثانية حالة ملحوظة من الازدهار** يمكن ملاحظته في معدلات نمو الدخل القومي الاجمالي والتي بلغت ٢ر٣٪ سنة ١٩٩٤ و ٣ر٤٪ سنة ١٩٩٥ . وطبقا للتكهنات **يتوقع وصول معدل التنمية إلى ما يتجاوز ٦ بالمائة في السنوات المقبلة** . ويعني هذا أن الدخل القومي الاجمالي سينمو بسرعة تتجاوز **ضعف معدل نمو السكان** . ويبلغ الدخل بالنسبة للفرد في مصر ١٠٢١ دولار يتم لاول مرة تجاوز حد الألف دولار وفي الوقت نفسه كدست مصر **احتياطات ضخمة من العملات الصعبة بلغت ١٩ مليار دولار** في عام ١٩٩٧ . واعلن وزير الاقتصاد بثقة ان المديونية لم تعد تمثل مشكلة للاقتصاد المصري. **والاحتياطات الضخمة من العملات الاجنبية من ناحية وانخفاض المديونية التي بلغت في عام ١٩٩٧ نحو ٢٥ مليار دولار من ناحية ثانية تمثلان أساسا جيدا** . وقد أقر نادي باريس في أكتوبر ١٩٩٦ توصية لصندوق النقد الدولي تقضي باعفاء مصر من ديون قيمتها ٤ مليار دولار.

ويغض النظر أن هذا الوصف النيوليبرالي لا حوال الاقتصاد المصرى لا يتعرض بكلمة **إلى تطور الاجور الحقيقية، وإلى مستويات المعيشة ، خاصة إلى الاحوال الاجتماعية البالغة التعقيد مثل غياب ضمان اجتماعي حقيقي يشمل أيضا فترات التعطل عن العمل ، يعكس تقدير كاتب البحث ما يسجله خبراء المؤسسات الاقتصادية الدولية من إن خطة الخصخصة وربط الاقتصاد المصرى بالسوق العالمي قد حققت خطوات في الاتجاه** المفروض. هنالك أيضا معدل التضخم **المنخفض**(٦ بالمائة) والزيادة الطفيفة في عجز الميزانية (واحد بالمائة)ومعدل التنمية المرتفع وأن لم تتبعه الزيادة المرجوة في الادخار ولكن يمكن في ا لسنوات الخمس الاخيرة الهبوط **بالعجز المزمن للميزان التجاري إلى تحت** علامة السبع مليارات دولار. وقد حققت المنتجات الصناعية تطورا يبين مدى التغير الحادث في البنية الاقتصادية في مصرفعلى سبيل المثال صدرت شركة الحديد والصلب في الاسكندرية منتجات قيمتها ٩١ مليون دولار سنة١٩٩٤ وهذه قيمة صادرات القطن في نفس السنة.

ويقول الكاتب أن مؤشرات الاقتصاد المصري تعلن عن أرقام ايجابية ايضا في بداية الثمانينيات . ويذكر ان الدولة المصرية ستحتاج لجزء كبير من حصيلة بيع المؤسسات لتغطية ديون المؤسسات الاخرى التي تسجل عجزا. ويدون الاقلال من قيمة نجاحات الحكومة المصرية في تحقيق الاصلاحات الاقتصادية سجل حصاد «الاربعة الكبار» نموا فوق المتوسط. وقد سجل قطاع السياحة في عام ١٩٩٦ دخلا قدره ١ر٣ مليار دولار . وبلغت تحويلات العاملين المصريين في الخارج نحو ١٠ مليارات جنيه مصري. واتت رسوم قناة السويس لخزينة الدولة بما يزيد على ٩٠٠ مليون دولار وكانت حصيلة صادرات النفط ٨ر٨ مليار جنيه.

٦- مصر والتعاون الاقتصادي الإقليمي

قبل أن تتخذ فكرة التعاون الاقتصادي الاقليمي التي اقترحت في مؤتمر السلام في مدريد أشكالا ملموسة بدا في وسائل الاعلام الجماهيرية المصرية نقاش حول دور مصر **في سوق شرق أوسطى مستقبلي** وحول أبعاد المشاركة الاسرائيلية فيه. فمن ناحية كانت مصر بسبب وضعها الاقتصادي تلقة من أنها **لن تستفيد بشكل كاف من هذا السوق**، ومن ناحية أخرى كان هناك **خوف من أن يبسط الاقتصاد الاسرائيلي سيطرته**. وأخيرا كان لابد من أن تخشى مصر في إطار تسوية سلمية وشاملة ونشوء سوق اقليمي ان يجرى **تخفيض المعونة الامريكية لمصر والتي تبلغ نحو ١ر٢ مليار دولار سنويا**.ولكن يبدو ان هناك شيئا واحدا كان واضحا للقيادة السياسية المصرية وهو أن **العلاقة الحالية مع الدول المانحة، والتي نشأت منذ اتفاقية كامب ديفيد ستتغير**.

وفيما يخص مشاركة إسرائيل في سوق الشرق الأوسط دار نقاش شير قبل كل شئ عن الخوف من أن الاستثمار سيتحقق بالدرجة الأولى في إسرائيل وأن السلع الاسرائيلية سيجرى تصريفها هنا. وقد استقبلت بالنقد في مصر تصورات **شمعون بيريز** عن منطقة تجارة حرة تؤدى فيها التكنولوجيا الاسرائيلية ، والأيدي العاملة من البلدان الفنية بالسكان ، وتمويل رؤوس الأموال الخليجية إلى تكامل اقتصادي ناجح»*.

ولم تكن مصر، التي يعود لها في هذه الشراكة دور الذى يقدم القوى العاملة ،موافقة على خطة التكامل هذه. وقد قيل ان كل بلد- حتى لو لم تكن تتوفر بها العوامل المذكورة بنفس القدر- يمكنها ان تسعى لاستيراد العوامل التي لا تحوزها بالقدر الكافي، دون الدخول في برنامج تكاملي. وقد عكست التحفظات المصرية حتى انعقاد الدورة الاولى **للمؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (مينا MENA)في الدار البيضاء في** نوفمبر ١٩٩٤ الاعتبارات التالية:

إن التصورات المطروحة عن التكامل الاقتصادي الاقليمي تتسم بالغموض. وهناك خطط ثلاث نوقشت حتى ١٩٩٤:

١- تأسيس منظمة **إقليمية للتعاون الاقتصادي والتنمية** على غرار منظمة التعاون التنمية الاقتصادية OECD.

ب- أن ينشئ البنك الدولي **برنامجا خاصا للشرق الاوسط.**

ج- تأسيس **بنك تنمية إقليمي.**

وبدا ان انشاء برنامج خاص للشرق الأوسط لا لزوم له لان البنك الدولي كان لديه بالفعل برامج خاصة لاقراض دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا. وتأسيس **منظمة تعاون اقتصادي وتنمية على غرارOECD** كما اقترحتها الدول الاوروبية كتنظيم وسيط يقوم باعداد تحليلات السياسة الاقتصادية وعنصر وساطة في تمويل المشاريع اعتبر **قليل الجدوى** لافتراض ان مصالح دول الاقليم هنا، خلافا لاهتمامها ببنك للتنمية ، لن تكون كبيرة للغاية.

ويقول ان ارتياب المصريين وتحفظاتهم ليس سببها فقط خشية احتمال تخفيض «الريع السياسي» الذى تحصل عليه مصرالسبعينات وحتى الآن، **وانما تبررها خبرات تاريخية وقضايا هيكلية عامة من السنوات الخمسين الماضية فيما يخص التكامل الاقتصادي الاقليمي** . وقد فشلت فشلا ذريعا كافة المعاهدات الاقتصادية الاقليمية باستثناء مجلس التعاون الخليجي.

وخلصت خطة المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال افريقيا لتصبح **خليطا من كل**

البدائل الممكنة للتعاون الاقتصادي الاقليمي، واتخذ المؤتمر وظيفة ندوة لعرض المشاريع الاقتصادية الوطنية والإقليمية. واضفت مشاركة المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية على المؤتمر طابع سوق لاجتذاب الاستثمارات الدولية المباشرة (Foreign Direct In-vestment).

وأخيرا قرر مؤتمر (مينا) في عمان سنة ١٩٩٥ تأسيس عدة منظمات ومنها بنك تنمية اقليمي ومنظمة سياحية اقليمية لشمال افريقيا واخرى للبحر الأبيض المتوسط، ومجلس اقليمي لاصحاب الاعمال.

ولكن مصر اضطرت بعد «مينا واحد» و«مينا اثنين» للتخلي عن تحفظها ازاء التعاون الاقتصادي الاقليمي. وكان مفهوما من البداية أن هناك تأثير متبادل بين عملية السلام والتعاون الاقتصادي الاقليمي. وكان التأثير المتبادل مقصودا لكي يقوم المشاركون بتحقيق تقدم في المجالين. ولكن الحكومة المصرية التي استشعرت خطر احتمال ان تفقد مصر دورها باعتبارها القوة العربية الاولى لصالح إسرائيل اتبعت استراتيجية مزدوجة: من ناحية لم ترغب مصر في إحراج الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى باتخاذ موقف المعارضة الصريحة للمؤتمر. و**لم تكن مصر تعارض المؤتمر بشكل مبدئي**. وكان الغرض هو تأجيل المؤتمر إلى حين يصبح الاقتصاد المصري مستعدا للتعاون الاقليمي. ومن ناحية أخرى عندما خطت الولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الاوروبي والمشاركون الاقليميون بعقد «**مينا واحد**» خطوة هامة **لأقلمة الاقتصاد اضطر المصريون ان يشاركوا لأسباب اقتصادية وسياسية** ولان يعملوا على جذب الممولين لمشاريعهم. ورغم ذلك حاولت مصر تحذير المشاركين العرب (على سبيل المثال البحرين وعمان وقطر وتونس وموريتانيا والمغرب) -خاصة إزاء مشاركة اسرائيل- من التسرع في تطبيع علاقاتها الاقتصادية باسرائيل وكانت الدول المذكورة قد أقامت علاقات اقتصادية باسرائيل قبل التوصل إلى سلام شامل.

وبهبوط وتيرة عملية السلام تباطأت أيضا مسيرة العنصر الاقتصادي المكمل للعملية، وهو وضع مناسب جدا لمتطلبات الاقتصاد المصري. ويمكن وصف «**مينا الثالث**» الذي انعقد في مصر في نوفمبر ١٩٩٦ **كما يلي: مشاريع اقليمية أقل**. نزع الطابع السياسي للتعاون الاقتصادي والاقلال إلى أكبر حد ممكن من مشاركة اسرائيل.

في مينا الثالث برزت جهود الحكومة المصرية لدفع عملية الخصخصة. وكان نصيب القطاع الخاص من المشاريع المقدمة ٦١ بالمائة من مجمل المشاريع التي عرضتها مصر.

ويوجه البنك الدولي لتحقيق **معدل نمو اقتصادي سنوي قدره ٦ بالمائة حتى سنة ٢٠١٠** بالنسبة للبلدان الفقيرة في المنطقة والتي تدخل مصر في عدادها. ويعني هذا مضاعفة الدخل بالنسبة للفرد في هذه البلدان والذي يبلغ ١٢٠٠ دولار في عام ١٩٩٦. ويشترط لتحقيق ذلك استثمار ٢٥ مليار دولار في القاعدة الارتكازية في الفترة المذكورة وتستطيع الدول المانحة استثمار ١٦٥ مليار دولار فقط منه.

من الواضح ان الدور الذي يريده البنك الدولي للقطاع الخاص- والبنك الدولي يراقب كل ثلاثة أشهر ما بلغته الخصخصة -يحتاج لاطار الشروط القانونية والسياسية. ولتوفير المستلزمات الضرورية لاستثمار ال ٢٥ مليار دولار المذكورة وفرت مصر شروطا مناسبة في القطاع الخاص المحلي ومن أجل المستثمرين الاجانب. **وقد عدل رئيس الوزراء كمال الجنزوري في السنتين الاخيرتين كل قوانين الاستثمار تقريبا، وهي القوانين التي عوقت الاستثمارات الاجنبية في بداية التسعينات** وقد وضعت هذه القوانين **نهاية لكافة التحفظات والقيود على استثمار رأس المال الأجنبي**** ولم تعد الاستثمارات الاجنبية تخضع لشرط ال ٤٩ بالمائة لدى تأسيس شركات للمشاركة في القائم منها. وفوق هذا أصبح **من المسموح للمستثمرين الاجانب شراء عقارات (بما فيها مطارات وشوارع ومنشآت طاقة) وبنوك بلا حدود.**

٧- الخلاصة

نظرا للشروط السياسية والاقتصادية الجديدة ساور القلق المشاركين في عملية السلام بخصوص الموقع الذي سيكون لهم في اطار النظام الجديد. ومصر التي **تنطلق من استحقاقها لان تكون القوة العربية القائدة عندها خوف له** ما يبرره من أن تحتل اسرائيل موقعها في إطار تقسيم العمل السياسي والاقتصادي الجديد في الشرق الأوسط. فالاقتصاد المصري الذي وصل إلى حافة الانهيار في نهاية الثمانينات بسبب عجز القيادة السياسية عن اجراء عدد من الاصلاحات الضرورية لم يكن ليمثل أساسا للمشاركة في البنى الاقليمية المخطط لها وقد تخلفت القيادة المصرية طوال خمسة عشر عاما من اعلان سياسة الانفتاح الاقتصادي عن وضع هذه السياسات في التطبيق اتكالا على «الدخل الريعي السياسي» ودخول اخرى مماثلة للريع، أي اعتمادا على مدفوعات معظمها من الخارج. ولكن حتى بعد حرب الخليج الثانية وبعد ان تم التنازل عن جزء هام من الديون، مما مكن مصر من أن تصبح من جديد قادرة على التصرف، لم تبد القيادة المصرية حماسا شديدا لتنفيذ الاصلاحات المستهدفة منذ أجل طويل. فقط في منتصف التسعينات وعندما مهدت معاهدات السلام مع الاردن ومع منظمة التحرير الفلسطينية الطريق نحو التعاون الاقتصادي الاقليمي خشيت مصر من أن يجرى تهميشها سياسيا واقتصاديا.

وتحاول مصر بوسائل السياسة الخارجية استحقاق دور مركزي في ظل الظروف المتغيرة. ويفترض ان يكون لجملة من الادوات مثل **السياسة الخارجية النشطة ودور الوسيط في إطار عملية السلام، وتوظيف اداة الاتجاه الوحدوي العربي** ،مفعولها في الصراع التنافسي السياسي والاقتصادي ضد إسرائيل. ودون التقليل من شأن الاهمية السياسية الاقليمية لدور مصر لا يوجد شك في ان الصعوبات المتزايدة التي تسم عملية السلام، وليست السياسة المصرية،هي السبب وراء إبطاء التحولات الإقليمية البادئة. من **المتوقع أن يظل خوف الطبقة السياسية المصرية على دورها الاقليمي، وخشيتها ان يتمكن مشاركون آخرون من تولي قيادة العالم العربي وسعيها لمواصلة الحصول على «الريع السياسي» مرافقا لجولة جديدة محتملة من عملية السلام**. وينهي الكاتب مقاله الذي يقدم أسبابا تنفي في رأيه قدرة مصر على الحفاظ على «دورها القيادي في العالم العربي بجملة ليوسف القعيد **يقول فيها «كل جيل له قدره الخاص وقدرنا نحن أبناء مصر ان طموحاتنا كانت أكبر من امكاناتنا».**

ولا يتعرض البحث لنوعية التعاون الاقليمي الذي يجري الحديث عنه ولا يسأل عن الاساس السياسي الذي سيقوم عليه خاصة مع النهج السياسي الاسرائيلي الذي يزداد ترديه والذي لم يعد هناك حتى الغرب من يتوقع أن يقود إلى السلام.

*** قارن سعيد النجار ، مصر وتحديات السلام في : سلوى سليمان ، آفاق الاقتصاد المصري، القاهرة ١٩٩٦ ص ٤٢-٤٥.**

*** قارن سعيد النجار ، التعاون في الشرق الاوسط. الاعتبارات المؤسسة للتعاون الاقتصادي الاقليمي في: Europaeische Rundschau, (1995)3 . P 32 f.**

*** النصوص المنشورة في الأهرام الاقتصادي عدد ١٤ يوليو ١٩٩٧م**



هل يكفي يوم واحد..
لانعقاد جمعية عمومية لنقابة عمالية؟!

بدأ موسم انعقاد الجمعيات العمومية السنوية للنقابات العامة العمالية في منتصف شهر أكتوبر ويستمر حتى نهاية الشهر الحالي عندما تنعقد الجمعية العمومية للاتحاد العام لنقابات العمال. ومن أقوال **لينين** الشهيرة: **إن النقابات العمالية مدرسة للديمقراطية** «وبغض النظر عن صاحب المقولة. فإنها تحمل قدرا كبيرا من الحقيقة، فالنقابات العمالية منظمات تطوعية يقوم نشاطها على مشاركة جماهيرها الفعالة في إدارة أمورها ولا يمكن أن يتصدى فرد واحد لقياداتها بشكل استبدادي لأنها تفقد حينئذ شرعية وجودها وثقة جماهيرها فيها. وقد قامت أساسا على مفهوم العمل الجماعي والخضوع المستمر للمساءلة لأن نشاطها يتعلق بالدرجة الأولى بحياة العمال وأسرهم. والمجال الرئيسي الذي يتعلم فيه العمال ممارسة الديمقراطية والحوار وتقبل الاختلاف في الرأي هو الاجتماعات التي تعقدها المنظمات النقابية، وعلى رأسها جمعياتها العمومية أو مؤتمراتها العامة التي ترسم سياساتها وتتخذ فيها قراراتها المصيرية.

ولذلك كانت دهشتي شديدة عندما طالعت إعلانا في شهر أكتوبر الماضي في صفحة أخبار الدولة بصحيفة **الاهرام** على ما يقرب من ثلثي عمودين (وأهل الصحافة يعرفون كم يكلف مثل هذا الاعلان) عن **انعقاد الجمعية العمومية لاحدى النقابات العمالية الكبيرة** «لمدة يوم واحد» رغم أن **جدول أعمال الجمعية** يحتوي على سبعة بنود: مناقشة تقرير نشاط النقابة العامة- وعرض ميزانية النقابة العامة في ٣٠ يونيه ١٩٩٧ والايرادات والمصروفات من أول يولية حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٩٧ -وعرض الموازنة التقديرية عن السنة المالية ١٩٩٨/٩٧ -وعرض ملاحظات الجهاز المركزي للمحاسبات على النقابة العامة عليها- وعرض موضوعات العضوية والتنظيم- وعرض موضوعات المصايف- وما يستجد من أعمال «**وهي موضوعات يستحق مناقشة كل منها جلسة مستقلة إن لم يكن يوما بأكمله.**

فاذا أضفنا إلى هذا أن الاعلان شغل ربعه بزف البشرى إلى الأعضاء بأن حفل افتتاح الجمعية سيشرفه ثلاثة وزراء فضلا عن رئيس الاتحاد العام للعمال **(وهي بشرى غريبة الشأن وغير مفهومة)** فهل القصد منها إغراء الأعضاء بالحضور للتمتع برؤية الوزراء والاستماع إلى كلماتهم، أم أنها إشارة إلى ما يتمتع به رئيس النقابة من نفوذ بحيث أنه استطاع أن يؤمن حضور هذا العدد من الوزراء المهمين لحفل افتتاح الجمعية «مع أن المفروض أن الوزراء هم الذين يشرفون بالالتقاء بالجماهير العمالية والحديث اليها مما يزيد من جماهيرتهم السياسية.

وحضور مثل هذا العدد من الشخصيات الكبيرة لحفل الافتتاح، وهم عادة ما لا يصلون في بلادنا في موعد مبكر، والتزامهم حتى لكلمات قصيرة ومختصرة، يعني أن الجلسة الصباحية للجمعية العمومية للنقابة ستضيع في مراسم الافتتاح، أي أنه لن يتبقى لمناقشة البنود السبعة المطروحة على الجمعية وصياغة مشروعات القرارات المتعلقة بها. ثم اعتماد هذه المشروعات، سوى الجلسة المسائية، والتي لن تزيد مهما طالت عن أربع أو خمس ساعات. ولما كان من المعتاد أن توزع وثائق الاجتماعات النقابية على الأعضاء عند حضورهم للاجتماع، كما يعني أن الأعضاء لم يتح لهم الاطلاع مسبقا على محتوياتها بحيث يستلزم الأمر أن يقوم مسئولو النقابة بعرض محتويات هذه الوثائق على الحاضرين، وهو ما يستغرق بالضرورة بعض الوقت.**فكم يتبقى بعد ذلك من وقت الجمعية لكي يقول كل عضو من أعضائها رأيه في هذه الأمور الهامة لمسيرة النقابة؟ أم أننا أدمنا مسألة« موافقون »؟ موافقون «!.**

غير أنه لا يمكن القول بأن هذه الممارسة من الأمور المستجدة في حياتنا. فمنذ أن اخترعنا بدعة انتخابات الغرف المغلقة في الحركة النقابية، فقدت الجمعيات العمومية جزءا كبيرا من أهميتها. وأذكر أنه في الثمانينات كان الاتحاد العام لنقابات العمال يعقد جمعيته العمومية لمدة يومين. وكان صباح اليوم الأول يضيع كالمعتاد في الجلسة الافتتاحية وتوزيع الحقائب المحتوية على وثائق الجمعية على الأعضاء (رغم أنهم المفروض أن يمثلوا نقاباتهم وليس أشخاصهم وأن يعبروا عن آراء تلك النقابات في الموضوعات المطروحة على الجمعية العمومية، وهو ما لا يمكن أن يحدث الا إذا كانت تلك الموضوعات قد نوقشت في النقابات مسبقا) واستلام الأعضاء لمكافآت الجمعية. وفي الجلسة المسائية، تبدأ المناقشات في لجان الجمعية، بينما يخصص صباح اليوم التالي لأعمال لجنة الصياغة التي تطرح ما توصلت إليه الجمعية العمومية بكامل أعضائها في الجلسة المسائية التي تختتم بها أعمال الجمعية العمومية السنوية **ثم حدث أن اشتكى مراسلو الصحف الصباحية من أن صدور قرارات الجمعية في وقت متأخر من المساء يحول دون نشرها في صحفهم فتنفرد بها صحيفة «المساء» مما يجعل نشرها صباح اليوم التالي مستحيلا . ولما كان النشر في الصحف الصباحية أهم بكثير للقيادات النقابية من سلامة العمل الديمقراطي، فان رئيس اتحاد العمال قرر أن تكون الجلسة** الختامية للجمعية العمومية هي الجلسة



الصباحية في اليوم الثاني من انعقادها.

وكان ذلك يعني من الناحية العملية أن تبدأ الجمعية في مناقشة بنود جدول الأعمال في أعقاب الجلسة الافتتاحية، أي حوالي الثانية عشرة ظهرا والأعضاء مشغولين باستلام الحقائب والمكافآت المالية وذهن معظمهم مشغول بالتفكير في وجبة الغذاء، بحيث لم يكن انعقاد اللجنة يطول عن الساعتين في أحسن الاحوال، يضيع جانب منهما في استعراض موجز لمضمون التقارير المطروحة على اللجنة. ثم تنفض وتترك لموظفي الاتحاد مهمة صياغة القرارات في المساء بحضور بعض مقرري تلك اللجان، ثم عرض المشروعات على رئيس الاتحاد فإذا أقرها فانها تعرض في صباح اليوم التالي على الجمعية العمومية لاقرارها دون مناقشتها في اللجان المعنية. وكانت المناقشات في اللجان شكلية في معظم الاحوال لأن الاعضاء كانوا يستمعون إلى ملخص التقارير المعروضة من موظف الاتحاد الذي قام باعدادها، ولا يمكن ان تجري مناقشة مجدية لمثل ذلك العرض الشفهي خلال ساعتين في لجنة من المفروض ان تضم نحوا من خمسة وعشرين عضوا على الاقل! كما انه من غير المعقول ان تجرى مناقشة مفيدة لمشروعات قرارات تتلى شفاهة على أعضاء جمعية عمومية يزيد عددهم عن المائتين. **وتحولت المسألة بالتدريج إلى مظهريات وأمور شكلية تتم لاستيفاء اشتراطات القانون، وضاعت على ممثلي العمال فرصة أكيدة لتعلم الممارسة الديمقراطية.**

وربما دمنا قد تطرقنا إلى بعض المظاهر الغريبة في حياة الحركة النقابية المصرية، فقد يكون من الضروري أن نشير إلى **هذا الاعلان المحير** الذي ظهر في الصحف في شهر أكتوبر الماضي بعنوان« **النقابة العامة للعاملين بالاتصالات تقول**»: ثم يمضي إلى تعداد الانجازات الهائلة التي حققتها الهيئة القومية للاتصالات والتي كانت محل تقدير رئيس الجمهورية، ثم ينتهي إلى القول «والأرقام لا تكذب والفضل يرجع إلى القيادة الحكيمة للمرفق التي توفر له الامكانيات وتحقق له مناخ الانطلاق إلى الأمام، وان بعض الاقلام دأبت في الآونة الأخيرة على توجيه النقد...» **ولا نعتقد على الاطلاق أن من بين مهام المنظمات النقابية أن تتولى الدفاع عن الادارة في وجه بعض الانتقادات التي توجه إليها، أو أن يستقطع من الاشتراكات التي يدفعها أعضاء النقابة جانبا لتمويل هذا الدفاع**، وحتى لو كانت الادارة هي التي تحملت تكاليف هذا الاعلان، فما كان ينبغي لقيادة النقابة أن تتولى عن هذه الادارة عبء التصدي لحملات الانتقادات الموجهة إلى عملها!.

حسن عبد الرحمن

قيادة نقابية .. قليلة الحظ مع التاريخ

عندما كنت أبحث في الشهر الماضي عن بعض المعلومات عن« **أحمد فهيم**» تعينني في كتابة الموضوع الذي نشرته لي« **اليسار**» عنه في العدد الماضي أخذت **أقلب في فهرست كتاب أمريكي بعنوان« عمال وادي النيل**» من تأليف **جويل بينين وزاخاري لوكمان** فاسترعتني كثرة ما احتواه عن القائد النقابي« **حسن عبد الرحمن**»، فقد عاش في شيخوخته داخل الحركة النقابية المصرية دون أن يعرف معظم ناسها أن له تاريخا نقابيا يؤهله لأن يشغل مثل تلك المساحة في كتاب مكتوب باللغة الانجليزية وصادر عن دار نشر أمريكية!.

عرفت **حسن عبد الرحمن** لأول مرة في عام ١٩٧١ عندما انتخب «**عبد العظيم المغربي**» سكرتيرا للمجلس التنفيذي لاتحاد نقابات عمال مصر. كان **المغربي** وجها جديدا على الحركة النقابية قادما إليها من منظمة الشباب التي كان أحد قادتها البارزين. وبعد فترة من انتخابه فوجئنا به يحضر شخصا مسن البنيان يشبه فتوات شارع عماد الدين المشهورين، يحمل وجهه ابتسامة دائمة تشي بحبور شديد وفرحة غامرة بالحياة، وعينه رئيسا لسائقي الاتحاد، وعرفنا أن اسمه «**حسن عبد الرحمن**»، ولكننا لم نعرف له تاريخا نقابيا، وظننا أنه



حسن عبد الرحمن

أحد الشخصيات الغريبة التي كانت تمشي في ركاب« **عبد العظيم المغربي**» خاصة وأنه كان يكاد يلازمه في معظم تحركاته، ويصحبه في بعض الأحيان إلى منزله (كان عبد العظيم في ذلك الحين شابا أعزبا).

وعندما حدث انقلاب ربيع ١٩٧٣ في المجلس التنفيذي لاتحاد عمال مصر وأقصى **أحمد الرفاعي وعبد العظيم المغربي وإبراهيم خليفة** عن مناصبهم القيادية في الاتحاد، **فوجئت بأن العناصر القيادية الجديدة في المجلس تشن حربا شعواء على« عم حسن**» وتفصله من عمله في الاتحاد بدعوى انه عنصر شيوعي. وكان عم **حسن** قد حصل قبل هذه الأحداث على ترشيح من الاتحاد لاحدى منح العلاج الطبي التي كان يقدمها اتحاد عمال المانيا الديمقراطية. وأصبح شغلي الشاغل في ذلك الحين سرعة إنهاء أوراقه قبل إتمام فصله وقبل أن تشعر القيادة الجديدة بالمسألة فيحرموه من فرصة للعلاج في الخارج تحتاجها أمراض شيخوخته، واختفى عم حسن بعد ذلك حتى بعد عدة سنوات وقد انتهت به أمراضه إلى الاصابة بالشلل وفقد القدرة على الكلام. كان لا يزال يظن أن فرص العلاج في المانيا الديمقراطية لا تزال متاحة ويريد السفر للعلاج لعله يشفى ويستعيد قدرته على الكلام. وكانت القيادات النقابية التي تجهل تاريخه ولا تعرف قدره تتخلص منه بافهامه أن المسألة عند «**حمال إمام**»، وهو يعرف



احمد فهيم



احمد الرفاعى



عبد العظيم المغربى

أننى أحببه رغم جهلى أنا الأخر بتاريخه النقابى، ويكثر التردد على من أجل هذا الغرض ويوجع قلبى بمحاولته اليائسة لإنباءى بالاشارة بحاجته وأنا لا أستطيع إحباطه وإفهامه أن هذه المنح قد توقفت بعد تدهور العلاقة بين مصر والمنظومة الاشتراكية.

ثم حدث أثناء قيامى باعداد مذكرات «**فتحى كامل**» أن تطرق الحديث إلى نضال عمال النقل فى الأربعينيات **فذكر فتحى كامل أنه كان يوجد فى مصر حينئذ عدة نقابات لعمال النقل منها نقابة لسائقى سيارات الأجرة كان يرأسها «حسن عبد الرحمن اللى كان بيشتغل عندكم فى الاتحاد»**، وخجلت من جهلى بتاريخ الحركة النقابية فى بلدنا وغمطنا لحق أحد مناضليها الذى انتهى به الحال لأن يعمل رئيسا للسائقين فى اتحاد نقابات العمال لكى يحمى نفسه من مصير الكثير من مناضلى **الاربعينيات الذى انتهى الحال ببعضهم إلى مد اليد للسؤال على أبواب المساجد** .(من بين الانجازات الهامة **لسعد محمد أحمد** وقت أن كان يجمع بين رئاسة اتحاد العمال ووزارة القوى العاملة نجاحه فى الحصول على موافقة الحكومة على تقديم معاش استثنائى للقيادات النقابية التى ليس لديها معاش تقاعدى يعينها على مواجهة سنوات الشيخوخة) ، ورغم ذلك حورب فى رزقه وألقت به فى الشارع قيادات لم يكن لها شرف النضال من أجل الطبقة العاملة قبل وصولها إلى مواقعها النقابية.

يحتوى كتاب «**عمال وادى النيل**» على خمس إشارات إلى **حسن عبد الرحمن** ،منها اشارة تستغرق حوالى صفحتين .وفى هذه الاشارة الطويلة، يقول الكتاب، نقلا عن **حسن عبد الرحمن** نفسه أنه كان عضواً فى نقابة سائقى سيارات الأجرة منذ عام ١٩٤٢ . ثم حدث انشقاق فى النقابة فى عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ فشكل نقابة مستقلة أصبح رئيسا لها. وفى أواخر عام ١٩٥٠ بدأ يدعو إلى توحيد نقابات سائقى سيارات الأجرة الأربعة فى تنظيم واحد، وهو ما تم فى يناير ١٩٥١ عندما تشكلت النقابة المتحدة للسائقين بالقاهرة التى كانت تضم فى عضويتها خمسة الاف شخص وانتخب **حسن عبد الرحمن** رئيسا لها. وانتقل بعد ذلك إلى الدعوة إلى توحيد عمال النقل بصفة عامة، فدعا إلى عقد مؤتمر وطنى لعمال النقل، وهكذا اجتمع ممثلو ٣٤ نقابة لعمال النقل فى القاهرة فى الفترة ١٧-١٩ يناير ١٩٥١ واعتمدوا قائمة بمطالب عمال النقل فى مصر بمختلف فئاتهم ومخطط للتحرك للضغط من أجل الاستجابة لهذه المطالب. وعندما لم يتم الاستجابة لها دعا **حسن عبد الرحمن** إلى عقد اجتماع ثان لممثلى نقابات عمال النقل. وانعقد مؤتمر نقابات سائقى وعمال النقل المصرية المشتركة فى ٢ يونيه وانتخب **حسن عبد الرحمن** رئيسا له. وفى المواضع الأخرى من الكتاب، **يشير المؤلفان إلى مشاركة حسن عبد الرحمن فى تشكيل اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال مصر فى عام ١٩٥٠ ، ثم إلى** تسلل عملاء **أجهزة الأمن إلى نقابة عمال النقل فى أواخر عام ١٩٥٢** ونجاحهم فى اقصاء القيادات **«الشيوعية» منها ومن بينهم** حسن عبد الرحمن ، **الذى فصل حتى من عمله بسبب انتماءاته** السياسية .وفى آخر اشارة إلى **حسن عبد الرحمن** فى الكتاب، يذكر المؤلفان شيئا عن الصراع **الذى** دار بينه هووسيد **ترك** وبين **الصاوى والعقيلى** على تزعم اتحاد عمال النقل المشترك فى عام ١٩٥١.

وقد وردت كل هذه الاشارات إلى «**حسن عبد الرحمن**» فى الكتاب تحت عنوان «**توسيع النفوذ**

قادة انقلاب ١٩٧٣ فى اتحاد العمال يفصلون «حسن عبد الرحمن» والسبب.. «عنصر شيوعى»

كتاب أمريكي ينصف القائد النقابي «عم حسن» والمؤرخون المصريون لا يعرفونه!!

الشيوعي في الحركة العمالية» حيث ذكر أن حسن عبد الرحمن كان عضوا في عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ في حزب العمال الذي كان يرأسه النبيل عباس حليم،إلا أنه انضم إلى**«الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)** في عام ١٩٥١.

وربما تكون أجهزة الأمن هي التي أسرت إلى قيادات اتحاد العمال عقب انقلاب ربيع عام ١٩٧٣ بسبق عضوية حسن عبد الرحمن في هذه الحركة **الشيوعية ، فلم ترحم شيخوخته أو حاجته إلى مصدر للرزق في جهودها المحمومة لتطهير اتحاد العمال من كافة العناصر اليسارية أو التي كان يشوب تاريخها النضالي شائبة يسارية.**

ورغم أن كتابة أمريكيا عن الحركة العمالية المصرية قد أنصف تاريخ«**حسن عبد الرحمن**» في هذه الحركة- ولا أعتقد أن أحدا من مؤرخينا سيهتم بذكر أولئك الذين حاربوه في شيخوخته الا اذا أشار إلى دورهم التخريبي القصير فيها- فانه كان قليل الحظ بصفة عامة مع التاريخ المكتوب في مصر، سواء كان تاريخ الحركة النقابية أو الحركة الشيوعية، فمع أن زميله **سيد ترك** حظي بما يستحقه فيما كتب عن الحركة الشيوعية في مصر، فلم أجد فيما قرأته منها أية اشارة إلى**حسن عبد الرحمن** ،رغم أنه لقي عنتاً شديداً في حياته باعتباره أحد العناصر المؤثرة في تدعيم النفوذ الشيوعي في أوساط الحركة النقابية المصرية في أوائل الخمسينات ،وان كان الانصاف يقتضي ان نذكر انه قد وردت اشارة إلى اسمه في أحد ملاحق كتاب الدكتور رؤوف عباس **الحركة العمالية في مصر ، ١٨٩٩ -١٩٥٢** ،وهو عبارة عن تقرير مرفوع إلى النبيل **عباس حليم** من أحد معاونيه في حزب العمال وعنوانه الحركة العمالية وفيه يشير إلى نشاط أعضاء الحزب من قيادات النقابية وهم:**فتحي كامل وحسن عبد الرحمن وسيد قنديل وكامل عز الدين** فضلا عن **سيد ترك** ، ناعيا عليه عدم حماسه لقضية الحزب!.

هيئة أمريكية تصدر شهادات أيزو عمالية!

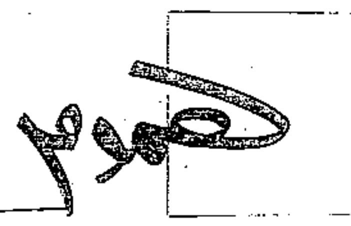
قررت هيئة أمريكية تعرف باسم **«مجلس الأولويات الاقتصادية»** اصدار شهادة جدارة اجتماعية على وزن شهادة الأيزو ٩٠٠٠ التي تصدرها المنظمة الدولية للتوحيد القياسي والتي أصبحت لها شهرة مدوية في بلادنا مؤخرا . الشهادة الجديدة ستعرف باسم **«شهادة المساءلة الاجتماعية ٨٠٠٠»** ويشارك في تبني إصدارها عدد من كبريات الشركات الأمريكية والعالمية.

ويقول المسئولون عن هذا المشروع إنه يهدف إلى المشاركة في الحملة العالمية ضد مصانع السخرة المتزايدة الانتشار في الولايات المتحدة وأجزاء كثيرة من شرق آسيا وطمأنة المستهلكين الذين تنزعج ضمائرهم من جراء المعاناة غير الانسانية التي يتعرض لها العاملون في تلك المصانع، إلى أن المصانع التي يشترونها لم تنتج في واحدة منها.

ويأمل هؤلاء المسئولون أن تؤدي مشاركة العديد من الشركات الكبرى في المشروع **إلى دعم الجهود الرامية إلى كفالة الامتثال لمعايير العمل الدولية وتحسين أجور العاملين والحد من تشغيل الأطفال** . وستتبع في منح هذه الشهادات أساليب مشابهة إلى حد كبير لتلك المتبعة في منح شهادة الايزو، اذ يتعين أن تتقدم الشركات الراغبة في الحصول على الشهادة بمستنداتها عن طريق أحد مكاتب المحاسبة المعتمدة من المجلس، وإن كان المجلس سيشجع في المستقبل على الاستعانة بمكاتب المحاسبة التي تنشئها النقابات العمالية والمنظمات غير الحكومية التي لا تبتغي الحصول على ربح من وراء نشاطها.

غير أن العديد من المنظمات النقابية الأمريكية وجماعات حقوق الانسان تخشى من أن تستخدم بعض الشركات هذه الشهادة لتضليل الجمهور بالتواطؤ مع مكاتب المحاسبة التي ستحصل على أجورها لقاء إعطاء صك الجدارة من الشركات نفسها . وتطالب بأن تشمل عملية التدقيق المحاسبي القيام بالتفتيش على المصانع التابعة للشركة المعنية والتأكد من العمال أنفسهم وبعيدا عن أعين مسئولي الشركة مما اذا كانت هذه الشركة تلتزم بالمعايير الموضوعة لمنح الشهادة.

وتتكون هذه المعايير من خمسة بنود: شركة لا تستخدم أطفالا أو تستعين بأعمال السخرة- وتوفر بيئة عمل آمنة- وتحترم حق العمال في الانضمام إلى النقابات العمالية ولا تطلب من العمال أن يعملوا بشكل منتظم لأكثر من (ساعة أسبوعيا)- وتدفع أجورا تكفي لكي يلبي العمال احتياجاتهم الأساسية. وهي تمثل كما ترى الحد الادنى من احترام آدمية العمال. **ولكن كم شركة من شركاتنا يا ترى ستتحمس للحصول على شهادة المساءلة الاجتماعية ٨٠٠٠ كما تتحمس للحصول على الايزو ٩٠٠٠؟**



فقراء المعلومات



الخاسرون فى القرن القادم هم الذين ما زالوا واقفين يراقبون

منذ عدة شهور كتب الاستاذ **محمد سيد أحمد** عدة مقالات فى الأهرام، والاهرام ويكلى عن**صورة الاتصالات والمعلومات والاعلام فى القرن القادم**، من خلال استعراض المناقشات التى جرت فى مؤتمر حضرة بالولايات المتحدة الأمريكية، حول قضايا الاعلام والمعلوماتية. وبعد تلك المقالات بأسبوع أو أكثر كتبت الأستاذة **فريدة النقاش** تعليقا عليها فى الأهالى، وأذكر انها استعملت مصطلح **فقراء المعلومات**، وهى تسعى إلى تأييد مقترحات الاستاذ **محمد سيد أحمد** التى طرحها فى المؤتمر لسد الفجوة بين أغنياء وفقراء المعلومات.

ومن هذا المنطلق نتساءل من هم فقراء المعلومات وما هى ملامح الفجوة المعلوماتية بين الأغنياء والفقراء؟.

وابحرت داخل الانترنت فى عدة رحلات خلال نوفمبر ٧-٧٩ بحثا عن **فقراء المعلومات**. أسفرت نتيجة البحث فورا عن ملايين المواقع التى توجد بها وثائق تحمل عناوين مباشرة للموضوع أو يحتمل أن تكون مرتبطة به. معنى ذلك أن العالم كله يهتم فعلا بهذا الموضوع ويشغل بال المراقبين. طبعا لم أستطع ولن يستطيع أحد أن يغطى هذا الطوفان فى المعلومات حول هذا الموضوع، ونزلت بعض تلك المواقع لكى أستشرف واستكشف ملامح فقراء المعلومات، وكان أغناها تقرير الـITU **اتحاد الاتصالات الدولية** عن هذا الموضوع، ويتبين منه أن أكثر من نصف البشر فى العالم لم يسبق لهم استعمال التليفون، ولا يعرفونه، وان عدد خطوط التليفون فى حى منهاتن بمدينة نيويورك أكثر من مجموع خطوط التليفونات الموجودة فى كل دول جنوب صحارى افريقيا، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تملك وحدها ٥٠٪ من خطوط تليفونات العالم.

والبنية التحتية للاتصالات فى أى بلد هى العمود الفقرى الذى يمكن من خلاله الاستفادة من التطبيقات المتعددة والواسعة لثورة الاتصالات، وخاصة الاستفادة من خدمات الوسائط المتعددة Multimedia Service. **فالخطوط التليفونية والروابط الاتصالية التى تمكن من الاتصال بين كمبيوتر واخر، فى أى مجتمع هى مفتاح المشاركة فى المجتمع المعلوماتى والعالمى والأسواق العالمية، ومهمة للغاية فى أى تنمية مستقبلية.**

فالبنية التحتية للاتصالات Telecom-munications infrastructure هى خطوط التليفونات، والكابلات التليفونية، والأقمار الصناعية، والألياف الضوئية، وأجهزة الكمبيوتر وملحقاتها الاتصالية كلها تتداخل وتتكامل فى منظومة واحدة تمثل البنية التحتية للاتصالات. وهى تمثل أساس البنية التحتية للمعلومات فى أى دولة. وتلك البنية الاتصالية تعتبر الآن من أهم البنيات التحتية فى تنمية أى مجتمع، وتخدم على بقية البنيات الاساسية الاخرى. **وأصبح مدى التطور والنمو الاقتصادي مرتبطاً تماما بمستوى تطور البنية التحتية للاتصالات، ونوعيتها. وأصبحت تلك البنية التحتية للاتصالات عاملاً رئيسياً وتنافسياً بين الدول لجذب الاستثمارات الأجنبية فى القطاعات المختلفة.**

[illegible]

اصطلح على تسميتهم بالدول المتخلفة أو دول البواقى مقابل الدول المتقدمة صناعيا، والفجوة بينهما تتزايد بسرعة رهيبة وسوف تتسع بطريقة لا نهائية فى السنوات القادمة. **ودول البواقى يجمع بينها الفقر وعدم استخدام وسائل الانتاج الحديثة**، وهى غير متجانسة ومتباينة فى بقية الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فمثلا دول النفط تعتبر دولاً فقيرة ومتخلفة رغم مظاهر الوفرة وتكدس الأموال والبضائع، لأنها دول لا تنتج ولا تصنع ثرواتها الطبيعية. واذا كانت دول البواقى أو الاطراف أو المتخلفة يجمع بينها الفقر وبدائية وسائل الانتاج، فهى أيضا دول فقيرة معلوماتيا. من منطلق أن الفقر يعرف بأنه أحد أشكال التجريد من القوة، والمعلومات الآن هى القوة الحقيقية، هى النقود والثروة هى الاقتصاد. والتكنولوجيا فى حقيقتها ليست سوى استغلال أخر وأحدث المعلومات فى تحسين الاداء للأشياء والأفعال.

والعالم الان يشهد بحق سوء توزيع فى الفرص والموارد، وقدرات الوصول إلى تلك التكنولوجيات بين الشمال والجنوب، والفجوة التكنولوجية مرتبطة تماما بسوء التوزيع، وعدم الإنصاف والتوازن بين الدول الصناعية والدول النامية، أو بين الدول الغنية معلوماتيا وتلك الفقيرة معلوماتيا. هذه الفجوة خلقت نوعا جديدا من الفقر هو **فقر المعلومات** in-formationp overty **وهو فقد القدرات والمهارات والوسائل والنظم والأدوات التى** تستخدم فى جمع وتحليل ومعالجة وصياغة وتداول المعلومات وكيفية توظيفها لخدمة

الأهداف التنموية.

وتلك الفجوة أظهرت طبقة جديدة يمكن أن تسمى **النخبة المعلوماتية** information elitism ، وسياسيا يمكن أن نطلق عليه النخبة المعلوماتية الحاكمة. وظهرت تلك الطبقة بين الدول نفسها وتفاعلت أيضا داخل كل دولة، خاصة الدول النامية حيث تحتكر الصفوة الحاكمة امتلاك المعلومات والحصول عليها. **فالدول النامية بنوعياتها مهددة تماما بالهيمنة والسيطرة من تلك الدول التي تمثل النخبة المعلوماتية ، فالمؤشرات كلها تشير إلى أن الدول المتخلفة أصبحت فعلا دولا هامشية واستبعدت تماما من أحداث العالم.**

وإحداث التوازن لسد الفجوة التكنولوجية بين الدول الغنية والدول الفقيرة معلوماتيا، يعتبر مرتفعاً حدياً لأنه يتطلب التوازن بين الشمال والجنوب، وتحسين نوعية الحياة للانسانية كلها ،وأن تصبح القدرة الاتصالية أو حق الاتصال أحد حقوق الانسان الرئيسية.

وكل دولة عندما تبدأ تتهيأ لدخول عصر المعلومات، يجب أن تبدأ بالعمود الفقري وهو البنية التحتية للاتصالات، وبالذات شبكة الاتصالات التليفونية ، فهي أساس الدخول إلى الطريق السريع للمعلومات ، لذلك تعتبر شبكة التليفونات هي من أهم مؤشرات الفقر المعلوماتي. **وفي عام ١٩٩٥ نشرت** ITU **مؤشرات البنية التحتية للاتصالات للدول الفقيرة لتعطينا صورة متجهمة وحزينة للموقف الحاضر للبنية التحتية في تلك الدول**،حيث تبين الآتي:

١- هناك فجوة عريضة وعميقة في التسهيلات الاتصالية بين الدول النامية(DC) والدول الأقل نموا (LDC) ،وكان متوسط كثافة الاتصالات التليفونية في الدول الأقل نموا ٢٩ر. أو تليفون واحد **لكل ٣٥٠** نسمة . وأن هناك أكثر من ٤ مليار من البشر في تلك الدول لا يملكون هاتفا ، و٥٠ مليوناً منتظرين في سجل الانتظار.

٢- مجموع خطوط التليفونات الكلي في **الـ ٤٨ دولة الأقل نموا** تقف عند عدد **٥ر١ مليون** خط تليفوني أو أعلى قليلا، والعجيب ان هذا العدد يمثل١٪ **فقط** من العدد الكلي لخطوط التليفونات في الولايات المتحدة الأمريكية ،مع ملاحظة أن عدد سكان أمريكا أقل من نصف مجموع سكان الدول الـ٤٨ باستثناء **جنوب افريقيا** ، فان متوسط كثافة الاتصالات التليفونية فيها حوالي **٤٨ر. لكل ١٠٠ نسمة** مقابل ٦٠ خطاً تليفونياً لكل ١٠٠ أمريكي.



محمد سيد احمد

٣- في زيمبابوي حوالي ١٠٠ر٤٠٠**الف** ينتظرون تركيب خط تليفون ، وننبه انه حين نستعمل مصطلحTeledensitنعني به مستوى كثافة استخدام التليفون وهو عدد خطوط التليفونات لكل ١٠٠ نسمة.

٤- ومتوسط كثافة استخدام التليفون ارتفعت في العقد الأخير في الدول الأقل نموا من **١٩ر.** إلى**٢٩ر.** بينما في الدول النامية المنخفضة الدخول زاد ذلك المتوسط من**٣١ر. إلى ٢٢ر١** تقريبا.

٥-تتوفر لدى الارجنتين والبرازيل والمكسيك أكبر بنية تحتية للاتصالات وان كان هذا لا يعني انها لحقت بركب أمريكا الشمالية وأوروبا فمثلا نصف سكان البرازيل يملكون خطوط تليفونية.

٦- ١٢٪ من سكان العالم(في افريقيا) لديهم فقط٢٪ من خطوط تليفونات العالم. **٧٠٪ من** سكان افريقيا يعيشون في المناطق الريفية ولديهم **٢٢٨٠٠٠ خط تليفوني** ،.في**سنغافوره** ٣٧٨ خط تليفوني لكل ١٠٠٠ **شخص** . في بانجلاديش **٢ خط تليفون** لكل ١٠٠٠**شخص** . ومعظم الدول الأقل نموا لا تستطيع أن تسد احتياجات الطلب الفعلي على خطوط تليفون، وهذا يحتاج إلى ١٢ سنة في حالة ثبات أعداد المنتظرين ،ونحتاج حوالي ٢٨ بليون دولار أمريكي لتركيب خط تليفوني واحد فقط لكل ١٠٠ شخص في دول جنوب صحاري أفريقيا.

٧-وهناك نقص خطير في العمالة المدربة والماهرة على كافة مستويات البنية التحتية للاتصالات في الدول الأقل نموا، فعمالة الاتصالات في تلك الدول تتلقى تدريبا **ضعيفا وفقيرا ومتخلفا.**

٨-وكثافة خطوط التليفونات في المناطق الريفية أصغر من **١ لكل ١٠٠٠ نسمة** ،بل أن مساحات كبيرة من أقاليم الدول الأقل نموا بدون أي خطوط تليفونية،**فهناك ٥٣٥٠٠٠ قرية في الهند**و١٥١٠٠٠ قرية في **أفريقيا** و**٥٨٠٠٠ قرية في اندونسيا بدون أي خط تليفوني**، وتلك الاحتياجات تتطلب استثمارات ضخمة.

والتعاون الدولي هنا يلعب دوراً مهماً للغاية. ، **ومؤتمر كوبنهاجن** الأخير تبين فيه أنه لسد الفجوة المعلوماتية، لابد من تحسين البنية الاتصالية في الدول النامية، وهذا يحتاج إلى أموال طائلة لمساعدة الدول النامية في بناء وتحسين شبكة اتصالاتها وتطوير تكنولوجيات الاتصال المرتبطة.وهذه الحاجات الاتصالية تنافس الحاجات الإنسانية من غذاء وكساء وسكن ومباد وفرص عمل،**ولكي تلحق الدول النامية بالدول الصناعية معلوماتيا يجب أن تنمو شبكتها الاتصالية مرتين أو ثلاث أمثال متوسط النمو العالمي لشبكات الاتصال والمقدر ب ٥٪ سنويا . وهذا يتطلب استثمارات جديدة وضخمة لتحديث تلك البنية في هذه الدول** ،ويقدر أنه في عام ٢٠٠٥ سوف تنجز الدول النامية ٣٠٪ من مشروعاتها في البنية التحتية الاتصالية بحوالي ٩٠٠ بليون دولار أمريكي ، والعالم كله سينجز ويطور ١٦٪ من البنية الاتصالية بحوالي ٥٢٠ بليون دولار أمريكي . والحلول يجب أن تكون فعالة ومنصفة، أولها الاهتمام بالمناطق الريفية وتحسين نوعية الحياة فيها. والعديد من الدول تضع استراتيجيات طموحة مسبقة لتنمية البنية التحتية لاتصالاتها المحلية. .فالفلبين مثلا تستهدف خط تليفون لكل فرد يعيش في قراها البالغ عدده ٤٠٠٠٠ **قرية** . الصين مثلا تأمل أن يكون لها ١٤٠ مليون خط تليفوني حتى عام ٢٠٠٠ ،الولايات المتحدة الأمريكية تملك حتى عام ١٩٩٦ حوالي ١٦٠ مليون خط تليفوني.

وبعد هذه النبذة عن فقر المعلومات في العالم **ما هو موقف مصر من كل ذلك**،وجدت نفسي أتتبع ما يسمى **بوثيقة مصر في القرن الحادي والعشرين** ، الصادرة عن مجلس الوزراء في ١٥- مارس ١٩٩٧- والتي يهلل لها المنافقون بأنها دستور جديد لمصر في القرن القادم. ورغم كل **الادعاءات** التي تدعيها الوثيقة بأن التحول **إلى مجتمع** المعلومات توجه سياسي، نجد أن **الوثيقة** خالية تماما من أي كلمة من بعيد أو قريب أو **أي مؤشر حول ملامح ومستقبل البنيه التحتية**

للاتصالات في مصر، رغم أن ذلك كما ذكرنا أهم مؤشر لدخول مجتمع المعلومات، وليس أمامي من تفسير لذلك إلا أن الوثيقة لم يراع في إعدادها الاستعانة بكافة الخبرات المصرية المؤهلة في جميع المجالات، فجاءت اجتهادا لا يصلح للمستقبل.

ونقرأ للأستاذ الدكتور محمد محمد **الهادي**(ورقة بحثية قدمت في المؤتمر العلمي الثالث لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات القاهرة ١٢-١٤ ديسمبر ١٩٩٥ تحت عنوان **(حقوق المواطن في الاتصال والوصول إلى مصادر المعلومات)** ان مصر من أوائل الدول التي وعت أهمية البنية الأساسية للاتصالات، فانتشرت فيها خطوط التلغراف مع أول خطوط للسكك الحديدية، ثم غطت أغلب المدن المصرية قبل نهاية عصر **اسماعيل باشا (١٨٧٨)**، ومهد ذلك لانتشار التليفونات فيما بعد ووصل عدد المشتركين عام ١٨٨٦ إلى ٨١٧ مشتركا مما يعتبر بمقياس العصر وقتها عددا كبيرا. الاتصالات التليفونية في مصر لها تاريخ طويل يواكب دخول التليفون في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا. وفي آخر احصائية منشورة في الصحف المصرية يتبين انه يتم تغطية ٨٠٪ من قرى مصر قبلي وبحري بالخدمة التليفونية بين مصر والدول العربية، من خلال مشروعات الميكرويف، والكوابل البحرية، والأقمار الصناعية فوق المحيط الاطلنطي، والمحيط الهندي، والقمر العربي عربسات لدعم الاتصال بين مصر والدول العربية ولنقل البرامج الاذاعية والتليفزيونية، وسوف يدعم ذلك باطلاق القمر الصناعي المصري نايل ست **في أواخر ١٩٩٧ وفي أكتوبر ١٩٩٥ وصل عدد خطوط التليفونات المحلية ٣٦٣٥٠٠٠ خط، والكثافة التليفونية لكل ١٠٠ مواطن ٦ر١ خط تليفوني.**

ونذكر هنا بالكتلة البشرية الغاطسة الباتلة والتي تبلغ حوالي الخمسين مليونا من البشر والتي تكلم عنها كثيرا الدكتور رشدي **سعيد** في مقالة الهام **الحقيقة والوهم في الواقع المصري**، ووصفها اقتصاديا وثقافيا فهي تمثل الفقر بكل أبعاده، ويهمنا هنا أن هذه **الكتلة الغاطسة من البشر في مصر التي تحصل على ٢٦٪ من جملة الدخل القومي، ويمثلون ٨٦٪ من جملة سكان مصر، ويسكن منها حوالي ٥٦٪ من أسر هذه الشريحة في الريف والباقي في الأحياء الشعبية في المدن أو على أطرافها في مناطق عشوائية، هذه الكتلة الغاطسة ليس لدى أحد فيها أي تليفون خاص**، بل ويمكن القول أن هذه الكتلة الغاطسة محرومة كلية من استخدام التليفون، فمعظم القرى والأحياء التي يسكنونها ليس بها تليفونات عامة.

والآن اذا قارنت الارقام المصرية بالدول المتخلفة التي ذكرت في المقال نجد أن مصر **تملك بنية تحتية اتصالية أعلى من بانجلاديش، ولكنها أصغر من سنغافورة والبرازيل، وذلك لا يؤهلها لدخول القرن القادم أو عصر المعلومات**، واذا قورنت بارقام أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مثلا يتضح مدى المسافة الشاسعة في البنية التحتية الاتصالية بين الدول الصناعية. ولكي تتضح تلك الفجوة أكثر نتفق أولا على أن ثورة المعلومات في العالم الغربي اليوم وصلت ذروتها في خدمة احتكار العالم الغربي لكل شيء، وان الدراسات تبين ان **٩٥٪ من الاستخدام العالمي للمعلومات تتم خارج العالم العربي تماما. بعكس التخلف والفقر المعلوماتي** حيث يقارب عدد سكان الدول العربية مجتمعة تقريبا عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية(حوالي ٢٧٠ مليون نسمة)، لكن الفرق بين عدد مستخدمي الانترنت هنا وهناك كبير جدا، ففيما يقدر عدد مستخدمي انترنت في البلدان العربية بحوالي ربع مليون مستخدم فإن عددهم في الولايات المتحدة الأمريكية يقدر بحوالي ٣٠ مليون أي ما يساوي ١٢٠ ضعفا، بالاضافة إلى أن مستخدمي انترنت هناك يقضون عددا من الساعات أمام الشبكة أكبر بكثير مما يقضيه المستخدمون العرب لأسباب عديدة أهمها التكلفة.

معنى ذلك **أنه لابد أن نستيقظ من وهم التخلف الذي نعيشه**، رغم كثرة التصريحات السائدة هذه الأيام بأن مصر تدخل القرن القادم وهي كذا كذا. حيث يعتقد البعض أن دخول مصر إلى القرن القادم أمر متاح طالما تسعى إلى زيادة الانتاج وعمل المشروعات العملاقة كتوشكي وبناء مدن جديدة وتشجيع الاستثمار والتحول إلى مجتمع اقتصاد السوق. كل هذا جيد ولكنه لا يكفي أن نحصل على تصريح القرن القادم. **لأن نصف مصر فقراء وفقا لكافة مقاييس ومؤشرات الفقر، وكل مصر فقيره معلوماتيا وفقا لمحك البنية التحتية للاتصالات**، واذا عرفنا أن القرن القادم سيشهد المزيد من احتكار الشمال للعلم والتكنولوجيا من خلال المؤسسات العالمية المسيطرة على الانتاج، وعرفنا مثلا أن نسبة العلماء العاكفين على تطوير التكنولوجيا الانتاجية لكل عشرة آلاف نسمة من السكان **بلغوا في اليابان ٤٥، وفي اسرائيل٣٨، وفي أمريكا ٣٧**، وفي دول الجنوب كالشرق الأوسط وشمال افريقيا لا تتجاوز النسبة ٤ علماء في كل عشرة الاف نسمة. وتبين احصاءات **التقرير العلمي** للعالم Word Science report عام ١٩٩٦ أن حوالي ٣٥٪ من انتاج البحوث التكنولوجية يتم في الولايات المتحدة الأمريكية، و٠٦ر٠٪ في الشرق الأوسط،

واتضح أن ٤٦٪ من جملة براءات الاختراع في العالم توجد في أوروبا، و٣ر٢٧٪ في الولايات المتحدة الأمريكية، و٩ر٢٠٪ في اليابان.

والعالم فعلا أصبح منقسما إلى تلك الدول الغنية معلوماتيا المتقدمة صناعيا، وأخرى الفقيرة معلوماتيا وتعيش كالانعام، مجرد كمالة عدد، بواقي، وسرعان ما سوف تصبح الموضوع الرئيسي لعلم الانثروبولوجي. وأقصى ما يفعل العرب، الادعاء بأنهم يملكون المريخ، فيقيم اثنان من اليمن دعوى قضائية ضد الولايات المتحدة الأمريكية لارسالها مركبة فضاء إلى المريخ بحجة انهما يملكان مستندات تثبت ملكيتهما للكوكب الأحمر.

والسؤال الان هل سوف يمنعنا أحد من دخول القرن القادم، وهل هناك بوابة كونية سوف تفتح مساء يوم ٣١-١٢-١٩٩٩، وتبدأ الدول في الدخول ويتم التفتيش الاليكتروني عليها وتصفر البوابة عند الدول التي لا تحمل مقومات القرن القادم، ويتم طردها لتعيش خارج ابواب القرن؟.

الحقيقة أنه سيأتي علينا القرن القادم ولن يمنعنا أحد أن نكتب تواريخه على أوراقنا الرسمية، لكننا بتبسيط شديد لا نملك المنظومة الحضارية للقرن القادم من سياسة وثقافة واقتصاد، نحن مازلنا نعيش في عصر الزراعة، فكيف بالله عليكم ندخل القرن القادم مع سيادة التفكير غير العلمي، وسيادة الغيبيات والخزعبلات والخرافات وأحلام اليقظة، ويزيد على ذلك استمرارية الجهل التي تبدأ بالأمية الهجائية والأمية الثقافية وصولا إلى الأمية المعلوماتية، التي تجعل الافراد عاجزين عن التعامل مع الاجهزة المعلوماتية المسيطرة على عالم اليوم، الذي لم تعد تسيطر عليه قوة الأسلحة أو قوة رأس المال، بل أصبح يسيطر عليه الأحاد والاصفار والعشرات والارقام والمعلومات.

ونحن هنا لن نمل أو نيأس من تحفيز الوطن وإثارة افراده للاستعداد للمستقبل، كل ما أخشاه أن أتهم بتهمة جديدة في طبيعتها هي إثارة الوطن للمستقبل وتعكير الرأي العام الساكن النائم في أحلام التخلف. والبداية دائما لدخول القرن القادم تكون بناء البنية التحتية للانسان المصري التي تبدأ بالاصلاح السياسي والتعليمي الشامل.

الموضوع القادم
لماذا تنتمي الناس للأحزاب ؟!.



يا منجى: الشيخ والبابا والحاخام سيجتمعون!!

خليل عبد الكريم

ورد في الصحف خبر مفاده أن شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان وحاخام إسرائيل سوف يجتمعون.. والذين قرأوا تاريخ الأديان السامية الإبراهيمية وأحاطوا علما بالأفاعيل التي ارتكبها رجال الدين في كل منها وبالعداء الشديد الذي يكنونه لحريات:

الرأي والفكر والإبداع والاكتشاف والاختراع والبحث العلمي.. أصابهم الهلع وانتابهم الرعب وشملهم الذعر وعمهم الفزع وقالوا بصوت واحد: يا منجى.. إذ طاف بذاكرتهم شبح(محاكم التفتيش) (وديوان الزنادقة) و(صاحب الزنادقة) وكل ممارسات الحرق والقتل والسمل والتعذيب البشع التي تمت باسم الدين.

ولا يخدعنك من يزعم عدم وجود رجل دين في الاسلام بحجة أن العلاقة- فيه- بين العبد وربه مباشرة لا تحتاج إلى واسطة كما هو شأنها في المسيحية لأن هذه إحدى العمالات(بضم العين) المنوطة فيها برجل الدين فحسب. أما باقيها فهي مشتركة بين ثلاثتها من الميلاد إلى الزواج إلى الوفاة وإمامة الصلاة في المتعبد.. إلخ.

حتى الأديان غير السماوية يلزمها رجال دين.

وتلاقي الثلاثة المهيبين أو المهيبين الثلاثة وانتظار وصولهم إلى نتائج إيجابية نوع من الشطارة التي يحاولها السحرة أو ضرب من خفة اليد التي يزاولها الحواة أو على أحسن الفروض شروع في تربيع الدائرة لا يثمر الا إهدار الوقت والجهد والمال ولكن لم؟.

لان اليهودية تنكر رسالة ابن مريم (عليه وعلى الصديقة أمه سيدة نساء العالمين أزكى السلام) وعقيدته وكتابه وألصقت بهما أشنع النعوت ومن جانبها فان المسيحية تنفي الاسلام ولا تعترف برسوله(عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) ولا بالوحي الذي نزل على قلبه ولا بالقرآن الذي جاء به ولا زال كل هذا مستمرا حتى الان وليس في القريب أو البعيد ما ينبئ عن الزحزحة عنه لأن من المناقب المتميزة لعقائدهم جميعا أن مقولاتها ومواقفها.. إلخ مطلقة راسخة أبدية..

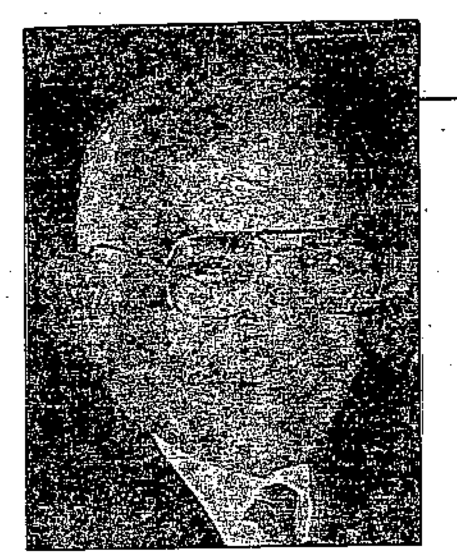
ومع كل فان ما نرجوه من قداساتهم أن يتواصوا بالكف عن معاداة حرية الفكر والرأي والابداع.. الخ والبحث العلمي بلا حدود أو قيود، وعلى حصر نطاق نشاطاتهم المهيبة على الايمان بالله والهداية والارشاد وتهذيب الاخلاق وتربية الضمير.. إلخ. وألا يتخطوا أسوار مساجدهم وكنائسهم وبيعهم المبجلة وان يدعوا الناس يدبرون شئون دنياهم حسبما يتراءى لهم لانهم أعلم بها وألا تدفعهم تطلعاتهم وطموحاتهم إلى تجاوزه وتذكرهم بما تنص عليه مسطوراتهم المحجبة من أن آدم عليه السلام أخرج من الجنة بسبب إقدامه على تخطي حدوده. ومن ثم فان تحريضهم الحكومات على منع تجاريب الاستنساخ البشري واكتشافات الهندسة الوراثية. وما إليها محكوم عليه بالاخفاق (الفشل) الذريع لأنه على طول التاريخ كان الانتصار الساحق دائما للعلم(الطبيعي التجريبي).

اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.

الاردن بعد الانتخابات النيابية:



الحكومة مرتاحة والمعارضة تعيد حساباتها وتستأنف التنسيق بينها


الملك حسين

قبل أن تصحو الحكومة والمعارضة على من كان الخاسر من مقاطعة بعض أحزاب المعارضة الانتخابات النيابية التي جرت في الرابع من شهر نوفمبر الماضي، كانت بدايات الازمة بين العراق و«الأمم/ الولايات المتحدة» قد ألقت بجوها الثقيل على الاردن. **واختلطت آثار الازمة نفسها بمشاعر من المرارة في نفوس الاردنيين جميعا ،معارضين كانوا أو مؤيدين ، لاصرار الأردن على حضور المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا** الذى عقد في الدوحة في السادس عشر من الشهر الماضي ، فقد كان الأردن واحداً من عدد قليل من البلدان العربية التي حضرت المؤتمر بوفد رفيع المستوى ترأسه الدكتور **جواد العناني**،نائب رئيس الوزراء لشئون التنمية، وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء.

وهكذا بدا النواب المنتخبون يجرون المشاورات فيما بينهم لتشكيل الكتل النيابية في ظل هذه الأجواء المحتقنة، والتي لم تخل من مشاكل ذاتية لأحزاب المعارضة وذلك فضلا عن الظرف الموضوعي العام المشار إليه.

وكانت الانتخابات النيابية التى قاطعها عدد من أحزاب المعارضة اليسارية ، فضلا عن جبهة العمل الاسلامى ، الذراع السياسى لجماعة الاخوان المسلمين ، قد تمخضت عن بعض المفاجآت التى لم يتوقعها أحد. فقد فاز كل من **أمجد المجالى** ، وهو ابن رئيس وزراء الأردن **هزاع المجالى** الذى اغتيل في العام ١٩٦٠، وفاز معه منافسه وابن عشيرته **عبد الهادى المجالى**، وهو شقيق رئيس الوزراء الحالي **عبد السلام المجالى**.

ويكمن عنصر المفاجأة هنا في أن من المفترض في هذه الانتخابات التي جرت **اعتماداً على العنصر العشائرى أن ينجح واحد فقط من عشيرة المجالى، والاقرب إلى النجاح بين الاثنين كان أمجد المجالى مما آثار بعض** التساؤل حول نجاح عبد الهادي وحول مصدر الاصوات التي حصل عليها إن لم يكن من عشيرته فهل جاءت من حزبه؟!.

وحزب **عبد الهادى المجالى هو الحزب الوطنى الدستورى** والذي قدم نفسه، الحزب، بوصفه حزب الحكومة وخاض الانتخابات بقائمة معلنة من أحد عشر مرشحاً فضلاً عن قائمة غير معلنة لم يعرف أحد عددها كما لم يعلن الحزب، حتى بعد ظهور النتائج وبدء تشكيل الكتل النيابية أسماء أعضائها.

وقدم الحزب الوطنى الدستورى المفاجأة الثانية حين فشل تسعة من بين مرشحيه الأحد عشر وهو ما أظهره بمظهر الضعف أولاً والبعد عن أن يكون حزب الحكومة أو الدولة ثانياً. وقد كانت تلك فرصة للناطق الرسمي باسم الدولة حول الانتخابات **مازن العرموطى** لأن يعلن على الملأ تنصل الدولة من أن يكون الحزب الوطني الدستوري حزبها . ولا شك أن ذلك سيلقى بظلال قاتمة على مستقبل الحزب الذي سارع عدد كبير من الشخصيات القريبة من الحكم إلى الانضمام إليه تحت وهم كونه حزب الدولة.

وقد بدأت الآثار السلبية هذه بالظهور فور انتهاء الانتخابات حيث أعلن نائبان من القائمة غير المعلنة استقالتيهما من الحزب بعد فوزهما ، فيما ذكرت الصحف أنباء عن استقالة عشرات من أعضائه في مناطق مختلفة من المملكة.

واحدة أخرى من المفاجآت الكبيرة التى أسفرت عنها الانتخابات هى فشل توجان فيصل ، النائبة المعارضة ذات الحضور القوى فى الدورة السابقة للبرلمان، والتي لم يشفع لها مضاعفة أصواتها عما كانت عليه في الدورة السابقة تخسرت أمام مرشح مغمور نافسها على المقعد الشركسي في الدائرة الثالثة في عمان، وهي الدائرة الأكثر تسيسا بين دوائر المملكة. فقد حاز **نايف مولا** الذي كان دبلوماسياً، ومديراً لدائرة المطبوعات والنشر في وزارة الاعلام على أعلى الأصوات في هذه الدائرة مما **آثار تساؤلا مشابها لذاك الذى طرح عن أصوات عبد الهادى المجالى فى منطقة الكرك الجنوبية** . وإن كان عبد الهادي المجالي يتمتع بثقل عشائري ودعم حكومي فمن أين لنايف مولا بخمسة آلاف صوت في دائرة على مثل هذه الدرجة من التسيس؟!.

وفى الدائرة الثالثة نفسها فشلت إميلى نفاع مرشحة الحزب الشيوعى فى الحصول على المقعد المسيحى والذى فاز به خليل حدادين مرشح حزب البعث الموالى للعراق، وذلك على رغم العدد الكبير نسبياً من أصوات الناخبين.

ومن المفاجآت الأخرى فشل رئيس الحزب الديمقراطي الوحدوي **عيسى مدانات** الذي رشح نفسه عن الدائرة نفسها والمقعد نفسه الذي فشلت في الحصول عليه **إميلى نفاع** وفاز به **خليل حدادين** أي المقعد المسيحي في الدائرة. وكذلك فشل اثنان آخران من مرشحي الحزب الديمقراطي الوحدوي الذي يرأسه



رسالة عمان

جبهة العمل الاسلامى..
تواجه مأزق قبول أو رفض التعيين فى مجلس الاعيان

سدانات وهما الدكتور **مصطفى شنيكات** والأمين العام للحزب **موسى المعايطة** ، فى حين احتفظ **بسام حدادين** بمقعده الذى فاز به لأول مرة فى انتخابات العام ١٩٨٩.

اتهامات بالتزوير

وقد أثيرت قبل الانتخابات وبعدها مسألة البطاقات الانتخابية التى استبيحت من قبل المرشحين الذى استولوا على الآلاف منها من دون تفويض من أصحابها ، وبتسهيل من الحكومة عليها بذلك تضمن نسبة عالية من الاقبال على الانتخابات التى قاطعها عدد معتبر من الأحزاب المعارضة. **وأدت فوضى البطاقات الانتخابية إلى تدخل الحكومة التى اكتشفت اسماء مكررة اعلنت عن شطبها فيما بعد وقدرتها بنحو ١٢٠ ألف اسم مكرر، وهو رقم هائل إذا علمنا أن بعض المرشحين فاز بما لا يزيد على الألف صوت.**

وعلى رغم الدعوات المتكررة من جانب أحزاب المعارضة لإلغاء البطاقة الانتخابية التى أصبح الحصول عليها مغامرة شديدة الصعوبة، فان الحكومة أصرت على إبقائها ، وهو ما دفع كثيراً من المرشحين إلى اتهام الحكومة علناً بالتغاضى عن هذه الثغرات الانتخابية واتهمها آخرون علناً بالتزوير.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن تركيبة المجلس لم تخل من المعارضة الاسلامية واليسارية على حد سواء. فقد فاز نحو عشرة مرشحين إسلاميين من بينهم اثنان من قياديي جبهة العمل الاسلامى هما الدكتور **عبد الله العكايلة ومحمد خريبات الازايدة. وقد فصلا** من الجبهة ومن جماعة الاخوان المسلمين على رغم أنهما من أبرز القياديين فيهما.

وفاز من اليساريين **بسام حدادين** القيادي والنائب السابق فى الحزب الديمقراطى الوحدوى ، وفاز **محمد البطاينة** وهو قريب من الحزب الشيوعى الأردنى عن مقعد فى منطقة اربد الشمالية فى حين فشلت **أميلى نفاع والدكتور سعد العبادى** مرشحا الحزب الرسميين.

وفاز عدد آخر من المعارضة الليبرالية مثل الكاتب والصحفى **حمادة فراعنة** المعروف بقربه من منظمة التحرير الفلسطينية. وآخران مقربان من حركة فتح هما **صالح شعواطة ومحمد الكوز.**

ومن القوميين فاز مرشح حزب البعث **خليل حدادين**. كما فاز اثنان من المقربين من الحزب **هما الدكتور نشأت حمارنه وعايد المضايلة**. والأخير كان مرشح إجماع عن عشائر الغساسنة فى منطقة الكرك كما فاز **محمد العوران** أمين عام حزب الأرض العربية ، وهو قومى التوجه ، كمرشح لعشيرته في مدينة الطفيلة.

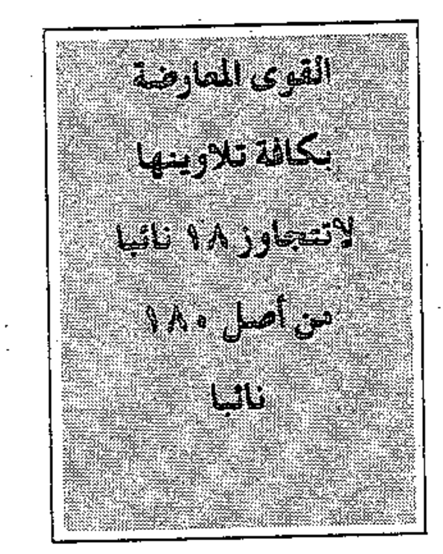
غير أن الصفة الغالبة على هذا المجلس هى العشائرية ، والمجلس مدجن فى غالبيته حيث أن عدد المحسوبين على القوى المعارضة بكافة تلاوينها لايتجاوز ١٨ من أصل ٨٠ نائباً ، وهو رقم لا يكفى للتأثير فى أداء مجلس النواب وخاصة ما يتعلق بالقرارات الكبرى التى ستطرح عليه مثل **قانون المطبوعات والنشر** الذى صدر كقانون مؤقت قبل شهور، وقانون الانتخابات الذى سيحل محل القانون الحالى والذى يعرف باسم قانون الصوت الواحد، وعدد آخر من القوانين الاقتصادية والسياسية ، وبخاصة تلك المتعلقة بالعلاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة.

وبانتهاء الانتخابات على هذه الصورة **بدأ النواب الجدد فى السعى نحو تشكيل كتل نيابية بعضها ديمقراطى التوجه ، وبعضها الآخر وسطى النزعة أو ليبرالى** ويسعى الحزب الوطنى الدستورى إلى تشكيل كتلة برلمانية من عضويه الناجحين فى قاعدته المعلنة وهما **عبد الهادي المجالي وعبد الرؤوف الروابدة** ، ومن الناجحين فى قائمته غير المعلنة . والتى لم تعرف بعد أمام تكتم قيادة الحزب عليها.

غير أن أحزاب المعارضة التى قاطعت الانتخابات ، وتلك التى لم تقاطعها عادت لتدرس أوضاعها بعد موسم الانتخابات ، فمن المعروف أن هذه الاحزاب والتى يجاوز عددها ١٢ حزباً قد انضوت فى إطار شبه جبهوى لتنسيق خطواتها ، ويضم هذا الائتلاف ١١ حزباً معارضاً يضم أحزاباً تندرج فى خانات بين جبهة العمل الاسلامى، وبين الحزب الشيوعى الاردنى. وقد دخلت هذه الاحزاب فى منعطف عندما قرر بعضها المشاركة فى الانتخابات فى حين آثر البعض الآخر المقاطعة ، وهو ما أثر على بنية الائتلاف المذكور.

والآن وقد انفض **سامر الانتخابات بدأت هذه الأحزاب فى لملمة نفسها مجدداً والتنسيق فيما بينها وتوحيد مواقفها ما أمكن تجاه القضايا الاساسية. وقد كان نشوب الازمة بين العراق والولايات المتحدة مناسبة لهذه الاحزاب لاعادة نشاطها شبه الجبهوى.** وكان أول نشاط قامت به هذه الاحزاب فى اطارها المذكور هو تشكيل وفد برئاسة **فؤاد دبور** ، وهو نائب الأمين العام لحزب البعث التقدمى القريب من

توجان الفيصل.. «خسرت» أمام مرشح مغمورا!




أميلى نفاع.. الحزب الشيوعى


الذنيبات التيار المعتدل فى الاخوان

سوريا والقيام بزيارات إلى عدد من سفارات الدول العربية بينها سوريا والعراق ومصر والسعودية لشرح موقف القوى الاردنية المعارضة من هذه الأزمة.

الاخوان والأعيان

أما حزب **جبهة العمل الاسلامى** الذى خرج من مأزق الانتخابات النيابية بفصل عشرات الأعضاء من قياديه وأعضائه، فقد وجد نفسه يناقش مسألة أخرى إشكالية، وهى قبول تعيين أعضاء فى الجبهة فى مجلس الأعيان الأردنى، وهو الذى يضم أعضاء يعينهم **الملك حسين** نفسه ليشكل مجلس الأعيان المعين ومجلس النواب المنتخب مجلس الأمة الاردنى.

فقد جرت العادة أن يختار الملك حسين واحدا من قادة الاخوان المسلمين، أو جبهة العمل الاسلامى عضواً فى هذا المجلس. حيث كان عبد **اللطيف عربيات** وهو نائب أمين عام جبهة العمل الاسلامي عضواً فى مجلس الأعيان السابق، وكان **اسحق فرحان**، وهو الأمين العام للجبهة عينا فى المجلس الذى سبقه، بل وكان أعضاء فى اجتماع الاخوان المسلمين على الدوام أعيانا، حتى فى ظل الأحكام العرفية.

وقد طرحت المسألة على **الاخوان المسلمين** الذين تباينت ردود قادتهم للصحافة بين تأييد قبول التعيين، حيث أن مجلس الأعيان لا علاقة له بالانتخابات، كما أن الملك هو الذى يعين أعضاءه، مما جعل الرفض إحراجاً للملك. وفى المقابل رأى آخرون فى قيادة الجبهة والجماعة أن مجلس الأعيان شريك لمجلس النواب فى مناقشة القرارات وإقرارها، وبالتالى فلا تجوز المشاركة فيه، خاصة وأن المقاطعة تمت على خلفية سياسية هى تلك التى حددتها قيادة الجبهة عندما اتخذت قرارها بمقاطعة الانتخابات النيابية.

وكان الحل فى تحويل الموضوع إلى مجلس شورى جبهة العمل الاسلامى لمناقشته والبت فيه، وهى قضية قد تنشأ عنها مشاكل أخرى داخل الجبهة مثل تلك التى نشأت عن قرار مقاطعة الانتخابات النيابية، غير أنها لن تكون على الدرجة نفسها من التأثير بالتأكيد.

وبعد البت فى هذا الأمر، وعلى إيقاع تطورات الأزمة العراقية ستتحدد أمور كثيرة داخل أحزاب المعارضة، وفيما بينها، وبينها وبين الحكومة المقبلة.

غير أن نذراً حول ارتباك فى صفوف الاخوان بدأت فى الظهور، حتى قبل البت


عبد السلام المجالى.. العشيرة

فى موضوع المشاركة فى مجلس الأعيان، فقد تحدثت أنباء صحفية عن استقالة أحد أبرز أعضاء المكتب التنفيذى للاخوان ممن كانوا احتجوا على رفض المشاركة فى الانتخابات، وهو الدكتور **عبد الرحيم العكور واعتكاف** آخر وهو الدكتور **عدنان الجلجول.** وترددت أنباء عن قرب استقالة المراقب العام للاخوان المسلمين فى الأردن، الدكتور **عبد المجيد الذنيبات،** وذلك على خلفية المشاركة فى مجلس الأعيان، والتى يحبذها هؤلاء الثلاثة، الذين عرفوا بتأييدهم المشاركة فى الانتخابات أيضا، كما أنهم وقفوا ضد قرار فصل القياديين المشاركين فى الانتخابات، الدكتور **عبد الله العكايلة ومحمد الازايدة،** واللذين فصلا تطبيقا لقرار كانت قيادة الاخوان اتخذته فى حق كل من شارك فى الانتخابات تصويتاً وترشيحاً. وشمل إلى جانبهما عدداً آخر من أعضاء الجماعة والجبهة وقيادييهما.

ويشكل الثلاثة **الذنيبات والعكور والجلجولى** تياراً معتدلاً فى المكتب التنفيذى للاخوان، مقابل أربعة آخرين يميلون إلى التشدد.

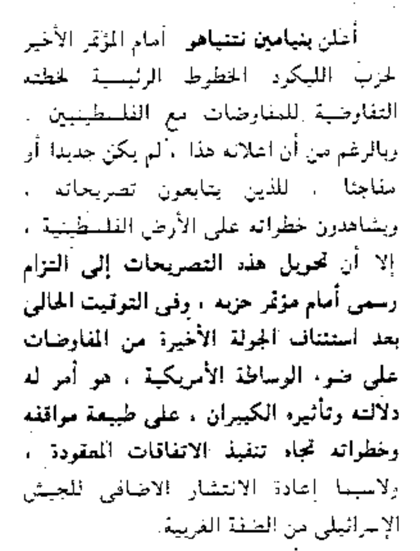
لم تتأكد أنباء الاستقالات بعد، ولكن هناك شيئ يجرى فى صفوف الاخوان، وإن كانت المقاطعة للانتخابات قد أحرجت الحكومة بشكل أو بآخر فإن آثارها ارتدت أيضا عليهم.

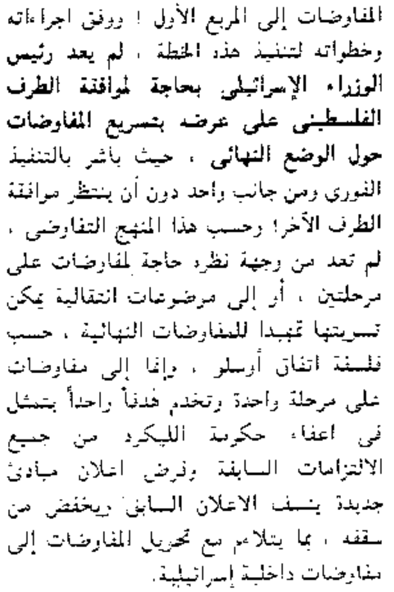


حسب خطة نتنياهو:
مفاوضات المرحلة النهائية تبدأ بالمطار والميناء!

حنا عميرة

رسالة القدس





أعلن **بنيامين نتنياهو** أمام المؤتمر الأخير لحزب الليكود الخطوط الرئيسية لخطته التفاوضية للمفاوضات مع الفلسطينيين . وبالرغم من أن اعلانه هذا ، لم يكن جديدا أو مفاجئا ، للذين يتابعون تصريحاته ، ويشاهدون خطواته على الأرض الفلسطينية ، **إلا أن تحويل هذه التصريحات إلى التزام رسمي أمام مؤتمر حزبه ، وفي التوقيت الحالي بعد استئناف الجولة الأخيرة من المفاوضات على ضوء الوساطة الأمريكية ، هو أمر له دلالته وتأثيره الكبيران ، على طبيعة مواقفه وخطواته تجاه تنفيذ الاتفاقات المعقودة ،** ولاسيما إعادة الانتشار الاضافي للجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية.

ويبدو أن نتائج هذه السياسة ، قد ابتدأت تظهر على شكل ، تصعيد جديد في الاشتراطات والمطالب ، عبر عنها المفاوض الإسرائيلي بشكل مباشر وصريح في جولات المفاوضات التي استؤنفت في واشنطن وعبر اللجان التي اجتمعت في المنطقة ، حيث تأسست هذه الاشتراطات والمطالب على خطوات منسقة ، تربط كل الموضوعات الانتقالية ، والاتفاقات المعقودة ، مهما كانت بسيطة وسهلة ، بمدى انسجامها أو عدم انسجامها مع خطة نتنياهو حول المرحلة النهائية .

وأهداف هذه الخطة ، كما حددها رئيس الوزراء الإسرائيلي أمام مؤتمر حزبه كما يلي:

ستحتفظ إسرائيل بمناطق أمنية واسعة خصوصا في وادي الأردن وفي منطقة غوش **عتصيون - المنطقة الواقعة بين مدينتي بيت لحم والخليل - وبشريط واسع على طول الخط الأخضر بين إسرائيل والضفة ، والقدس الكبرى ستبقى أيضا تحت سيادتنا ، باعتبارها العاصمة الأبدية لشعب إسرائيل والشعب اليهودي ، وستحتفظ إسرائيل بالمستوطنات (أكثر من ١٥٠ مستوطنة) التي ستستمر في تعزيزها ، ثم اقترح مجددا على السلطة الوطنية الفلسطينية تسريع المفاوضات حول الوضع النهائي ، وفي نفس الوقت رفض الوقف المؤقت للاستيطان ، أو إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي من مناطق إضافية من الضفة الغربية.**

هذه هي خطة **نتنياهو** التي أعادت



مادلين أولبرايت

المفاوضات إلى المربع الأول ! ووفق اجراءاته وخطواته لتنفيذ هذه الخطة ، **لم يعد رئيس الوزراء الإسرائيلي بحاجة لموافقة الطرف الفلسطيني على عرضه بتسريع المفاوضات حول الوضع النهائي** ، حيث باشر بالتنفيذ الفوري ومن جانب واحد دون أن ينتظر موافقة الطرف الآخر! وحسب هذا المنهج التفاوضي ، لم تعد من وجهة نظره حاجة لمفاوضات على مرحلتين ، أو إلى موضوعات انتقالية يمكن تسويتها تمهيدا للمفاوضات النهائية ، حسب فلسفة اتفاق أوسلو ، وإنما إلى مفاوضات على مرحلة واحدة وتخدم هدفاً واحداً يتمثل في اعفاء حكومة الليكود من جميع الالتزامات السابقة وفرض اعلان مبادئ جديدة ينسف الاعلان السابق ويخفض من سقفه ، بما يتلاءم مع تحويل المفاوضات إلى مفاوضات داخلية إسرائيلية.

لقد اعتقد الكثيرون أن تراجع السلطة الوطنية الفلسطينية عن مطلبها بوقف الاستيطان أولا ، كشرط لاستئناف المفاوضات ، وعودتها للتفاوض حول المطار والميناء والممر الآمن ، يعبر عن بادرة هامة لحسن النية ، تفتح الباب أمام إزالة العقبة التي كانت تحول دون تقدم العملية التفاوضية ، والتغلب على الجمود الحاصل والتحرك إلى الأمام ، لكن سرعان ماتبين خطأ هذا الاعتقاد ، **وليكتشف الجميع أن تكتيك البدء بالتفاوض حول الأمور السهلة للمرحلة الانتقالية ، وفق الصيغة الأمريكية ، وليس بالقضايا الصعبة نسبيا ، مثل المهلة الزمنية أو الوقف المؤقت للاستيطان واعادة الانتشار** ونحن هنا لانتحدث عن موضوعات المرحلة النهائية

الأكثر صعوبة ، لايعنى شيئا بالنسبة لحكومة **تعتبر جميع الموضوعات التفاوضية الانتقالية والنهائية ، السهلة والصعبة على حد سواء خطرا على أمن إسرائيل ! وغير قابلة للتنفيذ!**

فمن وجهة نظر هذه الحكومة ، فان المطار يجب أن يكون فرعا لمطار بن غوريون فى تل أبيب ، والميناء يجب أن يكون فرعا لميناء حيفا أو أشدود ، لأنهما يرتبطان مباشرة بممارسة حق العودة للشعب الفلسطينى . ولايمكن السماح بانشاء نقاط عبور ليست تحت السيادة الإسرائيلية ، لأنها ستتيح عودة مئات آلاف اللاجئين والنازحين إلى أرض الوطن . ونفس الشئ يمكن أن يقال أيضا . بالنسبة للممر الآمن الذى يعنى اتاحة المجال لقيام تواصل معين بين الضفة والقطاع ، وهذا من شأنه أن يعزز مكانة السلطة ، ومطالبتها بولاية جغرافية كاملة على الضفة والقطاع .

وكذلك أيضا بالنسبة لاعادة الانتشار للجيش الإسرائيلى ، الذى يجب ألا يؤدى إلى منح السلطة الفلسطينية مساحات جغرافية أوسع ، ومقومات اضافية تمكنها من الاعلان عن دولة فلسطينية فى مرحلة قريبة!

ماذا يعنى ذلك؟! انه يعنى أن **نتنياهو عندما يفاوض حول المطار والميناء ، فالقضية الرئيسية بالنسبة إليه هى قضية اللاجئين . وعندما يفاوض حول الممر الآمن وإعادة الانتشار ، فالقضية الرئيسية هى الدولة الفلسطينية ، وعندما يفاوض حول الوقت المؤقت للاستيطان ، فالقضية الرئيسية هى القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية وبقاء المستوطنات** .. وبالتالى فان تنفيذ الاتفاقات المرحلية بالنسبة إليه ، يتجاوز بكثير سقف التسوية النهائية التى يقترحها .. ولهذا فهو يطالب بتسريع المفاوضات النهائية بدون تنفيذ التزامات المرحلة الانتقالية.

وبسبب هذه المواقف ، لم يتمخض اللقاء الأخير بين **نتنياهو** ، ووزيرة خارجية الولايات المتحدة ، **مادلين أولبرايت** ، عن أية نتائج ملموسة ، وذلك بالرغم من إعلانها عن تضييق الفجوة بين الجانبين ، وعن احتمال حصول تقدم ما ، حتى نهاية العام الحالى.

لذلك فلا داعى للتفاؤل ، وخاصة على الصعيد الفلسطينى ، بتقدم المفاوضات حتى **على صعيد الأمور الشكلية والبسيطة ، مهما كثرت بوادر حسن النية الفلسطينية والتنازلات المقدمة ، مادام هذا التقدم لايسير بالاتجاه ، الذى رسمته سياسة الحكومة الإسرائيلية الحالية ، بالنسبة لمستقبل المناطق الفلسطينية المحتلة.**

ويحتل نفس القدر من الأهمية فى تقدير الموقف العام وعرقلة التقدم فى المفاوضات ، تأثير التحالف المكون للحكومة الحالية ، ومحاولة **نتنياهو** تعزيزه والمحافظة على تماسكه ، بطرح مواقف أكثر تصلبا على الصعيد الخارجى ، وخاصة بعد أن تعرض هذا التحالف ولايزال للعديد من الهزات والنزاعات والمواجهات الداخلية ، التى يهدد استمرارها فرص بقائه فى السلطة.

إن هذه الوقائع تقود إلى نتيجة أساسية وهامة وهى أن التركيز الرئيسى فى خطة نتنياهو التفاوضية ، يقوم على جبهته الداخلية ، وعلى تماسك التحالف الحاكم ، ولعل هذا هو أحد الأهداف ، التى يسعى إليها من خلال اقتراحه بتسريع مفاوضات المرحلة النهائية ، فمن خلال طرح موضوعات تحظى على تأييد واسع داخل إسرائيل ، مثل القدس واللاجئين والمستوطنات على سبيل المثال ، **يأمل نتنياهو أن ينجح فى استقطاب دعم شعبى أوسع لسياسته ، وهذا سيمهد إما لعزل المعارضة الداخلية المتمثلة أساسا فى حزب العمل ، أو لاستدراجه للاشتراك فى حكومة وحدة وطنية!! وفى كلا الحالتين فانه سيسجل نقاطا هامة لصالحه !**

ومن هنا فان العامل الأول فى الرد على **خطة نتنياهو** ، يتمثل فى رفض الدخول فى مفاوضات المرحلة النهائية قبل انجاز الاتفاقات المرحلية مهما تصاعدت الضغوط.

أما العامل الثانى فيتمثل فى **إجراء مراجعة شاملة لمسيرة المفاوضات وأداء السلطة ، تتمخض عن صياغة خطة تفاوضية جديدة ،** تعطى الاعتبار الأول لتعزيز الجبهة الداخلية الفلسطينية ، وتستند إلى تأييد عربى يربط بين السلام السياسى والتطبيع الاقتصادى.

والعامل الثالث فى هذا المجال ، وهو على نفس المستوى من الأهمية فيتمثل فى **التخلص نهائيا من الاعتقاد السائد بأن المفاوضات بشكلها وأدواتها الحالية ، يمكن أن تؤدى إلى نتائج عملية مقبولة على الشعب الفلسطينى ، تقربه من هدف الاستقلال الوطنى** ، وبالتالى فان الخطة الفلسطينية ، يجب أن تتجه نحو تجنيد مختلف الضغوط الخارجية والداخلية ، على حكومة نتنياهو ، بهدف عزل هذه الحكومة ، وتضييق فرص المناورة أمامها ، وتقليل فرص بقائها فى الحكم . وهذا يتطلب إعادة صياغة الخطاب الفلسطينى ، فى التعامل مع الرأى العام الإسرائيلى ، بصورة تساعد على الاستفادة من التناقضات الداخلية فى المجتمع الإسرائيلى ، وتجند أنصار السلام ، لصالح التضامن النشط والفعال مع قضية الشعب الفلسطينى ، وتحول دون القيام بأى نشاطات تتعارض مع هذا الاتجاه.

نظير مجلي

رسالة حيفا

هل يسقط «نتنياهو» بضغط داخلي؟

في أواسط شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، بدا أن أيام **بنيامين نتنياهو** في رئاسة الحكومة الاسرائيلية . معدودة فقد هبطت شعبيته في الشارع إلى الحضيض. وأعلن ٣٨ **٪ من مصوتيه (حسب استطلاع رأي أجراه معهد غالوب الاسرائيلي ونشر يوم ٢١ نوفمبر)، انهم لا يريدون أن يروا نتنياهو مرشحا لرئاسة الحكومة مرة أخرى.** وأعلن ٣٤٪ من الجمهور انه يمكن أن يصوت له لو جرت الانتخابات اليوم(٤١٪ يصوتون لمرشح حزب العمل و٢٥٪ لم يقرروا بعد) . وخرج ضده جميع الوزراء وأعضاء الكنيست من حزبه. واتهموه بخداعهم والتآمر عليهم في مؤتمر حزب الليكود الأخير. واستعملوا كلمات قاسية بحقه كذاب يطعن في الظهر ،يخادع ، ستدئ في السياسة».

ثم قامت حركة شعبية تحت اسم **«مواطنون من اليمين ومن اليسار غاضبون وقلقون»** تعتبر نتنياهو كارثة قومية . وتطالب باقالته فورا . وتقول : «ليس بينهما من يحل مكانه ،**دافيد ليفي** (وزير الخارجية) أو **ارئيل شارون** (وزير البنى التحتية) أو **إيلي أوحانا** (لاعب كرة قدم) . فكل واحد من هؤلاء له ايجابياته وسلبياته ، مثلنا جميعا . قد يكون كذب مرة في حياته ولكن لم يتحول الكذب عنده إلى مرض مزمن. وقد يكونوا خدعوا أو تآمروا مرة ،لكن الخداع عندهم لم يتحول إلى مهنة».

وتقول :«لقد أصبح الرجل كارثة قومية في إسرائيل . أفلا نجد رجلا يتحلى بالقدرة والشجاعة يحل محله وينقذنا».

وخرجت وسائل الاعلام الاسرائيلية ، جميعها ، بتقارير وتعليقات مفادها ان نهاية نتنياهو السياسية قد بدأت.

وتصاعدت الحملة للاطاحة به بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ السياسة الحزبية في إسرائيل ، لدرجة أن بعض مساعديه طلبوا منه ان يقطع زيارته الرسمية إلى بريطانيا (استغرقت ٣ أيام) ويعود فورا.

.. **ولكن ، ما أن وصل إلى البلاد وبدأ لقاءاته واتصالاته خصوصا مع خصومه داخل الحزب، حتى بدأت الامور تتخذ منحى آخر فقد راحت جبهة المتمردين عليه تتفكك . وعاد إليه عدد من الوزراء ، الذين تركوه وشتموه . ودخل معارضوه في مفاوضات معه. وفجأة أعلن عن «حل وسط» للاشكال ، وتجاوز نتنياهو الأزمة الداخلية.**

كيف ؟ وعلى أي أساس؟.

هذا هو سر البقاء عند نتنياهو . فالرجل مناور من الدرجة الأولى . الجميع واثقون من أنه سيسقط في نهاية المطاف ضحية لألاعيبه وشطارته لن تدوم . لكن متى؟. وفي أي ظروف؟ وما هو الثمن الذي سيدفعه حزبه وشعبه حتى ذلك الحين. لا أحد يدري.

وفي الواقع، إن تجربته الأخيرة في حزبه جديرة بالتوثيق . ففيها درس يدل أيضا على شخصيته في ادارة السياسة الخارجية.

البداية

كانت البداية في أواسط أكتوبر (تشرين الأول) الماضي، حين أعلن **نتنياهو** فجأة عن انعقاد مؤتمر حزب الليكود في مطلع الشهر التالي (أي بداية نوفمبر) . وقد صدم اعلانه زملاءه في قيادة الحزب.

فهو، حسب دستور حزبه، لا يملك الصلاحية لتحديد موعد **المؤتمر** . هذه صلاحية اللجنة التحضيرية المقررة للمؤتمر . وتبين انه لم ينسق الأمر مع أعضاء أو رئيس اللجنة. فهاجموه علنا واعتبروا تصرفه «دكتاتوريا نظاً» يصلح للأحزاب الحاكمة في دول العالم الثالث» فاجتمع إليهم نتنياهو واسترضاهم واتفق معهم على موعد جديد ، يلي الموعد السابق باسبوع واحد.

وما إن انتهى هذا الاشكال حتى وجه ضربته الثانية. فقد أعلن أحد المقربين منه في قيادة الحزب عن مبادرة لالغاء الانتخابات العامة في الحزب واستبدالها بانتخابات في مؤسسة واحدة هي اللجنة المركزية.

في البداية احتار المراقبون ولم يتخيلوا أن **نتنياهو** يقف وراء هذه المبادرة فهو الوحيد في قيادة الليكود الذي أيد فكرة الانتخابات العامة. والمقصود بهذه الانتخابات اختيار مرشحي الليكود لانتخابات الكنيست ورئاسة الحكومة . وتسمى «**برايميرز**» . وبموجبها يشارك كل أعضاء الحزب في انتخاب المرشحين . وبفضل هذه الطريقة انتسبت إلى الحزب عشرات الوف المواطنين(٢٠٠) مائتي الف عضو، وفاز نتنياهو عندهم أولا. وكان لهذا الفرز دور في انتخابه لرئاسة الحكومة.

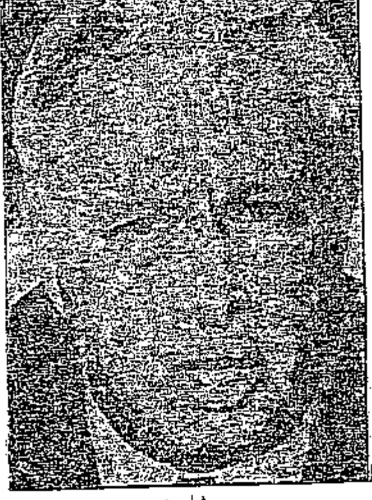
ولكن ، شيئا فشيئا ، بدأت تتضح الصورة ويتبين **أن نتنياهو هو المبادر لالغاء هذه الطريقة** وذريعته في ذلك ، أنه في الانتخابات العامة هذه تفقد مؤسسات الحزب المركزية دورها ومكانتها . وهو يريد أن يتم انتخاب مرشحي الحزب في اللجنة المركزية. وبادر إلى أن يتحول كل مندوبي المؤتمر إلى لجنة مركزية(ثلاثة آلاف عضو).



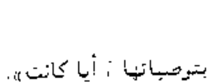
نتنياهو في أحد اجتماعات حزبه الليكود




شامير



شارون



ليفي

بهذه الطريقة ضمن نتنياهو لنفسه تأييد أعضاء المؤتمر.

هنا ثارت ثائرة الوزراء وأعضاء الكنيست نقد رأوا في المبادرة مؤامرة من **نتنياهو** تستهدف وصوله إلى السيطرة المطلقة على الحزب. فأعضاء اللجنة المركزية يقفون معه ويؤيدون. وسيصوتون لمن يريد. وعليه، فإن الوزراء والنواب سيكونون كمن يجلس على كرسي الاعتراف. مصيره معلق بقرار القائد. إن كان موالياً يرضى عنه ويسمى لانتخابه. وإن كان مستقل الرأي أو «مشاغباً» يعطي الاشارة للاطاحة به.

ودخل هؤلاء الوزراء في مماحكات مع **نتنياهو** الذي ظل في البداية ينكر أنه يقف وراء اللعبة. ثم اعترف. وراح يفاوض. وتوصل إلى حل وسط معهم يقضي بأن يؤجل بحث موضوع الغاء **البرايمريز** لمدة ٣-٤ أشهر. فهدأ الوزراء، وراحوا يعلنون عن حل الأشكال بسلام ويتحدثون عن الوحدة.

فقط في المؤتمر نفسه اكتشفوا ان نتنياهو خدعهم مرة أخرى وأوقعهم في مطب. فقد أعلن عدد كبير من مؤيدي نتنياهو أنهم لن يوافقوا على التأجيل، ولكن إعلانهم جاء في اليوم الأول من المؤتمر. ولم يتمكن الوزراء والنواب من عمل أي شيء في هذه الفترة. لكنهم صمتوا، وراحوا يهاجمونه من على منصة المؤتمر. وبالمقابل يرد عليهم أعضاء المؤتمر بالشتائم وبالاحتجاج ويتهمونهم بخيانة القائد نتنياهو.

وانتهى المؤتمر بالقرار الذي اراده نتنياهو وزعم أنه قرار ديمقراطي اتخذ حسب الأصول.

وبعد أيام، تبين أن المؤتمر شهد الاعيب أخرى، منها تزوير الانتخابات. والانكى من ذلك. اتضح أن المقربين من **نتنياهو** استأجروا مخبرة لتقيم يراقب ويلاحق معارضيه ويرصد كل تحركاتهم.

هنا، لم يعد أحد منهم يصبر فاجتمعوا وقرروا القيام بعمل جماعي يوقفه عند حده. وشارك في هذا النشاط كل الوزراء والنواب باستثناء اثنين هما الوزيران **ارئيل شارون** الذي قال أنه يشارك زملاءه في انتقاد **نتنياهو** لكنه يخشى من أن يؤدي هذا التنظيم إلى خسارة الحكم) **ويهوشع ماتسا** (الذي رفض التعاون، لأنه عندما احتاج إلى تعاونهم لم يساندوه في الوصول إلى منصب رئيس المؤتمر). قسم من هؤلاء برئاسة رئيس بلدية تل أبيب- يافا- **روني ميلو** (وهو يعتبر من امراء «الليكود»، أي أبناء الزعماء التقليديين لهذا الحزب وحركته اليمينية القديمة حيروت)، طالبوا استبدال نتنياهو. وقسم آخر اكتفى بالمطالبة في اقامة لجنة تحقيق خارجية لبحث ما جرى في المؤتمر.

وخلال هذه الفترة، سافر نتنياهو إلى بريطانيا وبدا نشاطهم كأنه انقلاب على نتنياهو في غيابه.

وعندما عاد، قرأ الخارطة جيداً، فوجد أن الأمور لم تعد في صالحه. وان المعارضة له جدية للغاية وبدأت تؤثر على مكانته في الرأي العام عموما ولدى مصوتيه بشكل خاص. فقام بدعوة كل الوزراء والنواب، فرداً فرداً، على حدة. وبدا امامهم كالمسكين: «أريد أن أفهم ما الذي يغضبكم- قال لهم- قولوا لي ماذا تعتقدون على أن أفعل حتى أرضيكم».

وعرض عليهم اقتراحه السحري: «نفتح لجنة تحقيق برئاسة قاضي تحقق فيما جرى وأنا اتعهد أمامكم علنا وخطيا بأن التزم بتوصياتها، أيا كانت».

فوافقوا، وبذلك وقعوا مرة أخرى في المطب اذقامت اللجنة فعلاً ومن تركيبتها وصلاحياتها المحددة، أصبح اضحا ماذا ستكون نتيجة عملها. وتذكر هؤلاء فجأة، بعد فوات الأوان، ان فكرة لجنة التحقيق والالتزام بالتوصيات ليست جديدة عند نتنياهو. فهكذا فعل في» **فضيحة بار أون (المستشار القضائي) وخرج منها سليما. وهكذا فعل في قضية فتح النفق تحت اسوار القدس.**

من هنا، اعلنت هدنة جديدة بين نتنياهو ووزرائه ونوابه، ليتنقل من جهة إلى معركة أخرى.. قد تكون خارجية وقد تكون داخلية. وإبان ذلك، زاد عدد المقتنعين بأنه غير صادق ومخادع. إلى متى؟ لا أحد يعرف.

رئيس الحكومة الاسبق لليكود اسحق **شامير** قال في مقابلة اذاعية (٢٢ نوفمبر) انه لا يعتقد أن **نتنياهو يصلح** رئيسا للحكومة. **وشامير** هو الذي جلب **نتنياهو** إلى رئاسة الليكود. وحارب من أجله وأسقط منافسه **دافيد ليفي** في حينه. وعندما سئل عن دوره هذا اجاب: «**خدعنا به. الرجل يتمتع بقدرة خارقة على الاقناع بانه يصلح قائدا. لكنه، حين يصل إلى المركز الذي يريده يفاجئك بانه انسان آخر**».

أقوال شامير هذه لا يستهان بها. وتدل على أن **نتنياهو** في وضع صعب فعلا داخل حزبه. ولكن إلى أي مدى سيواظب **شامير** على ترجمة قوله إلى فعل، هذه مسألة أخرى.



المشكلة العراقية مع أمريكا .. هل تدور حول أسلحة الدمار الشامل؟

نبيل زكي

ظهر بوضوح ، قبل سنوات من الآن ، أن المشكلة بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والعراق ليست مشكلة " **أسلحة الدمار الشامل**" .. فالعراق تم سحقه عسكرياً في حرب الخليج الثانية ، ولم يعد قادراً خلال حصار استمر سبع سنوات حتى الآن على إنتاج هذه الأسلحة أو حتى الحفاظ عليها وصيانتها - إن كانت موجودة - أو التفكير في استعمالها إذا كان قد استطاع الحفاظ عليها .. والسبب في أن القضية مفتعلة من أساسها أن من يستخدم أسلحة من هذا النوع يعرف قبل غيره أنه يعرض نفسه لاستخدام أسلحة مماثلة - وأكثر فتكا وترويعاً - ضده.

إذن .. ماهي مشكلة الولايات المتحدة الأمريكية مع العراق؟

الاجابة واضحة منذ وقت بعيد ، وهي أن الإدارة الأمريكية تريد القضاء على الكيان العراقي لمقوماته الاقتصادية والمادية والعسكرية ، وأن أحد الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة في هذه المنطقة من العالم هو ألا تقوم للعراق قائمة لأحقاب طويلة قادمة.

وهذا مافهمته الشعوب العربية من خلال قراءة التطورات المتلاحقة في منطقة الخليج .. فالدفاع عن العراق ووجوده ووحدة أراضيه لا يعني تلقائيا الدفاع عن نظام الحكم القائم في بغداد . **فالأنظمة تتغير وحكامها زائلون .. وتبقى الأرض و الثروة الوطنية ومقومات النمو والازدهار ملكا للشعب العراقي .**

العقوبات الأبدية !

وعندما يعلن الرئيس الأمريكي **كلينتون** - صراحة ولأول مرة - أنه لن يتم رفع العقوبات عن العراق طالما بقى **صدام حسين** في السلطة .. **نستطيع أن نستنتج بكل سهولة أن من مصلحة الإدارة الأمريكية تكمن في بقاء صدام في السلطة** . والسبب في هذا الاستنتاج المنطقي أن كل مايهم الولايات المتحدة هو أن تبقى العقوبات على العراق حتى لايستعيد قوته ويصبح جزءا من رصيد القوة العربية المناوئة لإسرائيل ..

وحتى لايكون للأمة العربية جناح شرقي قوي يمكن أن يلعب دورا في تصحيح قدر من التوازن الذي أصابه خلل شديد في هذه المنطقة..

ولأن العراق ارتكب بوماً جريمة لاتغتفر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية هي أنه تجرأ على إطلاق بضع صواريخ " سكود" على إسرائيل .. فان هذا يقتضي من جانب واشنطن تعويق العراق بصورة مستديمة وشل حركته وتحويله إلى قزم هزيل كسيح لايكاد يقوى على البقاء.

والملاحظ أن الولايات المتحدة لاتنظر إلى هذه المنطقة على أساس أن كل دولة عربية منفصلة عن غيرها ، وإنما تنظر إلى الأوضاع في المنطقة على أساس أن هناك إسرائيل و.. جيرانها العرب . فهي تتصرف على أساس أن العرب كتلة واحدة بوجه عام إذا تعلق الأمر باسرائيل وأمن إسرائيل ، وكذلك تحرص على الزج بهم في مايسمى بـ " التعاون الاقتصادي الاقليمي "أو الترتيبات الأمنية التي تكفل سلامة إسرائيل . ومن هنا ظهرت فكرة المفاوضات متعددة الأطراف مع بدء مسيرة مدريد.

وعلى سبيل المثال ، فان الولايات المتحدة **تعتبر أن كل** دبابة أو **طائرة تملكها دولة عربية تشكل جزءا من الترسانة العربية التي تهدد أمن إسرائيل** . ولذلك تحرص واشنطن على التحكم في كميات وأنواع الأسلحة التي تصل إلى أي دولة عربية بحيث تضمن التفوق النوعي لإسرائيل على " مجموع الدول العربية".

وكل ذلك يفسر الأسباب التي تجعل **الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على فرض حصار وعقوبات على ثلاث دول عربية حتى الآن** (ويمكن القول بأنها أربع دول في ضوء حظر تصدير التكنولوجيا الأمريكية إلى سوريا وعدم السماح باستيراد سلع سورية) . وكانت إسرائيل تطالب بتوقيع عقوبات اقتصادية كاملة على سوريا . لأنها تدعم المقاومة الوطنية اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، وأيضا بحجة أن سوريا تأوي منظمات فلسطينية معارضة لاتفاقيات أوسلو! فاذا أضفنا إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد حريصة على وحدة العراق أرضاً وشعباً ، وأنها توافق على الاحتلال التركي لأجزاء من شمال العراق (لاتوجد أي سيطرة للسلطة المركزية في بغداد على كردستان العراق حيث أصبح الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني متحالفاً مع تركيا و" حزامها الأمني" في شمال العراق ، كما أصبح الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال الطالباني متحالفاً مع إيران!)

.. **فان الصورة تصبح أكثر وضوحاً فيما يتعلق بالأهداف الأمريكية الرئيسية في المنطقة ، وهي إضعاف الكتلة العربية لحساب إسرائيل.**

هدف إسرائيلي

وكان أحد خبراء وزارة الخارجية الإسرائيلية - ويدعى **عوديد ينون** - قد أخذ على عاتقه شرح " استراتيجية إسرائيل في الثمانينات" . فقال (إن تفتت أي دولة عربية أو إسلامية إلى مناطق ذات خصوصية عرقية ودينية هو هدف من الدرجة الأولى بالنسبة لإسرائيل " وفي كتاب (**إسرائيل في عالم مابعد سنة ٢٠٠٠**) أوضح نفس الخبير - ومعه الدكتور **افرايم سنيه** ، وهو خبير استراتيجي آخر اشترك معه في تأليف الكتاب ، أنه (من المهم التركيز على تقسيم العراق) لأنه (دولة قوية عسكرياً ساهمت في كل الحروب العربية مع إسرائيل وغني بالبترول من جهة ، ويكثر فيه الانشقاق والأحقاد في الداخل ، من جهة أخرى).

ومن ثم فان موضوع " أسلحة الدمار الشامل في العراق" يحتاج إلى وقفة تتيح لنا أن ننظر إلى ماهو أبعد من ذلك .

ولو كانت الولايات المتحدة معنية بازالة

أسلحة الدمار الشامل. فلماذا لاتوافق على المشروع المصرى لإعلان الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل؟

مسئولية القيادة العراقية

ورغم أنه لايمكن بأى حال إعفاء القيادة العراقية الحالية من مسئولية الكوارث التى أحاقت بالعراق، على المستويات الاقتصادية والعسكرية والانسانية، وتوقف عملية التنمية وانهيار مستوى معيشة الشعب العراقى. (الأمر الذى يحتاج إلى أحقاب طويلة لإصلاح الأحوال أو تخفيف عواقب تلك الكوارث). ورغم أن غزو العراق للكويت كان يشكل عدواناً غريباً على شعب عربى شقيق وانتهاكاً لكل المواثيق العربية والدولية.. إلا أن القضية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لم تكن ولن تكون قضية الكويت أو الدفاع عن مبادئ العلاقات الدولية الصحيحة.

وإنما القضية هى استغلال الفرصة لتكثيف الوجود العسكرى الأمريكى فى الخليج وتشديد القبضة على شريان الحياة للغرب (البترول) والسعى إلى التحكم فى احتياجات أوربا من هذا الذهب الأسود.

ولذلك كانت حرب الخليج الثانية هى مناسبة إعلان الرئيس الأمريكى السابق **جورج بوش** عن "نظام عالمى جديد" هو نظام القطب الواحد المهيمن على مصائر البشرية والذى يجب أن يخضع العالم كله للقيم التى يتبناها، والذى يعطى لنفسه "حق التدخل" فى أى مكان وفى أى وقت.

وبفضل «خيال المآتة» - صدام حسين - استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تفرض هيمنة مطلقة على منطقة الخليج الحيوية، وأصبح العالم العربى مستباحاً للقوى الأجنبية والصهيونية.

وبانتصار الولايات المتحدة فى حرب الخليج عام ١٩٩١ بعد نجاحها فى الاستعانة بغطاء عربى.. نجحت فى تحقيق السيطرة الكاملة على المنطقة وعزل العراق ودول عربية أخرى. وأصبح العراق هو "رأس الذئب الطائر".. بعد أن تم تدمير منشآته الحيوية بأحدث الأسلحة التى استخدمت لأول مرة فى الحروب.

سراب السلام

وكان العزاء الوحيد للعرب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية، بعد حرب الخليج الثانية سوف تولى أهمية لتسوية متوازنة للصراع العربى - الإسرائيلى. وخاصة بعد أن اكتشفت أن إسرائيل (هكذا توهم قطاع غير قليل من العرب) لم تعد رصيداً استراتيجياً لها (حيث قام العرب بتسهيل مهمة الولايات المتحدة فى وقت كان مجرد تدخل إسرائيلى فى المعركة ضد العراق كافياً لإحباط كل شئ وإفساد الخطط الأمريكية). كذلك تصور العرب أن إسرائيل فقدت أهميتها الكبرى بالنسبة للولايات المتحدة بعد أن تبددت سحب الحرب الباردة ولم يعد للاتحاد السوفيتى وحلفاؤه وجود غير أن **التجربه العربية برهنت فى السنوات اللاحقة على أن الانحياز الأمريكى المطلق لإسرائيل لم يهتز.. وأن الولايات المتحدة مصممة على فرض الهيمنة الإسرائيلية الكاملة على أرجاء المنطقة!**

وفى الفترة الأخيرة، تزايد عدد الأصوات فى العالم الداعية إلى **رفع الحصار عن العراق** والتى تندد بآثاره التدميرية الهائلة على الشعب العراقى. وترافق ذلك مع قرار جامعة الدول العربية بضرورة تخفيف الحصار المفروض على ليبيا.. ومع معارضة مصر ودول عربية أخرى لتشديد العقوبات على ليبيا أو لفرض عقوبات على السودان تؤثر على مصالح الشعب السودانى.

وفى الفترة الأخيرة أيضاً.. **وقعت شركات فرنسية وروسية كبرى عدة عقود مع العراق يبدأ تنفيذها فور رفع العقوبات**. وفى نفس الوقت، تصاعدت النداءات فى العالم العربى الداعية إلى عودة التضامن العربى وإقامة السوق العربية المشتركة وتحقيق مصالحة عربية. وخاصة فى مواجهة تعنت وغطرسة **بنيامين نتنياهو** رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى يصر على ابتلاع معظم الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية علاوة على القدس.

وكان آخر مظاهر "عودة الحياة" إلى الصف العربى هو مقاطعة الدول العربية الرئيسية للمؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى الدوحة.

مغزى التوقيت

ولهذه الأسباب.. جاء الاستفزاز الأمريكى للعراق الذى استهدف حملة على اتخاذ خطوة هى التى تريدها الولايات المتحدة لتكون ذريعة لإعادة أجواء التوتر إلى المنطقة و"تسخين" الموقف حتى يتم إبعاد الأنظار عن تعثر المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية والنشاط الاستيطانى الإسرائيلى وخطط ضم أكثر من نصف الضفة الغربية لإسرائيل.

وهناك من تحدثوا عن "التوقيت" الذى اختاره العراق لاتخاذ موقف فى مواجهة اللجنة الدولية الخاصة المكلفة بنزع أسلحة الدمار الشامل فى العراق، دون أن يتحدثوا عن "التوقيت" الذى اختارته الولايات المتحدة لإعلان التعبئة السياسية والعسكرية ضد العراق.

وجاء الاستفزاز الأمريكى من خلال المطالبة بتفتيش مواقع تمس الأمن القومى العراقى وكذلك تفتيش مقار الرئيس العراقى صدام حسين!

غير أن الأهم من ذلك هو أن العراقيين أدركوا - متأخرين - أنه لن يتم رفع العقوبات عن العراق حتى لو ظلوا ينفذون مطالب لجنة **ريتشارد باتلر** (رئيس اللجنة الدولية الخاصة المكلفة بنزع أسلحة الدمار الشامل) بعد أن نفذوا كل مطالب الرئيس السابق لهذه اللجنة رالف إيكيوس.

ثم أن هذه اللجنة تتحدث عن إمكانات لدى العراق لانتاج أنواع من الأسلحة، وهى امكانات تتوافر فى كل دولة حتى لو كانت فقيرة (خاصة فى مجال الأسلحة الكيميائية والجرثومية). **ومعنى ذلك أن العقوبات ستبقى إلى مالانهاية لأن هذه الامكانات لايمكن القضاء عليها أو التخلص منها إلا إذا تم القضاء على كل أفراد الشعب العراقى وكل مصانع الأدوية وكل ماله علاقة بالكيمياء!**

ومعنى ذلك أيضاً أن الرقابة الدولية! الأمريكية.. فى حقيقة الأمر) على العراق - يجب أن تكون أبدية سواء عن طريق لجان التفتيش أو كاميرات المراقبة الدائمة فى مؤسسات معينة أو الأقمار الصناعية أو الطائرة (يو-٢)!

موقف عراقى مرن

والعراق يتهم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تستخدم - بدعم كامل من بريطانيا - عمل اللجنة الدولية للإبقاء على العقوبات، وخاصة أن الأمريكيين يسيطرون تماماً على هذه اللجنة.

ومع ذلك فان العراق لم يرفض استمرار عمل اللجنة الدولية، ولم يرفض وجود مفتشين أمريكيين بين أعضائها. وكل ما

> تصفية لوجود العراق..
> أم جدول زمنى
> لرفع العقوبات؟

طالب به هو إيجاد توازن بين العنصر الأمريكي والعنصر غير الأمريكي بين أعضاء اللجنة.

فهل يستوجب هذا الطلب المتواضع إرسال حاملة الطائرات " **جورج واشنطن**" لتنضم إلى حاملة الطائرات " نيميتز" في الخليج ، وإرسال مئات الطائرات إلى المنطقة .. وتدفق معدات القتال على قاعدة " إنجيرليك" في جنوب تركيا واستعراض العضلات على هذا النحو المكثف والمقزز؟

ومن وجهة النظر شديدة الاعتدال ، فان العراق لم يقم بعمل حربي يستوجب رداً على نفس المستوى .. وقد حدث العمل العسكري في الماضي ، لأن الأمر كان يتعلق بغزو دولة أخرى وكما قلنا من قبل فانه شارك من اختار المشاركة في ذلك العمل العسكري سعيا وراء سراب الوعود بأن الوضع الناشئ عقب إخراج العراق من الكويت سيقود إلى حل سياسي شامل وعادل للصراع العربي - الإسرائيلي . وقد انتظر العرب سبع سنوات لكي يكتشفوا أنهم ساروا وراء مجرد أوهام. والمطالبة بإيجاد توازن داخل اللجنة الدولية (لجنة المفتشين) لايشكل مبررا لعدوان عسكري.

والحديث عن أسلحة بيولوجية داخل العراق تستطيع قتل ملايين البشر يحتاج إلى أدلة لم يتم تقديمها حتى الآن ، كما أن هذه الأسلحة تحتاج إلى صواريخ لنقلها .. ولايصح أن يقال ماقاله رئيس اللجنة ريتشارد باتلر من أن هبوب الرياح وحده قادر على نقل السموم(!)

وإذا كان العراق يملك كل هذه القدرة الرادعة ، فما الذي يجعله يقبل بما تقوم به فرق التفتيش من اعتداء يومى على السيادة الوطنية؟

التردي الأخلاقي

وقد رد مجلس الامن الدولي على ذلك المطلب العراقي المتواضع (بادخال تعديلات على عضوية اللجنة) بتشديد العقوبات على العراق ! والطريقة التي عالج بها مجلس الأمن هذا الموقف تنم عن التعجل وعدم التروي وغياب الحكمة . وحتى حق العراق في التظلم وشرح وجهة نظره أمام المجلس لم يعد مسموحاً به .

وظهر بوضوح أنه حتى الدول الكبيرة تلهث وراء استرضاء الولايات المتحدة الأمريكية ولاتجرأ على رفع الصوت ضدها خشية أن تتعرض مصالحها للضرر.

إنه التردي السياسي والأخلاقي في الترجيحات السياسية للدول الكبرى في مجلس الأمن . فقد أدارت دول كبرى ظهرها لمبادئ العلاقات بين الدول من منطلق معايير انتهازية بحثاً عن مصالحها الخاصة على حساب شعب يكاد يحتضر.

وإذا وقع عمل عسكري .. فانه لن يكون حربا بل عدوان طرف على طرف آخر لايفعل شيئاً سوى تلقى الضربات (!) وكل الخيارات أمامه مقفلة.

وتسخر تحليلات المعلقين في الغرب من احتمال أن يكون العراق قد تصور أن الفرصة أتيحت له لفك الحصار المفروض عليه! كما تسخر من احتمال أن يكون العراقي قد تصور أن التحالف الدولي الذي تشكل ضده أثناء حرب الخليج الثانية قد انفرط! **وكأنه غير مسموح للعراقيين بالسعي لتخفيف آلامهم بعد سبع سنوات عجاف وأن على " المجتمع الدولي " أن يصفعهم على وجوههم لكي يفيقوا ولايستغرقوا في الأحلام!**

الثواب والعقاب

وكان المسئولون الفرنسيون يجمعون على تقييم الموقف بعبارة واحدة هي:

" على العراق الالتزام بكافة قرارات الأمم المتحدة لأنها الوسيلة الوحيدة لإعادته إلى كنف المجتمع الدولي"

فما رأى هؤلاء المسئولين الفرنسيين بعد أن أعلن **كلينتون** أن العقوبات لن ترفع طالما بقى **صدام حسين** في السلطة ؟

وكما يعرف الجميع ، فانه لم يرد في أي قرار لمجلس الأمن أو الجمعية العامة للأمم المتحدة ماينص على أن العقوبات لن ترفع عن العراق طالما بقى صدام في الحكم.

فالقاعدة العامة المعروفة أن تغيير نظام الحكم في أي بلد هو مسئولية شعب ذلك البلد .. وليس مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية (بصرف النظر عن أي رأى أو تقييم لنظام الحكم في ذلك البلد).

وهكذا يخرج كلينتون عن قرارات الأمم المتحدة ويسمح لنفسه بالتلاعب بها في الوقت الذي يطالب فيه العراق بتنفيذ " كافة قرارات الأمم المتحدة".

ثم أن اجراءات أمريكية أخرى تمت .. دون الرجوع إلى الأمم المتحدة ، مثل عدم السماح بتحرك قوات برية عراقية في شمال وجنوب العراق . ومع ذلك فقد التزم العراق بتلك الاجراءات الأمريكية خوفاً من الضربات الانتقامية الأمريكية (وكذلك قرارات تتعلق بتوسيع مناطق حظر تحليق الطائرات العراقية .. وغير ذلك من القرارات الأمريكية - البريطانية المحضة والتي لاعلاقة لها بالأمم المتحدة)

ويحق لكل انسان أن يطرح السؤال التالي:

كيف يطلب كلينتون من صدام حسين أن يفتح أبواب كل مبنى في العراق على مصراعيه للمفتشين الذين يعينهم الرئيس الأمريكي نفسه ، بينما هو يطالب علنا بالإطاحة بصدام ، وينذر بأن العقوبات لن تلغى طالما بقى صدام في الحكم؟؟!!

المفترض أن تطبق الأمم المتحدة أسلوب الثواب والعقاب ... أى أن يتم تخفيف العقوبات مع كل خطوة يتخذها العراق للتجاوب مع القرارات المفروضة عليه ومع كل خطوة تستهدف الحوار وتستهدف تسهيل عمل المفتشين الدوليين . ويمكن أن تقدم الأمم المتحدة على إجراءات عقابية في حالة رفض العراق للتعاون.

أما أن يظل العراق تحت طائلة العقاب مهما فعل ، ومهما أبدى من روح التعاون ومهما قدم من تسهيلات .. فهذا أمر غير معقول.

عصيان أمريكي

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحرص على تشجيع العراق على تنفيذ القرارات « الدولية» فانها يجب أن تقدم " الحوافز" للعراق لكي يمضى قدماً في هذا الطريق.

أما أن يعلن رئيس الدولة « الأعظم» ، بعد سبع سنوات من تدمير متواصل للأسلحة العراقية ، وتجريد العراق من السلاح .. وبعد سبع سنوات من تفتيش كل ركن في العراق .. وبعد سبع سنوات من التجويع والحرمان من مقومات الحياة(من طعام ودواء) وبعد وفاة أكثر من مليون طفل عراقي نتيجة سوء التغذية..

.. أما أن يعلن رئيس الدولة " الأعظم" بعد ذلك كله ، .. أن العقوبات باقية طالما بقى صدام في السلطة ثم ينتظر من القيادة العراقية أن تعلن الترحيب بتفتيشه .. فهو عبث واستخفاف بالعقول ، وإعلان من الدولة " الأعظم" عن احتقارها للمجتمع الدولي واصرارها الهستيري على إذلال العراق.

وفي نفس الوقت ، فان إعلان المسئولين الأمريكيين عن عزم واشنطن على القيام بعمل عسكري ، عند الضرورة ، سواء وافق مجلس الأمن أم لم يوافق .. إنما يعنى أيضا خروج أمريكا على الإجماع الدولي ، ومخالفتها لقواعد الشرعية الدولية ، واتخاذها موقف العصيان في مواجهة الأمم المتحدة ، ورفضها

احترام قرارات وتوجهات المنظمة العالمية في الوقت الذي يتحدث فيه الزعماء الأمريكيون ليل نهار عن ضرورة وحتمية تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

إذن فالولايات المتحدة الأمريكية فقط هي التي يحق لها أن تطأ بالأقدام قرارات الأمم المتحدة ، فهي دولة فوق القانون (وإسرائيل كذلك)

منطق الهراوة الغليظة

وإذا اقتنع العراق بأنه مهما تعامل مع الأمم المتحدة بروح ايجابية ، ومهما نفذ من قرارات وإجراءات .. فإنه لن يحصل على شئ في مقابل ذلك ، وأن العقوبات ستبقى مفروضة عليه إلى أجل غير مسمى .. **فإنه من الطبيعي أن يختار عدم التعاون لأنه لن يخسر شيئا حتى لو انهالت على أرضه صواريخ كروز توماهوك.**

وحتى أصدقاء الولايات المتحدة يرون أنه كان المفترض - وفقاً للمنطق الفرنسي مثلاً - توجيه إشارات مشجعة للعراق في كل مرة يخطو فيها خطوة إيجابية إزاء قرارات الأمم المتحدة بدلا من التعامل معه فقط بمبدأ الهراوة الغليظة .. وبدلاً من أن يطلب المجتمع الدولي من العراق في كل مرة أن يكتفي بإحصاء عدد الضربات التي يتلقاها وعدد الهراوات التي تنهال على رأسه دون أن يكون له حق الصراخ أو الاحتجاج.

ومعلوم أن القيادة العراقية أساءت إلى موقفها هي نفسها أكثر من مرة في السابق عن طريق تقديم بيانات ثم التراجع عنها وعن طريق تكذيب نفسها بنفسها ، وكذلك أساءت إلى نفسها عن طريق الاعلان عن موقف يحمل مسحة من التشدد ثم التقهقر بسرعة . كما أن **الدلائل تشير إلى أن القيادة العراقية لم تغير من أساليبها التي عفى عليها الزمن في التعامل مع شعبها أو الشعوب العربية أو العالم الخارجي . وفي بعض الأحيان ، يسود الاقتناع بأن القيادة العراقية لم تتعلم من دروس الماضي المريرة.**

دور " البعبع"

غير أن الولايات المتحدة الأمريكية ستقاتل بشراسة للابقاء على سيطرتها على الشرق الأوسط ، وبصرف النظر عن غازات " **انثراكس**" و" **في - اكس**" التي يستخدمها الأمريكيون في تخويف العالم كله الآن (لاحظ أن العراق لم يجرؤ على استخدام مثل هذه الطائرات أثناء الحرب خوفا من رد انتقامي) .. **فإن الأرجح أن الولايات المتحدة الأمريكية مازالت ترغب في استخدام صدام ليلعب دور" البعبع" الذي يخيف دول الخليج** للابقاء على التحالف الوثيق بين هذه الدول .. وأمريكا.

مهمة أمريكية صعبة

ومع ذلك ، فإنه يمكن القول أن الولايات المتحدة في موقف أضعف الآن في الشرق الأوسط مما كانت عليه في السابق فقد فشلت في حمل **بنيامين نتنياهو** على تقديم أي شئ - ولو مجرد تنازل شكلي أو رمزي - للفلسطينيين . كما تحولت اتفاقيات أوسلو إلى حطام . وأصيبت السياسة الأمريكية في المنطقة بنكسة كبيرة بعد أن تمسك غالبية العرب بالربط بين احراز تقدم في عملية السلام وبين أي تعاون اقتصادي إقليمي (على خلاف التوجه الأمريكي) ومن ناحية أخرى ، فإن محاولات واشنطن إعادة توحيد معسكر حلفائها السابقين في حرب الخليج قبل أن تتسع الثغرات في هذا الحلف الآيل إلى التفكك تصطدم بعقبات حقيقية.

وتتعثر جهود واشنطن ، هذه المرة ، في محاولات البحث عن غطاء عربي لأي تصعيد محتمل ضد العراق رغم أن كلينتون يطرح قضية استعداداته العدوانية لعمل عسكري ضد العراق على أساس " أن المسألة تتعلق الآن بأمن القرن العشرين "!!

ويتضح أكثر فأكثر بالنسبة للعرب ذلك الكيل بمكيالين من جانب الولايات المتحدة ومجلس الأمن . فلا يوجد من يتوقف أمام ترسانة الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية الموجودة في إسرائيل ، ولاأمام استمرار احتلالها للأراضي العربية لأكثر من ثلاثين سنة ، ولارفضها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن.

ويتردد في أوساط فرنسية أن الحظر لن يرفع عن العراق إلا بعد سنوات طويلة .. أي بعد أن تتمكن دول الخليج النفطية من تحقيق الأرباح التي تكفي لتسديد ديونها الناجمة عن حرب الخليج الثانية .

ومن هنا نلاحظ أن بعض دول الخليج النفطية ضاعفت أرباحها النفطية في العام الماضي دون أن تضطر لرفع انتاجها ، وهو أمر له علاقة مباشرة بغياب العراق عن الأسواق البترولية.

" الفواتير الأمريكية"

وهناك شعور عام لدى مواطني الخليج بأن الولايات المتحدة تستخدم " الورقة العراقية" للابتزاز السياسي والمادي . فقد اعتادت واشنطن أن تستنزف قدرات الخليجيين المادية التي لم تعد" هائلة" بأي حال . **ففي كل مرة تتحرك فيها الطائرات الحربية وحاملات الطائرات الأمريكية في الخليج .." للحماية من صدام" تظهر - بعدها - " الفواتير" بمئات الملايين من الدولارات** ، ويجد الخليجيون أنفسهم إزاء مطلب أمريكي بدفع " بدل أتعاب خدمة" وبدل صيانة لهذه الطائرات بحيث تحولت أزمات الخليج إلى وسيلة " استرزاق" مستمر تحت شعار " العمل على فرض تنفيذ القرارات الدولية على العراق"!

ولما كان هناك شبه اجماع عربي على رفض أي ضربة عسكرية أمريكية للعراق .. فإن الطريق ينفتح أمام تعزيز الحوار بين الدول العربية وتقريب وجهات النظر المتباعدة **حيث لايجوز أن يكون الصينيون والفرنسيون والروس أكثر تعاطفا مع الشعب العراقي من العرب أنفسهم** . ثم أن العرب يجب أن يدعموا مواقف الدول التي توجد حتى مجرد خلافات غير جوهرية بينها وبين الولايات المتحدة حول الموقف من العراق (وهي الدول الرافضة للعمل العسكري)

الأفق الزمني

ولايوجد حصار من غير أفق زمني

ولاتوجد عقوبات إلى مالانهاية.. بغرض تحقيق أهداف تتجاوز بكثير قرارات الأمم المتحدة.

ولامعنى لكل هذا التشدد اللامنطقي مع العراق .. وفي نفس الوقت التسامح مع إسرائيل.

فالعراق مستعد لتنفيذ كل ماتطلبه أمريكا مقابل شئ واحد : **جدول زمني لإلغاء العقوبات نهائيا** والعراق لايشكل خطرا على جيرانه . لأنه منهك ومستنزف وعاد عشرات السنين إلى الوراء . والشئ الوحيد الذي نجح فيه حتى الآن هو إعادة طرح مشكلته على المستوى العالمي.

ولاحاجة إلى التذكير بأن العقوبات لاتلحق ضرراً بالحكام وإنما بالشعوب . كما أن العقوبات ليست وسيلة إسقاط أنظمة الحكم بل هي وسيلة لتعزيز مواقع الحكام الذين يطالبون شعوبهم بالالتفاف حولهم في مواجهة مؤامرات التجويع الآتية من الخارج وخطط التقسيم والتمزيق والتدمير لمقومات الوجود والحياة.



بدعوة من الامانة المركزية لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، التقى السيد مصطفى بن شريف، سفير الجزائر في القاهرة، مع أعضاء الامانة المركزية وعدد من قيادة الحزب والمهتمين بالشأن الجزائري.

وتنشر اليسار على هذه الصفحات نص الحوار الذي دار بين سفير الجزائر وأعضاء الامانة المركزية للحزب.

مصطفى بن شريف

سفير الجزائر

تجاوزنا كل الأخطار

انتهت الأزمــة والكلمة الآن للــشعب

*** منعنا تأسيس الاحزاب على أساس ديني أو عرقي**

*** جبهة الانقاذ الاسلامي.. خليط من المافيا وتجار المخدرات والافغان العرب.. والاسلام السياسي**

*** سرعة الانتقال من نظام الحزب الواحد للتعددية.. أدى إلى ما يشبه الفوضى**

*** كلما اقتربت الجزائر من الحل النهائي ازدادت درجة التوحش والبربرية**


مصطفى بن شريف

خالد محيي الدين

الوضع في الجزائر يثير لدينا قلقاً شديداً. لقد تابعنا مقدمات الازمة وبداياتها الأولى وفوز جبهة الانقاذ في انتخابات المحليات ثم الانتخابات العامة وما جرى بعد ذلك.

القضية الجديدة هو ما يحدث الان فبعد **الانتخابات البرلمانية وانتخابات المحليات وقبلهما انتخاب رئيس الجمهورية يصدمنا جميعا التصعيد الشديد للقتل الجماعي وذبح النساء والأطفال بهذه الصورة.**

إن الحقائق لم تعد واضحة وأصبحنا مشتتين. فهناك بعض الاخبار تقول ان ما يحدث هو عمليات أخذ بالثأر ترتكبه بعض التيارات التي تنسب نفسها للاسلام. اخبار أخرى تقول إن الجيش الجزائري هو الذي يقوم بالمذابح. ويتساءل الناس **كيف تقع هذه المذابح على بعد كيلو متر من العاصمة. وهناك اخبار تقول إن أصوات الاستغاثة** تكون مسموعة في العاصمة ولا أحد يتحرك!!.

السفير الجزائري

في البداية لابد أن انقل إليكم أن موقف الشعب المصري وعلى رأسهم الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** محفورة داخل كل الشعب الجزائري. الجزائر بلدكم الثاني **عاشت أزمة كبيرة** ومؤامرة كبيرة **ولكنها بحمد الله تجاوزت كل الأخطار التي كان من الممكن أن تؤدي إلى حرب أهلية وهذا كان هدف المؤامرة الخارجية. نعم هناك بعض الاسباب الداخلية أو بعض المرتزقة من الداخل. لكن الشعب الجزائري رفض العنف بصفة عامة ولم تحدث حرب أهلية.**

ثانيا: بالنسبة للوصول إلى السلطة بالعنف. فلقد فشلت محاولات التآمر والوصول إلى السلطة بالعنف من أي طرف. لأن الشعب الجزائري لديه طموح شرعي للديمقراطية الحقيقية.

ثالثا: المؤسسات في الدولة الجزائرية قاومت **ولو أن أي دولة من دول العالم الثالث عاشت جزءاً مما عاشته الجزائر كانت ستذوب وتزول.** لان المؤامرة كانت كبيرة والصعوبات والتناقضات والمشاكل داخلية وخارجية كانت ضخمة. ولكن المؤسسات قاومت أولاً: بشرعية الشعب الجزائري. والشعب الجزائري قاوم ونجح والمؤسسات قاومت ونجحت ولم يكن هذا صدفة.

الان الخطورة انتهت وحتى الازمة انتهت. أزمة شرعية السلطات، أزمة شرعية المؤسسات وأزمة النظام انتهت. فمنذ أيام دخلنا في مرحلة جديدة وهي نهاية الازمة.

هناك بعض الأشياء المرتبطة بالارهاب والعنف. فالقضية ليست قضية سياسية. في البداية قالوا إنها قضية دينية وأننا منعنا الاسلاميين من السلطة. بعدها قالوا قضية سياسية. الان القضية تطبيق برنامج الرئيس زروال والذي يركز على نقطة أساسية وجوهرية وهي أن الكلمة للشعب: **فاذا لم نتفق مع المعارضة أو الاحزاب أو أي طرف فالذي يفصل هو الشعب. الحاكم هو الشعب.** ولذلك قرر الرئيس إجراء انتخابات تعددية ديمقراطية.

بعدما طبقنا هذا المبدأ- الكلمة للشعب- ورغم التحفظات ورغم الاختلافات ورغم الطعون ورغم الضعف في بعض الأشياء فان الشعب عبر عن ارادته في انتخابات رئاسية في نوفمبر ٩٥

وفي استفتاء للدستور نوفمبر ٩٦، وفي انتخابات تشريعية في يونيو ٩٧ وفي انتخابات محلية في أكتوبر ١٩٩٧.

الآن الكلمة للشعب وفيه مؤسسات شرعية من الرئاسة إلى القاعدة. من المؤسسات المحلية والبلدية حتى الرئيس. هناك شرعية والإرادة الشعبية عبرت عن ذلك. رغم الصعوبات ورغم النقائص، ورغم بعض الأشياء. ولكن بصفة عامة نجحت الأمور.

ليس هناك شئ كامل أو مثالي لكن الشعب الجزائري يفتخر بنجاح مرحلة الكلمة للشعب. الآن القضية أمنية. ولكن حتى في المجال الأمني تغير الوضع تماماً. في ٩٢، ٩٣، ١٩٩٤ **كانت الحالة خطرة. المجموعات الارهابية كانت تهاجم المؤسسات وتقتل الكثير من الأبرياء ورموز النخبة الآن الامور تغيرت. فبعد أن كانوا منتشرين في الكثير من المحافظات والولايات هم الآن معزولين في ثلاث أو أربع محافظات-** لدينا ٤٨ محافظة-هم الآن معزولين في الجبال ومعزولين في الغابات ويقتلون الابرياء في قرى معزولة. فلم يعد هناك هجوم على مؤسسات أو أماكن في وسط البلد. والارهاب أصبح معزولاً ومكشوفاً ومكروهاً مما جعله يظهر بشكل ضعيف.

الإشكالية هي أنه كلما عبر الشعب الجزائري عن إرادته وانه يرفض العنف ويرفض التطرف ويريد فعلاً الديمقراطية كلما بدأت وارتفعت درجة الوحشية. كلما عبر الشعب الجزائري عن أنه لايريدهم وكاشفهم وكارههم كلما قتلوا في الأبرياء بطريقة وحشية لم تحدث في العالم.

سنتكلم عن بعض الأعراض التي نسمعها في الصحافة الدولية- **عربية وأجنبية** -التي تتكلم سواء بشكل تحترمه أو بأفكار مسبقة أخرى تريد من خلالها أن يظل منطق الصراع في الجزائر باقياً. من أجل القضاء على مواقفنا الدولية سواء بالنسبة للقومية العربية أو قدماً في عدم الانحياز. وموقفنا مع منظمة التحرير في افريقيا، وكل مواقفنا المعروفة مع القضايا العادلة.

بعض الناس يريدون التحرش بالجزائر لأن موقفنا في النضال من أجل التحرير يعد مثالا للنضال في هذا القرن. لانها تريد أن تقضي على مواقفنا من قضية السلام وموقفنا من النظام الدولي الجديد. فرغم كل المشاكل ظللنا متماسكين وهذا هو السبب الأول للأزمة وهو سبب خارجي.

السبب الثاني للمؤامرة أو الأزمة. أننا في ٨٩ قررنا ان ننتقل من نظام الحزب إلى التعددية. ولم نتحكم كما ينبغي الحال في هذه المرحلة الانتقالية مما خلق لنا انزلاقات ومشاكل معروفة نتيجة لسرعة الانتقال من النظام الواحد إلى التعددية بدون وضع قواعد وأسس اللعبة السياسية فأصبحنا في شبه فوضى. هذا من الجانب الداخلي.

السبب الثالث أن بداية الديمقراطية في الجزائر في ٨٩ كانت مع نهاية حرب افغانستان والدعاية العنيفة للإسلام السياسي، وبعض التصرفات غير المعقولة والسلبية لبعض الدول الاسلامية مع اصحاب الاسلام السياسي والايديولوجيات المعروفة في هذا الاتجاه.

النقطة الاولى: كانت مؤامرة خارجية لضرب الجزائر كمثال وكنموذج في عدم الانحياز أو في **تحرير الشعوب أو في تضامن الشعوب. فكان لابد للنظام الدولي الجديد أن يخلص الثمن منا.**

ثانياً: المرحلة الانتقالية وتناقضات النظام الداخلي ومشاكلنا الداخلية ونقائصنا الداخلية وأننا لم نتحكم كما ينبغي الحال في هذه المرحلة الانتقالية وهذه مسئوليتنا.

ثالثاً: نهاية حرب أفغانستان وتصرفات الايديولوجيات الرجعية لتزييف الصورة الحقيقية للاسلام والتلاعب بمصير الشعوب.

باختصار شديد هذه هي الأسباب الداخلية والخارجية التي جعلت الجزائر تعيش مرحلة صعبة جداً وأزمة كبيرة جداً. ولكن منذ ١٩٩٤ بدأ الأمل.



فئوس وخناجر ادعياء الاسلام .. **قضت على عائلة بأكملها**

بعد وصول **الرئيس** زروال قال إن حل المشكلة السياسية هو حل سياسي. نحن لم نتفق مع المعارضة بالاضافة لمشاكل داخلية ولمؤامرة خارجية. الحل الوحيد هو الكلمة للشعب فمهما كانت قوة الجيش أو الشرطة لا يمكن حل المسألة بدون مشاركة المواطن.

قرر الرئيس اجراء انتخابات في نهاية ٣١ أكتوبر ١٩٩٤ بمناسبة الذكرى الاربعين لثورة أول نوفمبر. وقرر اجراء انتخابات رئاسية قبل نهاية ١٩٩٥ تحت مراقبة الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية وتقريباً ١٠٠٠ صحفي اجنبي. لتكون أول انتخابات رئاسية تعددية في المنطقة. كانت شفافة وديمقراطية والرئيس لم يحصل على ٩٩٪ ولكن حصل على ٦١٪. ٧٩٪ من المواطنين شاركوا في الانتخابات رغم تهديدات الارهابيين، ورغم تحفظات جزء من **المعارضة** في روما ورغم .. ورغم. كان **الشعب** رجلاً واحداً.. **أكثر من الثلثين خرج وقال لا للعنف ولا للارهاب ولا للتطرف ونعم للديمقراطية والرئيس الشرعي.**

بعد هذا بسنة قرر الرئيس في ١٩٩٦ اصلاح الدستور بما يضمن العدالة. **واقر الدستور منع تأسيس أحزاب على أساس ديني أو عرقي أو لغوي بحيث لا يستغل الدين في الصراع على السلطة.** برهان للديمقراطية ودليل عليها منع على أي رئيس جزائري أن يبقى في السلطة أكثر من عشر سنوات بحيث يكون له الحق في الترشيح مرتين فقط كل مرة لمدة خمس سنوات.

ودليل على المناورة نص على السماح لجميع كل المعارضة بدون استثناء على دخول البرلمان. وسمح لكل الذين ينبذون العنف ان يقدموا برامجهم ويدخلوا الانتخابات. **٣٩ حزباً شاركوا في الانتخابات التشريعية ١٠ حصلوا على نتائج ومثلوا في البرلمان. الحزب الذي يتبنى برنامج الرئيس- ليس حزب الرئيس-حصل على ٤٠٪ فقط. المعارضة ٤٠٪ وليس ٥٪ جبهة التحرير الوطني ٢٠٪.**

في المعارضة يوجد اسلاميون معتدلون في حركة من أجل السلم«حماس سابقاً». والذين غيروا اسمهم طبقاً للدستور الجديد لمنع استغلال الاسم. فحزب النهضة الاسلامية. أصبح اسمه النهضة الجزائرية أي انهم مبدئياً طبقوا القانون. في المعارضة ٢٥٪ اسلاميين معتدلين. ١٥٪ علمانيين وديمقراطيين وأحزاب حتى أقصى اليسار. فلا يوجد احتكار.

على هذا الاساس شكلت حكومة تحالف. فيها ٧ وزراء من التيار الاسلامي المعتدل، ٧ وزراء من جبهة التحرير الوطني والاخرون من الحزب الذي يتبنى برنامج الرئيس.

بعد ذلك أجرينا الانتخابات المحلية وشارك فيها ٤٠ حزباً في حوالي ١٥٠٠ دائرة انتخابية. فكان من الصعب على كل حزب من المشاركين أن يكون لديه قائمة كاملة من ١٠ مرشحين في كل دائرة من ١٥٠٠. أي أن يكون لديه ١٥٠٠٠ مرشح. حزبان فقط هما اللذان اكملا قوائمهما في حوالي ٩٠ إلى ٩٥٪ من الدوائر والبلديات. الحزب الذي يتبنى برنامج الرئيس لم يحصل على قائمة مرشحين كاملة الا في ٥٪ من البلديات. وجبهة التحرير الوطني رشحت في ٩٠٪ غير في ١٠٪ من البلديات. بعد هذين الحزبين. كل الاحزاب لم تحصل على النصف. حتى السلم شاركوا في ٤٣٪. أي أن الإسلاميين لم يتواجدوا كمرشحين الا في ٤٣٪ فقط من البلديات. ولذلك كان من المتوقع والطبيعي ألا يحصلوا إلا على عدد محدود من المقاعد في المحليات.

أي أن جبهة التحرير، وحزب الرئيس هما

اللذان تواجدا فقط في جميع الدوائر. فمن الطبيعي الا تحصل أحزاب المعارضة على عدد كبير من الأماكن في الانتخابات المحلية. فالديمقراطيين مثلا كانوا غائبين في ٨٠٪ من الدوائر.

خالد محيي الدين

هل كانت جبهة الانقاذ ستستطيع التواجد في الكثير من الدوائر لو دخلت الانتخابات؟.

السفير الجزائري

بعد أن حكيت لكم كل المسيرة الديمقراطية في الجزائر، بدون دماجوجية أقول انها تجربة ناجحة برغم بعض التحفظات والنقائص التي تكلم عنها البعض. فلم يكن هناك حل الا أن تكون الكلمة للشعب وان تحافظ على شرعية المؤسسات التي يجب ان تتواجد بقوة ومصداقية.

بالنسبة للجبهة الوطنية للانقاذ تقول الأرقام إنهم في الانتخابات التشريعية الأولى في ديسمبر ١٩٩١ والتي كنت فيها أحد مرشحي جبهة التحرير وكسبت الانتخابات من مرشح الجبهة الاسلامية للانقاذ والدائرة تمثل من ٧ إلى ١٠ بلديات أي تقريبا نصف محافظة.

الأرقام تقول إن عدد الناخبين ١٢ **مليون، ٤ مليون منهم** رفضوا المشاركة في **الانتخابات** لأسباب متعددة ولكن السبب الاساسي هو رفض المشاركة في الانتخابات التي فيها إسلاميون ومتطرفون ضد الديمقراطية.

الباقي ٨ ملايين خمسة ملايين صوتوا ضد الاسلاميين ولكنهم توزعوا على ١٠ أحزاب. الاسلاميون حصلوا على ٣ ملايين. جبهة التحرير حصلت على مليون و ٦٠٠ ألف من الخمسة ملايين جبهة القوى الاشتراكية حصلت على ٦٠٠ ألف وبقية الأصوات توزعت بين بقية الاحزاب.

بالتحديد لقد حصل الاسلاميون على ٣ر٢ مليون صوت انتخابي. وكل الآخرين حصلوا على ٨ر٤ مليون صوت انتخابي. أي ان ٤ ملايين ناخب رفضوا الانتخابات لمشاركة الاسلاميين، ٨ر٤ مليون صوتوا ضدهم. وهم حصلوا على ٣ر٢ مليون وقالوا نحن الاغلبية في الشعب الجزائري،

هذا غير صحيح فالارقام تتكلم وحدها.

الواقع انهم لم يحصلوا على الأغلبية ولكن قانون الانتخابات جعلهم بالثلث حصلوا على أغلبية المقاعد. بالثلث حصلوا على ١٤٥، ٤٧٪ من المقاعد. هذا من ناحية.

من جانب آخر. هم كانوا مسيطرين على البلديات منذ عام وحصلوا على أغلبية البلديات في أول انتخابات ديمقراطية بدون تجارب سابقة للدولة. وبالمفاجأة وأثناء الفوضى حصلوا على أغلبية الاصوات لان الشعب كان يريد تغييراً جذرياً ويريد ديمقراطية. ولم يكن هناك بديل. وهم قالوا انهم يمتلكون مفتاح الجنة.

في انتخابات البلديات حصلوا على ٥ر٤ مليون صوت. بعد سنة اكتشف الشعب ان مفتاح الجنة ليس معهم فنقص عدد ناخبيهم من ٥ر٤ ملايين إلى ٢ر٣ ملايين في سنة واحدة. أي انهم اضاعوا أكثر من مليون ناخب في سنة واحدة في العصر النحبي لهم وأثناء سيطرتهم على الأمور لان الناس جربوا إدارتهم للبلديات رأوا الفساد فاكتشفوا انهم بشر وليسوا ملائكه.

لقد كانوا هم الحاكمون الذين يتحكمون في الوسائل الديمقراطية. والمتحكمون في البطاقات الانتخابية. والدولة كانت ضعيفة وفيها تجاوزات والاحزاب لم تكن تتوقع الخسارة وكانوا هم الحاكم واللاعب في نفس الوقت فاستغلوا كل هذا وزيفوا كيف شاءوا. ورغم كل هذه الفوضى والتجاوزات حصلوا على ثلث عدد الاصوات فقط.

على الرغم من أنهم لم يكونوا الأغلبية. إلا أنهم أعلنوا بعد المرحلة الأولى للانتخابات انهم بعد ان يصلوا للحكم سيلغون الدستور والديمقراطية.

أنت لست الأغلبية وتمارس الكثير من التجاوزات وتثير الفوضى. ثم تأتي وتهددنا بالغاء الديمقراطية والدستور. فكيف أجعلك تتمكن من هذا؟ هذا غير ممكن. وأنا اكون مجنون لو تركتك تنفذ ذلك. بعد كل، ذلك يأتي الينا بعض الناس وتسألنا لماذا أوقفنا الانتخابات؟

وتحكي الكثير من الحكايات. وتسرد قصص وأنه كان سيحدث ويحدث.

وعلى الرغم من كل الاجتهادات والنقد. قلنا الان إنه وقت الرجوع للشعب **ونجعله يقول كلمته** بعد ان ظهر الوجه الحقيقي لهؤلاء الأشخاص.

العنف: كلما سمعنا وقرأنا عن العنف في الجزائر من وسائل الاعلام الاجنبية والعربية نتأسف نقول لا يمكن ان تطلق الناس على هذا العنف بهذه التعبيرات وهذا المستوى. وهذا التزييف. فهل نسي الناس من هو الشعب الجزائري؟ وهل نسوا تاريخ الدولة الجزائرية وطبيعة الشعب الجزائري ومبادئ وقيم الدولة الجزائرية؟.

للاجابة عن السؤال الخاص بماذا يجري في الجزائر ومن هذا العنف؟ حكاية. فنحن عندما نقرأ بعض الاخبار والتعليقات في وسائل الإعلام الأجنبية كوكالة الانباء الفرنسية أو وسائل الإعلام الاجنبية التي تحكي على أشياء مغرضة لا تفاجأ. أما أن نقرأ من بعض الاقلام العربية المعروفة كصحفيين ورجال تاريخيين اشياء سطحية عن الجزائر نتأسف. لاننا نعرف الشعب المصري ونعرف التاريخ ولم ننس وقفه مصر معنا.

فمثلا مقال الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل والذي نحبه كرمز للتاريخ والثقافة المشتركة بيننا يقول خمس نقاط لا يمكن أن يقولها أي عربي موضوعي.

الأولى يقول ان فرنسا في ٦٢ سلمت للجزائر بلد غني والجزائريون هم الذين دمروا كل شئ. هذا غير معقول.

ثانيا: يقول الأمن الجزائري يقتل في الابرياء وفي النخبة مثلما يقتل في الارهابيين.

ثالثا: يقول العنف في طبيعة الشعب الجزائري. هذا خطير.

رابعا: يقول الديمقراطية في الجزائر ليست حلاً أو حل هروبي للأمام. وليس هناك شئ اسمه الديمقراطية ويجب أن يكون هناك شئ آخر.

خامسا: يقول إن حل الازمة الجزائرية لابد ان يأتي عن طريق تدخل خارجي أي أن الحل لن يأتي الا من الخارج. لقد قال هذا بالفعل في المقالات اليابانية.

وأنا أتساءل. هل الاستعمار الفرنسي جعل الجزائر غنية ونحن دمرناها؟ بالعكس لقد ترك ٥ر١ مليون شهيد ٥ ملايين مواطن بدون سكن ٩٥٪ أمية ونحن لم نخرب أي شئ.

هل قوات الأمن تقتل الابرياء، وبنفس المستوى وبنفس العدد كالارهابيين؟ ليس ممكناً. هل العنف في طبيعة الشعب الجزائري؟ مستحيل!! هل الديمقراطية والكلمة للشعب هروب للامام أو مفتاح من مفاتيح الحل؟ هل الحل من الخارج وليس من الداخل بيد الجزائريين؟ بالفعل نحن لم نتصور ما نسمعه ونقرأه الان.

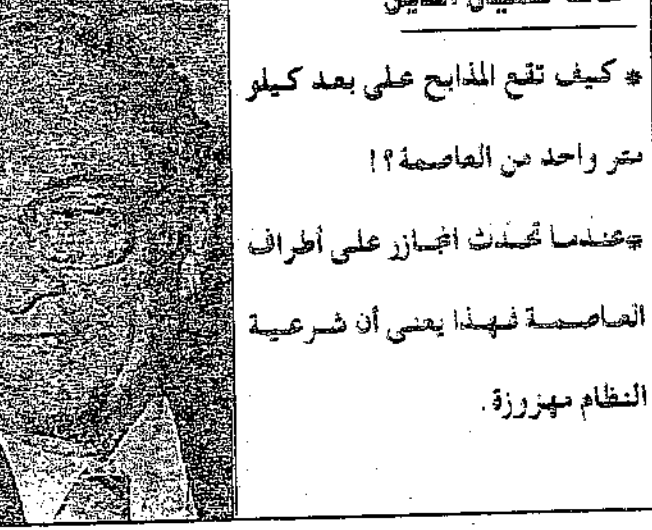
بعض الجرائد التي تنشر في لندن تلعب بالنار. وينسون أن هذه النار ستحرقهم فهم يتكلمون كناطق رسمي للارهابين. لابد ان تعرف الناس من الذي يستفيد مما يحدث في الجزائر؟ هل الدولة الجزائرية تستفيد من المجازر بعد ان عبر الشعب عن ارادته وكدنا ان نصل لنهاية الازمة؟ هل الدولة الجزائرية تعمل هذا لتخلق فلاكل



حسين عبد الرازق

*** ما هو موقع الجماعات الاسلامية في الجزائر من فكر جماعة العلماء وبن باديس.. والاخوان المسلمون؟.**

*** الجيش هو القوة الحاكمة في الجزائر منذ الاستقلال.**



خالد محيى الدين

*** كيف تقع المذابح على بعد كيلو متر واحد من العاصمة؟!**

***عندما تحدث المجازر على أطراف العاصمة فهذا يعنى أن شرعية النظام مهزوزة.**

وكراهية وعداوة؟ هذا فى مصلحة الارهابيين لانه كلما اصبحت الجزائر قريبة من الحل النهائى درجة الرحشية البربرية ترتفع.

كلما انتصرت الجزائر فى المسيرة الديمقراطية . اعداء الشعوب العربية يريدون أن تظل الجزائر ضعيفة لانهم يعرفون ان ما يفيد الجزائر يفيد الشعوب العربية فى المسار الديمقراطى .وفى مكافحة الارهاب ومكافحة التطرف رغم التناقض والتناقضات داخل المجتمع وداخل النظام ككل الأنظمة.

الخطوط العريضة واضحة والمؤامرة واضحة والنجاح واضح . فالشعب الجزائرى رفض الحرب الأهلية ورفض أن يسلك طريق الإرهاب. والشعب الجزائرى يعرف من يحميه ومن يقتله.

مش ممكن علشان حدثت مجزرة مات فيها ٢٠٠ أو ٣٠٠ شخص على بعد ٢٠ ، ٣٠ كيلو متر من العاصمة الناس تقول كيف يحدث هذا؟ أو أن الأمن الجزائرى متورط فى العملية. أنتم تعرفون أن مساحة الجزائر تكبر ٥ مرات مساحة فرنسا وضعف مساحة مصر و ١٠ أضعاف مساحة تونس . ومن الصعب أن نحمى كل متر مربع .ولكن الناس بالفعل تشهد اليوم ان هناك تحسناً لم يتصوره أحد. فى الفترة من ٩٤ إلى ٩٧ فقط.

رغم المجازر التى حدثت فى سبتمبر الماضى **لكننا نعرف أننا وصلنا لنهاية الازمة. التحسن واضح. وكلما وصلنا لنهاية الازمة تعالى الأبواق من الخارج للتدخل فى شئوننا** هناك مبدأ مقدس عند الشعب الجزائرى هو أنه لا يسمح لاحد بالتدخل فى شئونه . فنحن دفعنا ١,٥ مليون شهيد وكان خلاصنا غاليا ونحرص على السيادة والكرامة والحرية. ورغم كل نقائصنا ومشاكلنا الداخلية نحن نعلم ان مفتاح الحل بيد الجزائريين وليس من الخارج.

الارهابيون كانوا الوف. الآن أصبحوا لا يتعدون العشرات بل وبالحد الأقصى مئات وليس آلوف فقوة الجيش والمقاومة الشعبية قضت عليهم بشكل نهائى. نحن نعرف أن من الصعب أن نقضى على الارهابيين بين عشية وضحاها ولكننا نعرف أننا سنقضى عليهم . ونعرف أن الازمة السياسية انتهت الآن. فالمؤسسات من القمة للقاعدة شرعية. والاحزاب موجودة فى البرلمان. وليس هناك احتكار للسلطة .فالأحزاب موجودة فى الحكومة .وفى البلديات رغم التحفظات الأخيرة التى قلتها منذ قليل حيث إن الاغلبية لم يكونوا موجودين كمرشحين فى ثلث البلديات.

الارهاب كظاهرة دولية خطيرة فشل فى الجزائرلكننا دفعنا ثمناً غالياً فى مصلحة الجزائر ومصلحة الجميع لانه لو نجح فى الجزائرلكانت خطيرة على كل المنطقة. وعلى العالم كله.

الان لابد من تحسين الوضع الاقتصادى والاجتماعى . نعطى آمالاً للشباب . ونقوى ونعزز المسيرة الديمقراطية. ونصحح القصور الموجود ونحسن الامور ونواصل المسيرة الطويلة التى امامنا.

خلاصة القول أن الشعب الجزائرى كالشعب المصرى. **الشعب الجزائرى بتاريخه للمقاومة رافض للعنف والارهاب ١٠٠٪ هذا هو النجاح**، ورغم اختلافات البرامج السياسية لكن **الرئيس زروال** أعطى فرصة للشعب ٤ مرات ليعبر عن إرادته . بالطبع ليس هناك انسان كامل ، ولكن هناك نية مخلصة لاعطاء الكلمة للشعب وتصحيح الغلطات والتحكم فى التناقضات -الطبيعية فى كل مجتمع- والسير إلى سكة الأمان وبناء دولة قوية ومجتمع ديمقراطى . تدريجيا نخرج من هذه الأزمة . وصلنا بعد سنتين إلى نهاية الازمة ونقضى تدريجيا على الارهاب رغم الصعوبات والمؤامرات الخارجية.

خالد محيى الدين

ما هى الجماعات التى تقوم بعمل المجازر بين السيدات والاطفال ؟ فعلى الرغم من أن جبهة الانقاذ الجزائرية«الجيش الاسلامى للانقاذ» أعلن الهدنة فإن العمليات الارهابية مستمرة والمذابح تتم بطريقة توحى أنهم يريدون أضعاف شرعية النظام. **فعندما تحدث المجازر على أطراف العاصمة فهذا يعطى انطباعاً أن شرعية النظام مهزوزة فى هذه المناطق، وعندما لا يستطيع الجيش والبوليس انقاذ الاهالى من المذابح فى هذه الأماكن فهذا يعنى أن الشرعية ضائعة.**

السفير الجزائرى

أولا بالنسبة للمذابح والمجازر الجماعية **فهى بالفعل نقصت عما كنت عليه فى سبتمبر . فالان** ومنذ أيام قبل الانتخابات وبعد الانتخابات كل الناس تلاحظ أن هناك تحسن كبير وهذا نتيجة مجهودات قوات الأمن ومقاومة المواطن.

ثانيا: فإن حزب الجبهة الاسلامية المنحل «فيس» ليس بحزب عادى أو طبيعى كما كل الاحزاب السياسية فهو عبارة عن خليط من الاتجاهات التى لم تتصورها .من المافيا ومن تجار المخدرات ومن الافغان العرب و الاسلام السياسى.

فيها كل الاخلاط بعض عناصر هذا الجهاز لا دين ولا مله ولا هدف سياسى بعد ما فشلت تجربتهم يقتلون الابرياء وكفروا الشعب الجزائرى وقالوا نقتل أى مواطن لانهم لم يساعدونا ولم يتخبرنا بعضهم يكفرون حتى الإله. فهم الآن عبارة عن مجموعة من العناصر المجنونة وبعدما فشلوا لابد أن يقوموا بأى شئ ضد الشعب. وهم يتبنون العمليات ومعروفون. يقولون نحن الجماعات الاسلامية المسلحة مسئولون عن كذا وكذا وذلك ثابت بالأدلة.

هم مجموعة متطرفة طائفة ظلام وجهل. يقومون بكل ذلك لانهم خسروا كل شئ وفشلوا فى كل عملياتهم فلماذا تخرب الجماعات فى الافغانستان بيوتهم بانفسهم . لماذا يقولون ان النساء ممنوع عليهن العمل والمدرسة بل أننى بالأمس قرأت أن المستشفيات ممنوعة عليهن فما هو السبب وراء كل ذلك؟ ظلام: نحن لدينا تقريباً نفس الجماعات.

عبد الغفار شكر

نحن مهتمون بالوضع فى الجزائر وليس لدينا معلومات كافية عما يحدث هناك **ولقد لفت نظرى بشدة أن سيادة السفير لم يتعرض إلى مسئولية الازمة الاقتصادية والاجتماعية عما يحدث الان فى الجزائر بما تحتويه من معدلات عالية جداً للبطالة، ومن فساد على شكل وجود مليونيرات من داخل السلطة** ومن داخل حزب جبهة التحرير الوطنى وتشكلت فئة جديدة مثلما حدث فى مصر والعراق ومثلما يحدث فى سوريا الان. فأثناء التنمية الاقتصادية التى تمت بالتخطيط فى ظل نظم وطنية سواء فى مصر أو الجزائر أو سوريا أو العراق انبثق منها طبقة نتيجة البيروقراطية والتكنوقراطية واكتنزت جزءاً كبيراً من ثروة البلد وتحولوا إلى مليونيرات.

المسألة الثالثة إن الجزائر بعائد البترول وهى دولة بترولية وبالثروة الكبيرة وهى بلد زراعى متقدم ولديها صناعة تغرق فى الديون ويزيد فئات المتعطلين وتزيد الفئات العشوائية وسيادتك لم

نبيل زكى



ما هو موقف الدولة من التعذيب فى السجون الجزائرية؟

هل نجح الارهابيون فى اختراق الجيش والأمن؟

كيف فاز التجمع الوطنى الديمقراطى، بالانتخابات بعد ٣ شهور من تأسيسه؟

فى هذه المسألة . ولعل هذا سبب قول هيكل ان الديمقراطية فقط حل هروبى للامام أى أن **التركيز على وجود مجلس تشريعى منتخب ومحليات منتخبة ورئيس منتخب لن يحل المشكلة طالما ان السلطة لا تستطيع الحل**. وليس هناك **قوى سياسية متبلورة وقوية قادرة على فرض الحل** . ولعل هذا سبب قول هيكل ان الحل سيأتى من الخارج. هيكل ليس بكاتب سطحى.

حسين عبد الرازق

لدى سؤالان . الأول كلنا يعرف دور الاسلام فى تاريخ الجزائر وبالذات دور **جماعة العلماء** وبن **باديس** هذا التيار لعب دوراً أساسياً فى جبهة التحرير كان إسلاما متقدماً بشكل غير عادى . لم نر فى منطقة أخرى مثل هذا الاسلام المتقدم. **نبال للجماعات التى ظهرت من أول جبهة الانقاذ صلة بهذا الفكر** . أم انهم تأثروا **بفكر الاخوان المسلمين ام تأثروا بفكر اخر لعب دوراً فى هذا الامر**. لان ما حدث بعد قطعاً وانقلابا فى هذا الامر.

النقطة الثانية: هى دور الجيش الجزائرى .كلنا نعرف ان الجيش الجزائرى كان وظل القوة الحاكمة فى الجزائر منذ انطلاق الثورة. هو الذى حسم الصراع بين الحكومة المؤقتة (بن خدة) وقيادة بن بلا . وهو الذى حسم الصراع داخل السلطة واسقط بن بلا واتى ببومدين وهو الذى انحاز للشاذلى ضمن يحيوى . وهو الذى دفع الشاذلى بن جديد للاستقالة والغى نتائج الانتخابات العامة بعد فوز جبهة الانقاذ . وقام بالانقلاب على الدستور فى ١١ يناير ١٩٩٢ وعين المجلس المؤقت برئاسة بو ضياف ثم الكافى ثم الأمين زروال . **فهل هذا المسلسل الانتخابى الذى تفضلت بعرضه سيعيد الجيش إلى دوره الطبيعى**. أم أن **الجيش الجزائرى لا زال هو الشرعية الاساسية والوحيدة للسلطة فى الجزائر**.

نبيل زكى:

فيما يتعلق بالعنف والارهاب كل المتواجدين ضد الارهاب. لذلك أظن **أننا فى حاجة للكلام عن مسئولية جبهة التحرير الجزائرية فيما وصلت إليه** الآن؟ وما هى اخطاؤها؟ وما هو الاسلوب الذى اتبعته والذى نسميه هنا الاسلوب الساداتى ؟ دور **الشاذلى بن جديد** بالتحديد فى احتضان ... المتطرف وتحريضه على أن يسيطر على الشارع واستقباله لهم وهم ما زالوا يرتكبون اعمال العنف .. إلى آخره؟ بالنسبة لنا هنا نحن محتاجين أن نفهم أكثر مسئولية القيادة الجزائرية عما جرى من تشجيع ودفع بل تحريك للتيار المتطرف الذى ادى إلى الارهاب.

بعد ذلك نريد أن نعرف تفاصيل الانقسامات داخل التيار المسمى بالاسلامى فى الجزائر أيضا؟ **ما هو بالضبط الخلاف بين ما يسمى بالجماعة الاسلامية المسلحة وجبهة الانقاذ؟ وهل صحيح أن الجماعة الاسلامية المسلحة تعمدت ارتكاب هذه المجازر لانها اكتشفت ان عباس مدنى يتجه لمصالحه مع الحكم وبالتالى يعزلها**. وبناء عليه فهى تضرب هذا التوجه وتظهر أنه لا تأثير له فى الجزائر وفى الشارع الجزائرى؟.

نحن هنا فى مصر عانينا من الديكتاتورية ومن بينها ديكتاتورية الحزب الواحد. **وأنا لاحظت ان التجمع الوطنى الديمقراطى. وهو الحزب الحاكم الجديد الان فى الجزائر لم يمض على تأسيسه ٣ شهور الا وأصبح الأول فى الجزائر .كيف حدث هذا**؟ لا نعرف . وهذا يحتاج لتوضيح.

أيضا بالنسبة للجيش هل نجح الارهابيون فى اختراق الجيش أو الأمن لان هناك قصصاً تشاع عن أن هناك مجازر ترتكب على مسافة قريبة جداً من ثكنات الجيش وليس هناك تدخل لدرجة ان بعض المصريين جاءوا الينا فى الجرائد المصرية يتساءلون كيف ان الجيش والشرطة فى الجزائر لا تساعد المواطنين ولا يحمون القرويين الفقراء وقالوا نحن نريد التطوع لنحمى أهلنا فى الجزائر؟ لان هناك تقصير من جانب السلطة فى الجزائر فى حماية هؤلاء الاهالى.

أخيراً لن أقول أن رجال الأمن يرتكبون اعمال العنف مثل الارهابيين فهذا غير صحيح وأنا اتفق معك تماماً. **لكن هناك تعذيب بشع فى السجون** . ونحن هنا عندما نضجنا سياسياً **تعلمنا ان نرفض التعذيب حتى لخصومنا السياسيين لانه سلاح ذو حدين** .عمليات التعذيب فى السجون الجزائرية تشمل خنق المسجونين بمناشف مبلله بالحوامض. ادخال زجاجات فى مؤخراتهم، ارغامهم على شرب مياه مالحة، استخدام ثقابة كهربية لثقب المعدة أو الارجل. **فارجو من سيادتك ان توضح لنا موقف الدولة الجزائرية من أسلوب** التعذيب فى السجون الجزائرية؟.

السفير الجزائرى:

بالنسبة للوضع الاقتصادى والاجتماعى،انا تكلمت على صعوبة التحكم فى المرحلة الانتقالية من نظام الحزب الواحد إلى نظام التعددية . فى كل مجال سياسياً واقتصادياً. فالتحول إلى نظام السوق والنظام الحر التحكم فيه ليس سهلاً . فالتعددية السياسية ليس بسهل الانتقال اليها والتحكم فى ذلك. ولقد قلت لكم ان الشعب كان رافضاً لبعض النقائص والمشاكل للنظام الواحد لجبهة التحرير الوطنى . وكان يريد بديلاً ومشروعاً آخر.

من ٨٩ إلى ٩١ لم يكن هناك بديل. والان بعد ان انتهت الازمة السياسية واصبح هناك نظام شرعى وبديل شرعى وبرامج شرعية وبلديات شرعية . الآن لابد ان نهتم بالمجال الاقتصادى والاجتماعى بحيث نضع فى الاعتبار طلب الشباب الجزائرى **لان البطالة ٢٠٪ أو أكثر أو .. الخ**.

جبهة التحرير الوطنى أو الجيش من الذى كان مسئولا عن بعض الاشياء التى حدثت. لابد أن نعرف أن الشعب الجزائرى موضوعى يعرف ان الفترة من ٦٢ إلى ٨٩ فيها ايجابيات وسلبيات. الاعداء أو الذين يعرفون الجزائر جيداً يركزون على السلبيات ، لكن الشعب والمواطن الجزائرى يعرف ان الايجابيات اكثر من السلبيات .ولكننا لم ننس السلبيات أو نخبئها أو لم نتطرق لها.

ما هى الايجابيات وما هى السلبيات: حكاية ذلك طويلة .والتاريخ يشهد ما هى الايجابيات فى سياسة الجزائر خاصة مع الرئيس الراحل **هوارى بومدين** مثل تأسيس طبقة متوسطة و ٨٠٪ فى الجزائر من الطبقة المتوسطة التى تتحكم فى الأمور . تأسيس هذه الطبقة التى تركز على العدالة الاجتماعية وكل المكاسب الاجتماعية والسياسية التى نفتخر بها فى مسيرة بناء دولة عصرية فى الجزائر حدث فى عهد بومدين.

فى السياسة الخارجية أنتم تعرفون ما هى نتيجة سياسة الجزائر فى الخارج فى عدم الانحياز وفى النظام الدولى الحقيقى فى السبعينات وكل السياسة الخارجية للجزائر.

السلبيات معروفة. البيروقراطية، عدم حرية التعبير كما ينبغى الحال كما فى النظام الواحد. ولكن الايجابيات اكثر من السلبيات . شعب الجزائر يطلب من زروال الآن ان نرجع لعصر بومدين

بعد ما طالب بين ٨٩ ، ٩٢ بالتغيير الجذري نحو التعددية وحرية الاقتصاد والنظام التعددي. الآن رجع الشعب للتوازن.

الاسلام في الجزائر كعنصر وطني. اسلام سني ، معتدل ، متفتح والشعب شعب من شعوب الدول العربية المتوسطية . تاريخه من الأمير **عبد القادر** حتى **بن باديس** معروف. أهل الزوايا وأهل الصوفية والاسلام الشعبي الحقيقي بعيد عن الإسلام السياسي أو التطرف كمستنقع الايديولوجيات الاسلامية الشيعية. وحتى بعيد عن بعض المذاهب الاخرى المعروفة مثلاً في الخليج.

فالاسلام لدينا هو الاسلام الحقيقي المعتدل ، اسلام التسامح. اسلام الاصالة وفي نفس الوقت يحتكم إلى القيم العصرية. هو الاسلام الحقيقي الذي انتصر وقاوم في الجزائر ضد إسلام مزيف وغريب على المجتمع الجزائري. الاسلام الحقيقي هو السد أمام الإسلام المزيف.

الايديولوجية الظلامية أتت إلى الجزائر بعد ما حدث في ايران في ٧٩ ، وبعد حكاية افغانستان ونتيجة لبعض افكار الاخوان المسلمين- في مصر- مصدر ايديولوجية الاسلام السياسي في العالم العربي هي فرع لكل هذا وليست مصدراً وهذا الفرع فشل لانه تجاوز كل الحدود. فأثار غموضاً وتغليطات ولم يعرف كيف يسير الامور. ونسي ما هي ثقافة الشعب الجزائري. وما هي ثقافة بن باديس والامير عبد القادر الرموز الحقيقية للاسلام الحقيقي. الأمير عبد القادر رمز للتصوف ولكن مع الروح الوطنية للاسلام وبالروح العلمية.

ليس غريباً عليكم ان ٨٠٪ من الشعب الجزائري من التيار الوطني أصحاب القيم والثوابت ، وأصحاب الروح الوطنية والقومية العربية . الذين يعترفون أن الشعب الجزائري شعب عربي . ويمثلون الروح الوطنية . والقيم العربية الوطنية هي الأساس تقريباً لـ ٨٠٪ من الشعب. هذه الـ ٨٠٪ من الشعب كانوا تحت علم جبهة التحرير الوطني . ولكن مع التحولات والتغيرات وحرية التعبير والتعددية والتي ظهرت كشئ منطقي بعد مرحلة وحدة الوطن. لان **الاستعمار قسم وشتت الوطن، فكان لابد في المرحلة الأولى من لم الشمل . المرحلة الثانية الاختلاف وحده والتعددية شئ** منطقي من أجل بناء الوطن.

لكن ٨٠٪ لم يذوبوا ، فاعتبروا ، اصحاب الوفاء الرئيسين مع جبهة التحرير الوطني أصبحوا ٢٠٪ تقريبا . ولكن اين يذهب الـ ٦٠٪ الاخرون ؟ من غير الممكن أن يسيروا مع التيارات شبه الجبرية . والتيارات التي حكمت لكم عنها وهي تيارات الاسلام غريب عليها . مثل تيارات الإسلام السياسي والمتطرف . لابد أن يبقى في إطار الروح الوطنية والقيم العربية الوطنية.

التجمع هو الذي كسب هذه المجموعة خاصة وانه يتبنى برنامج الرئيس الواضح نحن امة وسطى بعيدة عن المتطرفين نفتخر باسلامنا وبعروبتنا . لكن نمنع استغلال المقدسات في عملية الوصول إلى السلطة . وهذا ما وفر الثقة في برنامج الرئيس. فلماذا لا ينتظموا ويتجمعوا في اطار التجمع الوطني . وهذا ما جعله يحصل على كل هذه الأصوات التي هي الأصوات الوطنية لاغلب الشعب.

عبد الغفار شكر



*** الأزمة الاقتصادية والاجتماعية .. والفساد وتبديد عائدات البترول .. تقف وراء ما يحدث الآن في الجزائر**

لا نشك في وطنية المناضلين من الاحزاب الاخرى فلكل واحد الحق في ان يتبنى الايديولوجية أو المشروع المجتمعي الذي في رأيه يكون الأفضل في بناء الجزائر.

بالنسبة للتعذيب والتجاوزات التي تكلم عنها الاستاذ نبيل زكي ، رئيس الاركان الجزائري اجرى حواراً في إطار مجلس الجيش الجزائري. قال ان الجيش الجزائري هو ابن الجيش الشعبي لتحرير الجزائر . ونوعية وطبيعة الجيش الجزائري تختلف عن بعض الجيوش في العالم العربي والعالم الثالث لانه جيش ابناء الشعب وروح حرب التحرير الوطني ما زالت موجودة ومبادئ أول نوفمبر موجودة. **فاذا حدثت بعض التجاوزات المحدودة والمعزولة فان العدالة العسكرية أو المحكمة العسكرية تنظر فيها وتحاكم فيها كلما ظهرت.** فمكافحة الارهاب تحاول فعلاً أن تحافظ على كرامة الناس وهذا مبدأ مقدس عند الشعب الجزائري- لان هذا الارهاب ضد الكرامة في حد ذاته. فاذا استعملنا السياسية فنحن ندخل لدائرته وهذا غير ممكن.

مكافحة الارهاب بشكل عام صعبة جدا .ومكافحة الارهاب بالشكل الوحشي الموجود لدينا وغيرالموجود في الظاهرة الارهابية الدولية أصعب بكثير وخصوصاً في ظل تمسك قوة الأمن والجيش بالمبادئ الدستورية ودولة القانون. شراسة العنف لم نكن نتصورها ومكافحة مثل هذه الظاهرة ليست سهلة.

الارهابيون كانت لهم قاعدة في قرية صغيرة . قوة الأمن والجيش حاصرتهم لفترة طويلة بذلوا كل ما يستطيعون من مجهودات لانقاذ الناس الابرياء الرهائن الموجودين معهم. لم يرضوا بان يضربوهم بالطائرات والنابالم وتنتهي العملية في نصف نهار. ولكنهم ظلوا في حصارهم أسبوعاً أو عشرة أيام ليحافظوا على حياة الرهائن .وحتى لا تحدث مجزرة. فسهل أن تعمل مجزرة ونقتل الابرياء ولكننا كان حريصين عليهم.

بعض الصحف الجزائرية والمواطنين في الجزائر ينقدون قوات الأمن والجيش ويسألوننا . لماذا لا تضربون بقوة لماذا لا تحمونا بقوة؟ البعض الاخر يقولون لهم بالتي هي أحسن يجب أن تراعوا حقوق الانسان.

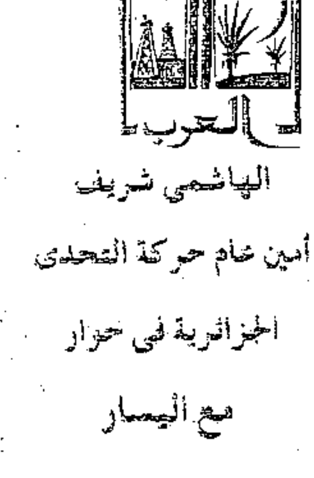
الجيش لديه خط واضح ويعرف متى يضرب بقوة في إطار الحفاظ على انه جيش جمهوري شعبي متمسك بمبادئ أول نوفمبر حوار رئيس الاركان كان واضحاً . وذكرت فيه بعض التجاوزات . وقال كلما كنا على علم بهذه التجاوزات فإن الجيش بنفسه هو الذي سيحاكم هذه التجاوزات بشدة فنحن حريصون على شرف هذا الجيش.

بالنسبة لما قاله الاستاذ عبد الغفار شكر بشأن محمد حسنين هيكل . أنا أقول أنه من غير الممكن ان نجد أي مفكر عربي سواء كان هيكل أو أي واحد غيره يقول هذه الخمس نقاط. ان فرنسا سلمت الجزائر غنية واحنا دمرناها. العكس هو الصحيح. مش ممكن يقول إن العنف في طبيعة الشعب الجزائري. أو أن الحل الوحيد لن يأتي إلا من الخارج. مش ممكن يقول إن الديمقراطية حل ضروري نحن لم نقل انها الحل الوحيد ولكنها عنصر ومفتاح من مفاتيح الحل. ومن غير الممكن أيضا أن يقول أننا نقتل الابرياء. فهذا الشئ مرفوض تماماً.

نحن نحترم الاستاذ الكبير جداً ولكن من غير الممكن أن نسمع في كلام شخص عزيز علينا هذا الكلام. لم نكن نتوقع هذا.

في النهاية أشكركم على مداخلاتكم ولقد عرضت عليكم الأمر حتى تكونوا شهداء على ما يحدث.

أعده للنشر: خالد البلشي



الهاشمي شريف أمين عام حركة التحدي الجزائرية في حوار مع اليسار

نبيل يعقوب


مظاهرة شعبية ضد الارهاب والعنف

في الجزائر مجتمع يقاوم الارهاب والاصولية ببطولة

الهاشمي شريف (٥٨) هو الأمين العام لحركة «التحدي» الجزائرية. واسم الحركة اختصار لكلمات : تقدم- حداثة- ديمقراطية. ولد بن شريف عام ٣٩ في وادي الصومام في منطقة القبائل في الجزائر وعاش كطفل أحداث مايو ١٩٤٥ حيث فقد الكثير من أفراد أسرته عندما قتل المستعمرون الفرنسيون ٤٥ ألف جزائري. درس في مدرسة عربية إسلامية جزائرية. شارك في الحركة الطلابية وبدأ العمل في الاذاعة عام ١٩٥٧ . شارك في بناء الخلايا السرية لجبهة التحرير ولاحقته سلطات الاستعمار الفرنسي والتحق بجيش التحرير الوطني مشاركا في حرب الاستقلال كضابط . بعد الاستقلال عمل مساعدا لوالي مدينة ثم عمل في التلفزيون واختير أمينا عاما للتلفزيون الجزائري. اختار أن يصبح مخرجا، واخرج أفلاماً روائية ووثائقية حصلت على جوائز في مهرجانات عالمية (منها مهرجان القاهرة السينمائي (غبار جويلية)، وأخرج فيلما عن التمييز العنصري في أفريقيا الجنوبية، وفيلماً عن كفاح الفلاحين عبر التاريخ. انتخب في عام ١٩٧٦ أمينا عاما لاتحاد نقابة الاذاعة والتلفزيون ثم أمينا عاما للفيدرالية الوطنية لعمال التربية والاعلام والثقافة، ولكن حزب جبهة التحرير الحاكم عزله عن مناصبه النقابية بعد إقرار المادة ١٢٠ من قانون حزب الجبهة والذي كان يفرض أن يقود النقابات أعضاء من الحزب الحاكم. **الهاشمي بن شريف شاعر** وفنان ونشر في السبعينات والثمانينات عدة دراسات يعالج فيها المسائل المتعلقة بالثقافة والفن والسينما وبإشكالية الهوية الوطنية بالاضافة إلى مداخلات حول بعض المسائل السياسية والنظرية. نشر عام ١٩٩٣ بالفرنسية كتابا هاما بعنوان «**تحديات الحداثة في الجزائر**» . بعد انقلاب ١٩٦٥ ساهم في تأسيس منظمة المقاومة الشعبية التي تحولت إلى حزب **الطليعة الاشتراكية** وانتخب عضوا في لجنته المركزية ثم أمينا عاما له في عام ١٩٩٠. انتخب أمينا عاما لحركة «**التحدي**» المنبثقة عن حزب الطليعة. نجى من محاولة اغتيال يوم ١٠ أبريل ١٩٩٣.

واقع الامر أن الجزائر في أزمة.. والأزمة أزمة دولة. الدولة الجزائرية ولدت دولة هجينة . تتعايش في ظل نظام الدولة عناصر تقدم وتحرر ، وعناصر ظلامية ومحافظة.. وحتى عناصر رجعية.

كانت الدولة الجزائرية الفتية قادرة على تغطية هذا التناقض. وأيضا لا ننسى أن الستينات والسبعينات كانت تتميز بطابع تقدمي. كانت تتلك ديناميكية دولة حديثة عصرية وحققت انجازات على كافة الأصعدة. الاقتصادية والاجتماعية ،والتربوية والثقافية .. الخ.

ولكن بعد مجئ الرئيس الشاذلي للحكم وقلبه لموازين القوى في ظروف سنوات قليلة واضفاء طابع ليبرالي متوحش على النظام الاقتصادي والاجتماعي حدثت ردة خطيرة جدا في الجزائر . وهذه الردة فتحت الباب واسعا للقوى الرجعية بكاملها ومكنت ان تكسب لواقعها كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية التي ظلمت في ظل سياسة الستينات والسبعينات من **حيث الهروب إلى الأمام في ديناميكية بناء الدولة وبناء الاقتصاد**.

مثلا تأميم الأرض يعني تجاوز تأميم أراضي الاقطاع الى تأميم أراضي البرجوازية التي كانت صاعدة آنذاك وحتى تأميم الفئات الزراعية المتوسطة وعشرات آلاف الفلاحين والبسطاء (كانت الثورة تمنع أن يكون للمواطن دخل مزدوج).

هذه القوى كلها التقت مع الاسف مع قطاعات **الاقطاع الزراعي(الملكية الكبيرة الاقطاعية) الذي أعتمد الدين الاسلامي مطية له.**

في السبعينات أضير بالبرجوازية الصغيرة الليبرالية فكان ممنوعا على الطبيب أن يفتح عيادة خاصة. كما كان ممنوعا أن يفتح الصيدلي صيدلية خاصة. ولعبت عوامل أخرى دوراً هاما في تمهيد الأرض للفكر

الأصولي. الطفل يتغير بعد أسبوع من دخول المدرسة .. مدرسون جزائريون يبدأون تعليم الاطفال بالحديث عن عذاب القبر وضرورة وضع الحجاب. **القاعدة الاساسية لاعادة توليد الفكر الاصولي في الجزائر هي النظام التعليمي.** طلاب الثانوية والجامعة يبدأ علمهم بابن تيمية والنهاية عباس مدني.

فئات عديدة لم تجد إطارا يعبر عن مصالحها ، إطار تقدمي ، فاتجهت أيضا ولجأت للاسلام السياسي تغطية لمعارضتها للحكم.

فطن الاسلام السياسي إلى أن هذه الدولة انهت مهمتها التاريخية . كان لابد من تجاوزها يمينا أو يسارا. القوى التقدمية لم تفطن لحدة التناقض الأساسي . **الحركة الاسلامية انتزعت المبادرة السياسية. والحركة الاصولية.. الاسلام السياسي في الجزائر يمثل دولة مضادة.**

انزلاق النظام السياسي والاقتصادي الاجتماعي من مواقعه في الستينات والسبعينات من منطق بناء دولة وطنية ديمقراطية -ولو ارتكبت اخطاء إلى- مواقعه في الثمانينات ،مواقع الليبرالية المتوحشة والرحشية.. هذا أيضا سهل مجال العمل للحركة الإسلامية بصفة عامة ولكن منذ بداية الثمانينات كان للحركة الاسلامية تكتيكا مزدوجا هدفه قلب النظام من الداخل ومن الخارج. من الداخل .. عبر تحالفات لها قاعدة اقتصادية اجتماعية ولها قاعدة تاريخية أو سياسية أيديولوجية.

***وعبر التواجد القوى داخل أجهزة الدولة؟**

** طبعا.. أعطيك مثالا.. **في مؤتمر جبهة التحرير ١٩٨٦ ، وكان الحزب الحاكم** والحزب الواحد، **طالب ثلث المشاركين باقامة دولة الشريعة** .. الدولة الدينية.. والجانب الآخر للتكتيك هو **قلب الدولة من الخارج.** وكان من الضروري للحركة الاسلامية أن تعمل على أساس شعار راديكالي يمكنها من استقطاب السخط الجماهيري العريض المنتشر داخل المجتمع ، خاصة سخط الشباب.

وهذا درس لكل القوى التقدمية.. الشباب دائما في حاجة إلى شعارات جذرية ، خاصة في ظل مثل هذه الازمات . الشباب لا يقتنع بالشعارات الوسطية.

ولكن ما الذي يحدث الآن؟.

مظاهرات أكتوبر ١٩٨٨ كانت تكريسا للقطيعة النهائية بين المجتمع والدولة.. البعض يسمونه الطلاق بين الدولة والمجتمع؟.

ولكن هل عالجت التطورات اللاحقة منذ

*** القوى الرجعية داخل الحكم مرتبطة بالحركة الإسلامية**

*** نظام التعليم هو القاعدة الاساسية لتوليد الفكر الأصولي**

*** سقوط الحكم الحالي لا يخدم سوى الحركة الأصولية**

١٩٨٨ هذا الطلاق؟ في رأينا لم تعالج هذا الطلاق.

لأن الوسيلة الوحيدة لمعالجته هي احلال **منطق دولة آخر .. دولة تتماشى مع التطورات البشرية العصرية** .. تتماشى مع متطلبات الواقع الجزائري والذي كان قد راكم مكاسب قوية جدا ونحن نعرف من المنطق الجدلي أن التقدم يطالب بالمزيد من التقدم. التوقف والانتكاس له عواقب خطيرة جداً.

*** لماذا تذكرون مظاهرات ٥ أكتوبر ١٩٨٨ بالتحديد .. هل بسبب الخروج الشعبي للشارع أم أن هذا الطلاق كان قائما وكشفت عنه الاحداث الجماهيرية .. ما مظاهر ما تسمونه الطلاق أو «انفصال الدولة عن المجتمع»؟.**

**الدولة أصبحت لا تخدم المجتمع.. أساس قيام الدولة هو خدمة المجتمع.

* وما الذي مكن الدولة من أن تواصل الحكم دون أن تخدم المجتمع؟ في الدول الديمقراطية يمكن تغيير الحكومة الفاشلة (وليس تغيير النظام) بالانتخابات .. هل لعب دورا في الجزائر وجود ظاهرة الدولة الريعية.. والتي لا تعتمد فيها حياة جهاز الدولة والحكم على النشاط الاقتصادي الانتاجي الصناعي الزراعي أو المعدني داخل البلد وحده، بسبب حصولها على دخل ريعي من الخارج(تصدير النفط مثلا) أو على ريع سياسي(مكافأة من الخارج على اتباع سياسة معينة).. الأمر الذي يعني إمكان استمرار حكومات معينة بغض النظر عن نجاح أو فشل سياساتها .. بغض النظر عن رضاء أو عدم رضاء الناخبين؟.

في فترة معينة يمكن أن نصنفها كفترة نضج التناقضات .. الدولة أو الحكم **يمكن أن يكون معزولاً تماما عن المجتمع ولكنه بقدر يبقى يسير الدولة على أساس أن هذه الأمم أمم فتية لم تستكمل تكونها بالمعنى العصري بعد والمجتمعات لم تستكمل تكونها بعد..

والمواطنة لم تبن بعد **حتى يطالب المواطن الدولة بوصفه مواطنا أن تخدم المجتمع وليس اقليات معينة.** وهناك أيضا وظيفة ما تسميه أجهزة الدولة .. الجيش، ومصالح الامن، والحزب الحاكم ان كان هناك «حزب» حاكم ، وتهجين المنظمات الجماهيرية. وكان هذا عندنا في الجزائر وكان عندكم في مصر.. كل هذه العناصر في تكاملها قادرة أن تجعل حكما معينا يستمر، رغم عزلته التامة. ربما تحتد التناقضات إلى ما لارجعة فيها وعندئذ تطرح بقوة مسألة الحكم أو مسألة الدولة..

نقول ان الاسلام السياسي تحين هذه الفرصة واستثمرها. المشكل الاساسي المطروح بالنسبة لقطاعات أخرى، سواء كانت منظمة بصفة مستقلة عن الحكم أو قوى داخل الحكم بالذات ، اننا تعلمنا في تحليلاتنا التقليدية أن نحدد «عدو رئيسي» أو خطر رئيسي . ونقف عند هذا الحد .. **المفارقة عندنا الآن في الجزائر أن عندنا الآن عدو رئيسي وهو الحركة الاصولية ، ولكن بجانب هذه الحركة عدو آخر، قد يكون رئيسيا (ولو لم يكن في نفس المستوى) وهو الحكم.. لانه ما دام مستمرا فهو يغذي الحركة الاصولية ويغذي الازمة بكل تجلياتها.**

*** تتحدثون عن الحكم وهل هو شئ موحد متماسك تماما أم أن هناك تمايزات بداخله؟.**

الحكم عندنا غير منسجم طبعا **عندما نتحدث عن الحكم نعني الكتلة التي بيدها زمام الأمور. ولو أن الحكم بالمعنى الواسع، بالمعنى المؤسسات للحكم غير منسجم بطبيعة الحال ربما فيه تناقضات كثيرة.

خطاب زروال الاخير يحاول الانسجام مع تطورات الوضع الجديدة بما فيه ما مع ما يبدو ضغط من الجيش الوطني الشعبي لتصحيح الخط الاستراتيجي .. ولكن المهم الآن هل أن الحكم الحالي ما زال يحمل في باطنه امكانيات التغيير الايجابي ؟ السؤال ما زال مطروحا. عناصر التغيير الايجابي موجودة.. هل ستقوى بالقدر الكافي وبالوتيرة الضرورية

لكي تسمح بتعديل موازين القوى قبل أن يفوت الأوان؟.

*** أشرتم لقائد الأركان المعارى، ما دور قيادة الجيش ماذا تعني بتصحيح الخط الاستراتيجي .. حول ماذا يدور النقاش في الأدوار العليا؟**

-النقاش هو: **هل يبقى الحكم على نفس كيفية التعامل مع الحركة الاسلامية.. يعني أن يحاول ضرب ما يبدو له كقطب راديكالي لهذه الحركة سواء في تجلياتها الارهابية أو السياسية، وفي نفس الوقت يواصل مد الايدي إلى القطاعات الأخرى** (نحنح حركة حماس وحركة النهضة) .**لقد فشلت محاولة الفصل بين قطب راديكالي مزعوم وقطب معتدل مزعوم**. نحن نقول إن هذه الاستراتيجية فشلت فشلا مطلقا. لو كان لهذه الاستراتيجية حد أدنى من الفعالية كان من المفروض عندما تدخل القطاعات المعتدلة إلى الحكم ، وحماس عندها ٧ وزراء في الحكم، أن تكون النتيجة المنطقية تقليص الارهاب أو إنهائه ، ولكن ماذا نرى حالياً ؟ كلما تقدم القطب المعتدل خطوة، تقدم القطب الراديكالي خطوتين وهو يريد أن يضغط بواسطة الارهاب أكثر على المجتمع وعلى الدولة. وعلمتنا التجربة أيضا كلما قامت الحركة الارهابية بتوجيه ضربات كلما يتقوى «الجناح المعتدل» سياسياً.

* كيف تفسرون هذه الظاهرة؟

. **لان الحركة الأصولية والحركة الاسلامية حركة واحدة ولها استراتيجية موحدة وإن كان تكتيكها يختلف من جناح لآخر .. وربما استمدت الحركة الاسلامية دروسا من الحركة الاسلامية في مصر..**

هناك اتهامات موجهة للسلطة بأنها زورت الانتخابات الاخيرة؟

الحكم في منطقه الحالي يستحيل أن يقدم على انتخابات ولا يعزم على تزويرها . المنطق الانتخابي حاليا هو منطق تزوير. **الحكم يعاني من تناقضات ناحشة بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**. ويمكن أن نقول أن الاقتصاد اليوم في الجزائر مشلول تماما باستثناء مداخيل المحروقات.. لا توجد مؤسسة متوسطة تفرز فائضا اقتصاديا . ولكن مداخيل المحروقات ارتفعت من ١٢ إلى ١٧ مليار دولار في خلال ٣ سنوات. **البطالة ازدادت من أكتوبر ١٩٨٨ من مليون تقريبا إلى ما يقرب الآن من ٣ ملايين عاطل(٣٠ نحو المائة) وكانت في حدود ٧ بالمائة فقط ١٩٨٨. سعر الخبز تضاعف عشر مرات من ٢** إلى ٢٠ دينار القدرة الشرائية في انهيار متواصل.

*** ماذا عن أوضاع الاقتصاد في ظل الارهاب والصراع الدامي الجاري الآن؟.**

** الاستثمارات الصناعية تكاد تكون متوقفة تماما. كذلك الزراعة في حالة ركود بسبب سياسة الحكومة وبالطبع بسبب الارهاب ، مثلث المتيجة من أحسن الأراضي الزراعية في الجزائر . أراضي بعمق ٦٠ كيلومتر أمن الساحل **ولكن الارهاب كان يحرق المحصولات ويهدم المنشآت ويدمر الآلات الزراعية في الفترة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٥ . وأكثر من هذا كانوا يفرضون الإتاوات على الفلاحين.**

* لعب إلغاء الانتخابات في بداية التسعينات دورا كبيرا في استفحال الازمة..

****طالبنا من سنة ١٩٩١ بعدم تسييس الدين وبعدم استغلال الدين في السياسة ، وطالبنا بنزع الشرعية عن الاحزاب الاسلامية. لماذا** .. ؟نحن نسأل: **هل ديمقراطية ان حركة سياسية معينة تستولى على الحكم بالوسيلة الديمقراطية ثم تلغى الديمقراطية إلى الابد؟** كانت جبهة الانقاذ تقول في حملتها الانتخابية عام ٩١ صوتك أمانة عند الله تحاسب عليه يوم القيامة . هل مثل هذا الاستغلال للدين مقبول ؟ واحد قادتها آنذاك (محمد السعيدي) كان يقول «نحن من أجل قتل ثلثين لاصلاح الثلث. هل نعطي الحكم لهذا؟ القتل بدأوا به قبل أن يصلوا إلى الحكم «الإسلاميون في إيران بدأوا بالقتل بعد الوصول إلى الحكم.

* وما البديل .. ما المخرج؟

نحن مقتنعون تماما أن الأزمة لن تزول .. ولن تذهب الحركة الاصولية طالما ظل هذا الحكم يغذي الازمة ، يغذي الحركة الاصولية من عدة قنوات.. **ولكن سقوط هذا الحكم حاليا لا يخدم سوى مصالح الحركة الاصولية . أما دفع الحركة الاسلامية إلى موقع دفاعي بسهل عمل الوطنيين والديمقراطيين في الجزائر لكي يبعثوا ديناميكية ديمقراطية.. لان القوى الرجعية داخل الحكم والتي لها ارتباطات مع الحركة الاسلامية في حاجة للحركة الاسلامية لأنها بدون الاعتماد على هذه الحركة تضطر أن تقبل تسيير سياسة الجزائر بمنطق آخر . وهذا يطرح على الحركة السياسية مشاكل دقيقة جدا.

لو ظهرنا أمام المجتمع كحلفاء لهذا الحكم لفقدنا المصداقية. الحكم ليس له أية مصداقية على الاطلاق . فهو يقدر أن يستمر ويواصل مستغلا التناقضات. كثير من الجزائريين يعرفون أن الجيش وحده غير قادر على مواجهة الارهاب الاصولي .. الناس تطالب بالتسليح لتتصدى للاصوليين المسلحين ولكن الحكم يستخدم هذه المجموعات الوطنية للاستمرار في الحكم .. الحكم يضغط على رفاقنا في هذه المجموعات لينفصلوا عن حركة التحدي.

لا يوجد حل عاجل للازمة .. والنظام لا يسمح بالتغيير.. لن يترك السلطة لان هناك مصالح لا يتصورها العقل على الاطلاق.

الذي حدث في الانتخابات وبرمجة كامل المسار الانتخابي ماذا كان الغرض منه؟ كان الابقاء على مواقع الهيمنة السياسية على الحكم بهدف إبقاء مواقعهم الهيمنية في دائرة المصالح الاقتصادية. ليست هذه برجوازية عصرية قادرة على الدخول في التناقض بالمعنى العصري. الحل الوحيد كما تراه هو الابقاء على هيمنتها على السلطة السياسية. تناقضات الحكم من ست سنوات .. له علاقة مزدوجة مع الحركة الاصولية علاقة تحالف في بعض النقاط وعلاقة تناقض وصراع أيضا . المهم ما هي الاقرارات في قاعدة الحكم التي تفتح الطريق لتطورات جديدة.

*** ما العلاقة بين حركة القوى السياسية المنظمة وحركة المجتمع الجزائري؟**

****لا نستطيع عزل الضغط الذي يمثله الارهاب عن الازمة السياسية** . المجتمع الجزائري عاش خلال سنوات قليلة من خلال تطور رعبه الثقافي والايديولوجي تجربة قرون. في الجزائر سقط تقريبا ٢٠٠ ألف (مائتي ألف) قتيل بسبب الارهاب.. من ضحايا الارهاب ومن الارهابيين القتلى.. وهذا رغم حجمه الهائل لا يعني أن كل المجتمع الجزائري استخلص الدروس.. **التجربة أكدت أن الحركة الاسلامية لن تتراجع عن مطلب الدولة الثيوقراطية ، الدولة الدينية، ولن تتراجع أبدا عن استخدام العنف** . ولكن مقابل النواة الصلبة الاصولية **يوجد مجتمع يضحى ويصارع ويقاوم بشدة ، مقاومة بطولية**، ولم تعد كلمة بطولة تعبر عن الواقع حتى نحن أصبحنا ننسى أحيانا أن الحركة الاسلامية تضغط منذ ١٩٩٢ على المرأة الجزائرية لكي لا تشتغل.. لكي لا تدرس.. ضغطوا على المرأة الجزائرية بالتهديد وبالقتل ..لكي تضع الحجاب .. **ولكن المرأة الجزائرية صمدت** . أعطيك مثالاً أستاذة في التعليم المتوسط حيث وقعت المجزرة الاخيرة صمدت خمس سنوات ضد تهديد الارهابيين حاولوا ان يفرضوا عليها الحجاب.

ربما في المرحلة الأولى كان الإرهاب وسيلة

لنشر الأيديولوجيات الاصولية على عكس تحليل بعض السياسيين (كما عملت الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا حيث لم يعزل الارهاب الحركات الارهابية عن المجتمع).

الآن هناك **مجتمع يطالب بتغييرات جذرية تمس العمل السياسي وتمس مؤسسات الدولة ، وتسيير الشئون الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية.. هذه الكتلة الاجتماعية المتسعة الآن أصبحت لا تقبل الاصولية ولا تقبل استمرارية الحكم الحالي لا** تقبل بقاء المجتمع الحالي على ما هو عليه.

هذه الكتلة لا تستطيع التعبير عن هذا بواسطة الورقة الانتخابية ، ولا بواسطة المنظمات السياسية. الآن لا يوجد تطابق بين الطبقة السياسية والطبقة الحاكمة بصفة عامة والتغيرات سريعة جدا التي تخدم المجتمع. الطبقة السياسة تلهث خلف تطورات المجتمع.

بن بلا حل حركته السياسية قبل الانتخابات التشريعية **جبهة القوى الاشتراكية** لحسين آية أحمد لا صلة لها بالاشتراكية بل أصبحت من مطايا الحركة الاسلامية وتقلص نفوذ آية احمد في المجتمع لينحصر في بلاد القبائل . بل وتقلص نفوذه هناك أيضا.

حزب جبهة التحرير الوطني كتنظيم يرمز لاستمرارية الحركة السياسية التي قامت بحرب التحرير تملك أفضل تنظيم سياسي خارج الحركة الاسلامية .حزب جبهة التحرير كان الحزب الواحد طوال ٢٦ سنة وعاش من ميزانية الدولة ويملك مقرات في كل أرجاء الجزائر كلها انشئت بأموال الدولة.. ولكن عندما **أعطى** الحكم نفسه حزبا خاصا في الانتخابات التشريعية وهو **التجمع الوطني الديمقراطي** كحزب للاغلبية الرئاسية قامت طبعا الانتهازية الغالبة في جبهة التحرير الوطني بترك الجبهة ودخلت التجمع الوطني الديمقراطي لانه الحزب الحاكم. بقي في الجبهة قيادة قديمة وبقي أفضل ما كان في قواعد جبهة التحرير ناس عندها ارتباط رمزي قوى بالجبهة وبالبعد الوطني. ولكن من تناقضات جبهة التحرير أنها تطالب حتى الآن بإعادة الشرعية لجبهة الانقاذ.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية تقلص نفوذه، السيد رضا مالك وكان رئيسا سابقا للوزراء حاول أن يؤسس حزب **التحالف الوطني الجمهوري** ولكنه فشل في الانتخابات التشريعية بل لم يحصل على مقعد في البرلمان . لماذا فشل؟ تحالفه الوطني الجمهوري لم يستطع أن يحصل على مقعد واحد.

في ظل أزمة تمنع الأحزاب بالمعنى العصري أن تتحرك في الميدان ماذا تكون النتيجة؟ تكون لصالح الاحزاب التي عندها

*** الاجماع الممكن حول دولة حديثة عصرية تحل مسائل الهوية الوطنية**

*** الشباب في حاجة إلى شعارات جذرية ولا يقتنع بالشعارات الوسيطة**

رصيد تقليدي قديم.. بلد فيه ٨ ملايين أمي.. هل ينتخبون التحدي أو التجمع من أجل الثقافة أو ..؟ بل ينتخبون الحزب المعبر عن نظام الحكم . الحزب الذي يملك كل الوسائل للوصول للجماهير والذي تقبل عليه الانتهازية . الارهاب جعلنا نغلق كافة مقرات الحزب ما عدا المقر المركزي.

*** قلتم لا يوجد حل عاجل ولا حل مباشر .. أي حل يوجد؟**

****الحل هو مواصلة النضال إلى غايته..** فكرة احداث تغيير جذري للخلاص من الأوضاع القائمة بكافة مظاهرها وإحلال وضع ديمقراطي غير ممكن ولا يمكن أن يحدث فجأة. هذا أيضا من كلامك . هل هناك لدى اليسار الجزائري أي خطة للتقدم ولو بخطوات جزئية ولنقل اصلاحية؟

الإصلاحات التدريجية غير مقبولة في وضع الجزائر الحالي.. لا تستطيع اليوم انجاز أي مهمة من كبريات المهام الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، التربوية ان لم تخرج الجزائر من النظام الحالي. هذه هي الازمة. **الازمة بمعنى ما قاله جرامشي . انك لا تجد في الميدان بعد مفاتيح الحل .. هيمنة الازمة بهذا الشكل .. الشكل الدائري .. ولا تستطيع تجاوز النظام الا بالقطيعة مع الحركة الاصولية والإسلاموية . ولكن النظام غير قادر حتى الآن، وقد يتغير في المستقبل بتغير موازين القوى ويتطور طبقا لتجربة المجتمع.

نحن قد نخطئ بالطبع، ولكن حسب تفكيرنا الحالي وحسب درجة نضج تفكيرنا الحالي لا خروج من هذه الازمة سوى بقطع حلقة من هذه الحلقات .بفرض القطيعة بين الحكم والاصوليين .**القوة التي تفرض هذا ليست موجودة بعد في المجتمع**. ولكن هناك ملايين الجزائريين الذين يقاومون منذ سنوات وبشكل بطولي وهم ليسوا في أي حزب سياسي أو تنظيم اجتماعي لماذا؟ لأن **الأزمة نككت كل وسائل العمل السياسي ونككت أيضا كل وسائل العمل الاجتماعي بالمعنى العصري . منظمات المجتمع المدني تقلصت في قيادات ولكي تتصل بالقواعد يحتاج الامر لتوفير شروط مفقودة حاليا**.

*** قلتم ازمة الجزائر هي ازمة دولة .. ما تصوركم عن الدولة التي تمثل البديل؟**

**يستحيل أن تبقى الامور على حالها في الجزائر .هذا ينذر بانفجار اجتماعي أعلى وأخطر جدا من سنة ٨٨ الآن عندنا ٣ ملايين عاطل عن العمل . لابد أن يحدث تغيير . تغيير يمس الدولة.

والدولة ليست فقط أجهزة هي أيضا فكرة .. سلطة معنوية .. الدولة حتى في تعريف ماركس هي نتاج توافق في الرأى هي نتيجة قبول المجتمع المعني بالامر . وفي إطار المجتمع طبعا تمايزات وموازين قوى .. كان الاجماع حول التعريف التقليدي للدولة قائما في الجزائر . ولهذا لم يسقط بن بلا من طرف المجتمع وسقط بانقلاب عسكري ، ولم يسقط بومدين أيضا وحتى الشاذلي لم يسقط في السنوات الاولي .. طبعا كان هناك تناقضات ولكن فقط عندما احتدت لتصل إلي نقطة اللارجعة كان معنى هذا ان **الاجماع القديم حول الدولة التقليدية انتهى** . الدولة التي ورثناها عن حركة التحرير.

معنى هذا ان الجزائر في حاجة إلي دولة ذات طابع آخر، ذات جوهر تاريخي آخر . الاصوليون فهموا هذه الضرورة قبل أن يفهمها الديمقراطيون التقدميون . كانت الحركة الأصولية هي السباقة إلي طرح مسألة القطيعة مع هذه الدولة. أي أننا نفقدنا الاجماع . الآن ما هو الاجماع الجديد الممكن في الجزائر ؟ هل هو الاجماع حول الدولة الاسلامية. لا .. بدليل أن الجزائر تقاوم .في اعتقادي قليلة هي الدول والشعوب التي تقاوم الاصوليين مثل ما يفعل الجزائريون حاليا.

ما هو الاجماع الممكن؟ **الاجماع الممكن هو حول دولة حديثة عصرية تلغي استغلال الدين للاغراض السياسية. دولة تحل مسائل الهوية الوطنية بالشكل المنسجم مع الدولة العصرية**. أي الاعتراف بكل المكونات **المتراكمة تاريخيا للشعب الجزائري. وأيضا** الموقع للجزائري فهي بلد لها بعد عربي **اسلامي وبعد إفريقي وبعد متوسطي إلى غير ذلك.**

هذا الاجماع ممكن جدا وهو الوحيد الذي يقدر أن يحل الازمة . الدولة **العصرية هي الحل.**



فرنسا تعيد تعريف العمل



ليونيل جوسبان

الحكومة تخفض ساعات العمل ..

والشيوعيون يطالبون برفع الاجور

وأصحاب الاعمال يتظاهرون ضد خفض ساعات

وأصحاب العقود المؤقتة يطالبون بتحويلها إلى عقود حقيقية

في الأول من يناير عام ٢٠٠٠ ، يدشن المجتمع الفرنسي القرن الواحد والعشرين على صورة جديدة. اذ ان ساعات العمل الأسبوعية ستنخفض وفقا للقانون الذي أصدره رئيس الوزراء ليونيل جوسبان في أكتوبر الماضي- لتصل إلى ٣٥ ساعة أسبوعيا بدلا من ٣٩ ساعة وهي المعدل القانوني الحالي منذ ١٩٣٦.

وتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الانسانية ، وعلاقة الانسان بالعمل ، ونمط الحياة الذي ساد القرن العشرين خلال منظومة العلاقات المتمحورة حول مبدأ «العمل لكل الوقت» ومبدأ «الوظيفة ذات الدخل» الثابت والمضمون» ، وتوزيع عمر الانسان وأيامه ما بين العمل والترفيه.

فالقانون ، وما طرحه من نقاشات وصدامات أخذت ابعادا عنيفة في بعض الاحيان، كالاستقالة المدوية التي قذف بها رئيس أهم نقابة لارباب العمل - الكونفدرالية الوطنية لارباب العمل الفرنسيين CNPF- في وجه الحكومة احتجاجا على القانون، وكاضراب عمال شاحنات النقل بما تبعه من شلل تام للحياة وتأثيره على جيران فرنسا الاوروبيين- وذلك على الرغم من الحل السريع الذي تم التوصل إليه وإن كان لم يقض على الاطلاق على بذور الغضب.

هذا القانون لا يزال يثير موجات متتالية من المناقشات في الشارع وبين المتخصصين .

فرنسا ليست الوحيدة بهذا الاجراء . بل هي تأتي متأخرة عن بعض البلدان الصناعية ، على رأسها المانيا واسبانيا .وقرار الحكومة الفرنسية ترافق مع إجراء مماثل لخفض ساعات العمل أصر عليه الشيوعيون.

وعلى الضفة الاخرى الأطلنطي ، يكمل الفكر البراجماتي سلسلة «النهايات» التي يبشر بها للقرن الآتي. فبعد «نهاية التاريخ» و«نهاية الايديولوجيا» ، تتوالى الإصدارات.

منذ كتاب ريفكين الشهير لبشر بـ«نهاية العمل» .وأرقام البطالة في ارتفاع مستمر ، وسن الدخول إلى سوق العمل هي الاخرى في ارتفاع ، وهناك من لا تتاح له على الاطلاق فرصة الدخول هذه ، ومن بين من يدخل ، الكثيرون يخرجون سريعا ليعيشوا بعد ذلك على سلسلة من التعويضات الاجتماعية تتآكل باستمرار. ولم تعد الشهادات العلمية وسيلة مضمونة لا للدخول إلى سوق العمل ولا للبقاء فيه. وطال التهميش فئات كانت حتى الان بمنأى عن شبح البطالة. وأضحى العمل- في صيغته الايجابية هذه- أو في صورته السلبية أي البطالة ، التحدي الاول أمام المجتمع الفرنسي تضعه الحكومة الحالية على رأس اهتماماتها كما يعكس تشكيل الحكومة ذاته، والذي يجعل«مارتين اوبري» وزيرة الشئون الاجتماعية والعمل، وهي في ذات الوقت ابنة جاك ديلور -الشخصية التالية مباشرة، بعد رئيس الوزراء وأقوى رجود الحكم اليوم.

ما بعد .. الثلاثين المزدهرة

ربما يفيد في الوقوف على الصورة بأبعادها المختلفة، وما قد تطرحه من سمات مشتركة مع أزمة البطالة في نواح أخرى في العالم العودة إلى الوراء. فمنتصف هذا القرن يؤرخ لمرحلة «الثلاثون المزدهرة» أي الفترة ما بين ١٩٤٥-١٩٧٥. وهي الفترة التي شهدت نموا اقتصاديا صاحبه نمو سكاني خاصة بفعل ما عرف «بانفجار المواليد»BabyBoom بعد الحرب . كما شهدت تغييرا في طبيعة النشاط الاقتصادي من غلبة العمالة اليدوية إلى غلبة الأعمال الذهنية مع استقرار «الوظيفة» كنمط أساسي للتعاقد في سوق العمل.

انتهت «الثلاثون المزدهرة» لتبدأ البطالة في طرح نفسها كمشكلة اجتماعية. منذ منتصف السبعينيات . فالفترة الفاصلة شهدت

نجلاء العمري

رسالة باريس

زيادة كبيرة بفعل تأثير انفجار المواليد ،وبفعل خروج المرأة إلى سوق العمل. وارقام ١٩٩٤ تشير إلى أن زيادة القوى العاملة خلال النصف قرن الماضية كانت في مجملها لصالح المرأة فمن بين ٢٦ مليونا يشكلون القوى العاملة في فرنسا **٥ر١١ مليون إمرأة** . ثم هناك التحولات في انماط النشاط الاقتصادي واشكاله ، والتطور الذي لحق ادارة العمالة أو «الموارد البشرية» وفقا للمصطلح الاحدث.

أشكال جديدة للعمل

ومع وصول عدد العاطلين هذا العام إلى نحو **أربعة ملايين وبمعدل ٥ر١٢٪** وهو معدل يجعل من فرنسا الأسوأ وضعا بين دول الاتحاد الأوروبي بعد اسبانيا وفنلندا، اضحت البطالة المشكلة الاجتماعية الأولى.

إلا أن اخطر ما تمخضت عنه الأزمة ، هو ظهور أشكال من التعاقدات ، اطلق عليها بعض علماء الاجتماع «مادون الوظيفة» فيما يبدو وكأنه تفتيت للمجتمع السابق الذي سادته الوظيفة. فانتشرت العقود المؤقتة ، والدورات التدريبية مدفوعة الاجر . ثم انماط العقود المدعومة اجتماعيا تضمن الحد الادنى في الاجور كالعقود المعروفة باسم «عقد عمل تضامني» ntrat Emploi Solidarik تلجأ إليه المؤسسات الحكومية ذاتها وعلى نطاق كبير ويقدر اجمالي من يخضعون لهذه الاشكال الجديدة بأكثر من أربعة ملايين فرد بما يمثل ٢٠٪ من مجموع القوة العاملة في فرنسا اليوم، وهي نسبة كما ترى مرتفعة.

وباتت أجيال باكملها لا تعرف الا هذه الأشكال ، ولم تحصل في حياتها العملية . ولو لمرة واحدة على «عقد وظيفي» وفقا للمفهوم السائد قديما ،حتى أن الصحافة تندرت على الجيل الجديد وكثيرا ما تشير اليه باسم «**جيل الدورات التدريبية**» مشيرة إلى الحلقة المفرغة التي يدخلها الشباب دون أن يستطيعوا الفكاك منها بالخروج من دورة للدخول في أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية مع الهشاشة الاجتماعية وتدني الاجر وضياع ما يترتب على الشكل القديم من حقوق.

برنامج اليسار

منذ الحملة الانتخابية التي أتت **باليسار** للحكومة، وكل من الحزبين الاشتراكي والشيوعي يرفع مبدأ «**ضرورة إعادة توزيع العمل المتاح**» . وبالفعل ، خاصة مع الضغوط الاجتماعية التي أخذت شكل الاضرابات المتتالية والمظاهرات ،**عقدت الحكومة «مؤتمر قمة وطني للعمل» في العاشر من أكتوبر ضم الاطراف الرئيسية المعنية كالنقابات العمالية وأصحاب العمل.** لكن الحوار الذي بدأ لم يقدر له أن يستمر طويلا



روبير هو.. الحزب الشيوعي الفرنسي

بقيام رئيس الحكومة باصدار «القانون» الذي أشرنا إليه في بداية هذا المقال ، من أعلى.

أما **مارتين أوبري** ، وزيرة العمل ، فقد بدأت مشروعها بتوفير **٣٠٠ ألف فرصة** عمل للشباب في الاجهزة الحكومية والتابعة للمحليات. وتطالب **أوبري** القطاع الخاص بتوفير عدد مماثل من الوظائف. ويقوم المشروع الذي يعرف باسم «**المهن الجديدة**» أو «**مهن الشباب**» على عقود لمدة خمس سنوات فقط، ترى أوبري أنها تعد بداية جيدة لمن لم يستطع حتى الان الحصول على هذه البداية.

حسم القانون الامر إذن نظريا ،واعطت أوبري لقطاع الشباب دفعة، ولكن يبقى التساؤل الاهم: كيف؟**ما الذي يضمن ان عدد الساعات التي ستتوفر سيؤدي إلى خلق وظائف جديدة ، لا إلى الغاء وظائف؟ وما هي ضمانة الا تنخفض الاجور مع انخفاض عدد ساعات العمل؟**.

التجربة الالمانية حتى الان لا تبشر بالكثير . فتحديد ساعات العمل بها لم يؤد إلى ايجاد مثل هذه الوظائف الجديدة ، أي إلى توزيع أفضل للعمل المتاح. وبعد أن رفعت الحكومة الفرنسية شعار« تخفيض ساعات العمل مع الحفاظ على المرتبات» عادت لتؤكد في تصريحات لرئيس الوزراء، أن القانون لن يؤتي ثماره إلا من تقبل الفرنسيين اعادة النظر في الرواتب وتقبل الشركات إعادة النظر في هيكلتها.

أما **مشروع أوبري** ومن بين تسمياته المختلفة «**مهن القرب**»PEoximite، فهي الاخرى تدل على مهن المستقبل. فالقطاعات النسبة ، هي الخدمات ،من هنا وصفها بالقرب، كالحراسة والاستقبال في المطاعم وأماكن الترفيه ومحطات البنزين ، والخدمة في مطاعم **ماكدونالدز**. أصرت **أوبري** أن تفتتحها بنفسها ومفهوم «القرب» يعود إلى أنها تريد بهذه المهن أن تعيد اللمسة الانسانية إلى مناطق غابت عنها بفعل دخول الالة والميكنة».

الخلاف ما زال قائما ما بين جناحي الائتلاف الحاكم. فالحزب الشيوعي يصر على أن يصاحب القانون إجراءات خاصة بالاجور، رفعها لا خفضها، وخلق فرص حقيقية للعمل. وأرباب العمل نزلوا إلى الشارع يتظاهرون ضد ما يرونه عبئاً جديداً على المؤسسات الفرنسية في عصر تشتد فيه المنافسة عالميا. أو كما قال ممثلهم المستقبل: «لا يمكن أن نستثمر في تكلفة السلعة مائة فرنك بينما هي تنتج في أنحاء أخرى من العالم بثمانين». ويستعدون هذا الشهر لانتخابات رئيس جديد يستطيع أن يعبر عن مطالبهم إزاء الحكومة.

والطبقة المتوسطة- غاضبة- ترى أنه تم **التضحية بها وهي الاخرى، نزلت إلى الشارع في مظاهرة نادرة من نوعها لتنادي بعدم انزال العقوبة بمن عمل** ويعمل أكثر، ولا بالعائلات التي يعمل بها كلا الزوجين. وعمال شاحنات النقل والسكك الحديدية يطالبون بتخفيض ساعات العمل بينما يطالب أصحاب العقود المؤقتة بتحويلها إلى«عقود حقيقية» . وبين كل ذلك ،تعيد فرنسا تعريف وتحديد العمل وقيمته على أعتاب القرن القادم.



جمهورية التشيك تعيش..

أزمة سياسية ومأزقاً في عملية الإصلاح الاقتصادي

محمد د. مراد الحاج

رسالة براغ

* المتتبع لتطور الأوضاع في وسط وشرق أوروبا بعد انهيار منظومة الدول الاشتراكية يعلم تماماً أن القوى الحاكمة الجديدة على ساحة **الجمهورية التشيكية قد ورثت من النظام السابق، وضعاً اقتصاديا متقدماً، وأن المستوى المعيشي للسكان كان مرتفعا مقارنة بما كان عليه الحال في بولندا، المجر وسلوناكيا، إلا أننا نجد أن الصورة اليوم قد تغيرت تماماً وانقلب الحال إلى النقيض**. فالبلاد تعيش اليوم أزمة سياسية تكاد تعصف بالائتلاف الحاكم المكون من **الحزب المدني الديمقراطي، الاتحاد المسيحي الديمقراطي، وحزب الشعب التشيكوسلوفاكي، والحزب الليبرالي الاجتماعي الوطني**، وأزمة اقتصادية أوصلت عملية الاصلاح الاقتصادي الرأسمالي التي بدأت في عام ١٩٩٠ أي قبل سبعة أعوام إلى طريق مسدود.

* بصورة عامة نجد أن حالة الاحباط وعدم الارتياح لدى المواطنين نتيجة التطورات السياسية والاقتصادية قد تزايد بصورة ملحوظة حتى أنها شملت أنصار أحزاب الائتلاف الحاكم نفسه، الأمر الذي أدى إلى انخفاض شعبية الإئتلاف الحاكم والثقة في الحكومة.

* استطلاعات الرأي التي يجريها مركز أبحاث الرأي العام التشيكي أشارت إلى أن ٥٨ في المائة من الذين صوتوا للتحالف المدني الديمقراطي في الانتخابات الأخيرة، و٧٠ في المائة من مؤيدي الاتحاد المسيحي الديمقراطي-حزب الشعب التشيكوسلوفاكي، و٤٣ في المائة من مؤيدي الحزب المدني الديمقراطي أعربوا عن عدم ارتياحهم للأوضاع السياسية السائدة في البلاد، وأن حوالي ٤٤ **في المائة من المواطنين يرون أن عملية التحولات الاقتصادية قد باءت بالفشل. ومما تجدر الإشارة إليه أنه حتى رجال الأعمال الخاصة التشيك مستاءين من تعثر عملية الإصلاح الاقتصادي** واستحالة الحصول على قروض، اضافة إلى التعقيدات التي يواجهونها من شبكة البيروقراطية في الدوائر الرسمية.

* في المقابل حصلت أحزاب المعارضة حسب استطلاع الرأي الذي أجري في شهر يونيو من هذا العام على نسبة ٤٠ في المائة بينما حصل الائتلاف الحاكم على نسبة ٣٨,٥ في المائة وقبل شهرين فقط أي في شهر أبريل كان الائتلاف الحاكم قد حصل على ٤٦,٥ في المائة بينما حصلت المعارضة على ٣٤ في المائة فقط. ذلك يعني بوضوح **أن نسبة التأييد والثقة في الحكومة بدأت تتراجع.**

* الأسباب في ذلك ترجع إلى تردي الأوضاع المعيشية والاجتماعية لدى السكان الذين كان يساورهم الأمل في نجاح عملية الإصلاح الاقتصادي الرأسمالي التي ستؤدي إلى ارتفاع مستوى المعيشة والدخل حسب اعتقادهم. ففي الوقت الذي ارتفعت فيه ايجارات المساكن خلال هذا العام بنسبة لا تقل عن ٥٠٪، كما ارتفعت أيضا أسعار التدفئة، والمتوقع أيضا أن تزيد في العام المقبل إيجارات المنازل بنسبة لا تقل عن ٢٥٠٪، اتخذت الحكومة قراراً بتجميد زيادة الأجور بالنسبة للأطباء والمعلمين والمهندسين وبالنسبة لشاغلي الوظائف في القطاع العام. كذلك قامت الحكومة بتقليص الانفاق بحوالي ١٥ مليار- كرون بالنسبة للمتقاعدين و٤ مليارات كرون بالنسبة لدعم الأطفال ومليارى كرون- من الأموال المخصصة لدعم البطالة. إضافة إلى ذلك فرض رسوم دراسية ومن المتوقع زيادة رسوم التأمين الصحي بنسبة لأن قطاع الخدمات الصحية يعاني أزمات متواصلة ونقصاً حاداً على كل مستوياته. وقد تطرق السيد رئيس الجمهورية في حديثه الاذاعي الأسبوعي بتاريخ ٧ يوليو إلى أزمة القطاع الصحي مؤكداً أنه: «لا يوجد تصور واضح ومفهوم لعملية الاصلاحات في القطاع الصحي على المدى الطويل. كذلك لا يوجد نظام تشريعي يحدد الوضع القانوني للمستشفيات والعيادات».

وإذا أضفنا إلى كل ما سلف ازدياد أسعار السلع الضرورية بصورة مستمرة ووتيرة عالية، يصبح من الطبيعي أن يتساءل اليوم المواطنون إلى أين سيؤول الحال؟.

***ولأول مرة، ومنذ بداية التحولات في عام ١٩٩٠ يكون هنالك نسبة إجماع داخل أحزاب الحكومة والمعارض حول تردي الأوضاعة السياسية والاقتصادية والاعتراف بالازمة التي تعيشها الحكومة وتجرى الدعوة للبحث في إيجاد مخرج.**

*الرئيس **هافل** حسب ما أوردت صحيفة **ليبروفي نوفيني** منتصف شهر مايو ومطلع شهر يوليو من هذا العام كان يتابع بقلق تطورأوضاع السياسية القائمة في البلاد وقد دعا الأحزاب للعمل على إيجاد تصور شامل للخروج من الازمة السياسية كما أنه طرح فكرة تعديل الحكومة كمخرج للأزمة، وقد أشار الرئيس **هافل** بوضوح إلى أن القوى السياسية تفتقر إلى القدرة على التفاهم حول المشاكل القائمة. وفي هذا الخصوص صرح وزير الداخلية «**يان رومل**» الذي ينتمي للحزب المدني الديمقراطي لصحيفة «**ملادا فرونتا- دنيس**» مشيراً إلى القطيعة التي كانت قائمة بين رئيس الوزراء **فاتسلاف كلاوس** ورئيس الجمهورية **فاتسلاف هافل** على إثر خلاف وقع بين الاثنين خلال إحدى جلسات الحكومة وقد انعكس هذا الوضع سلباً على العلاقة بين الحكومة ورئاسة الجمهورية.

*وعلى صعيد أحزاب الائتلاف الحاكم فإن مظاهر الأزمة قد وجدت انعكاساتها في الخلافات داخل الحزب المدني الديمقراطي الذي يشكل العمود الفقري للائتلاف الحاكم. ففي

إطار الحزب ظهرت مجموعة أطلق عليها اسم «**الفصيل اليميني**» بزعامة السيد «**ميروسلاف ساتك**» رئيس كتلة التحالف المدني الديمقراطي في مجلس النواب، تحمل السيد رئيس الوزراء **فاتسلاف كلاوس** مسئولية الأخطاء التي تدعي أنها ارتكبت . ويرى «الفصيل اليميني» ضرورة القيام باصلاحات سريعة للأوضاع الاقتصادية المتردية ويطالب بالعودة إلى البرنامج الأصلي لعملية التحولات الذي يرتكز بصورة أساسية على قوى السوق .(جاء ذلك في اجتماع عقده «الفصيل اليميني في نهاية شهر سبتمبر ١٩٩٧ في مدينة «**هرادتسي كرالوني**). **كما جاء في بيان صادر عن نفس الفصيل أن السياسة الحكومية الحالية «تقود إلى حالة من الوهن والفتور» ودعى الحكومة إلى القيام بموجة إصلاحات اقتصادية واجتماعية جديدة تكون أكثر فعالية وحسماً والعمل على إنهاء عملية التخصيص وإصلاح القطاع المصرفي**، وفي حالة عدم القيام بهذه الإصلاحات ، يدعو «الفصيل اليميني»التحالف المدني الديمقراطي إلى الخروج من الائتلاف إلى المعارضة والعمل فقط على دعم الخطوات والاجراءات التي تقوم بها الحكومة والتي تنسجم مع برنامجه ومبادئه.

*وفي تصريح أدلى به **ميلوش زيمان** رئيس الحزب الاجتماعي الديمقراطي ورئيس البرلمان في هذا الصدد وحول الأزمة السياسية التي تعيشها البلاد ومسئولية الحزب المدني الديمقراطي فيها أشار إلى أن الحزب المدني الديمقراطي الذي يتزعمه **الرئيس كلاوس** لا يملك برنامجاً واضح المعالم وأنه قد تحول إلى مجموعة سلطوية ، لذلك فانه أي زيمان يدعو إلى رحيله إلى المعارضة.

* كذلك السيد جوزيف فاغر رئيس **لجنة الميزانية في البرلمان ذكر في برنامج تلفزيوني أن حكومة كلاوس «عاجزة عن تقديم رؤية اقتصادية صحيحة تؤدي إلى إزالة الاضرار التي نتجت عن أسلوب عملية تخصيص المؤسسات الصناعية الكبرى»**.

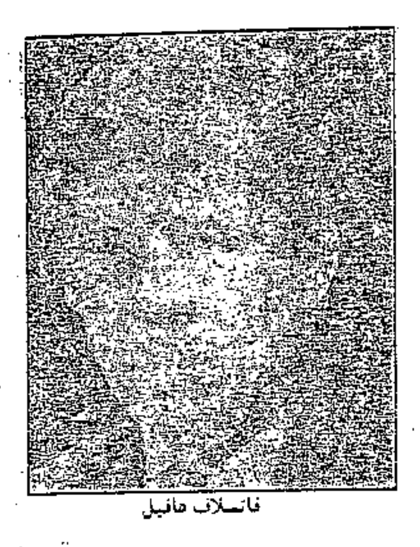
* توجه أيضا انتقادات حادة للحكومة لعجزها عن تحصيل الضرائب من الشركات والمؤسسات التشيكية الخاصة التي بلغت متأخراتها الضريبية حتى نهاية شهر يوليو من هذا العام ٦٣ مليار كرون. وفي هذا الخصوص أشار السيد زيمان في حوار أجرته معه صحيفة«**موبودارسكي نوفيني**» الصادرة بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٨ إلى أنه: «توجد حالات مديونية متعمدة ،حيث ترفض بعض هذه الشركات تسديد ديونها ، لذلك لابد من اتخاذ مواقف أشد حزما في إطار القانون من مثل هذه الشركات».

* هذا الوضع جعل مدراء البنوك في السنوات الأخيرة أشد حذراً في منح القروض الأمر الذي أدى إلى استياء رجال الأعمال في شح فرص الاقتراض.

* **أما السيد فاتسلاف كلاوس رئيس الوزراء ورئيس الحزب الحاكم المدني الديمقراطي فانه يرى الأمور عكس ما يتصورها معارضوه**.ففي حوار أجرته معه صحيفة «**ليدوفي نوفيني**» في الثالث من شهر أكتوبر الجاري، أشار إلى أنه شخصيا يرى«بعض ملامح الاستقرار السياسي والاقتصادي ومؤشرات العودة إلى الأوضاع الطبيعية» .

* **من خلال التصريحات الصحفية التي أطلقها عدد من القادة السياسيين حول الازمة السياسية ، يبدو أن أساس الخلاف يكمن في الموقف من الاصلاحات الاقتصادية.**

* **الاتحاد المسيحي الديمقراطي -حزب الشعب التشيكوسلوفاكي بزعامة يوسف لوكس** رفض في مؤتمره الذي انعقد في مدينة **هرادتسي كرالو** في يوم ٩/٢٧ دعوة العودة إلي البرنامج الأصلي لعملية التحولات والذي يرتكز بصورة أساسية على قوى السوق وأكد على تمسكه بما يعرف باسم اقتصاد السوق


فاتسلاف هافيل

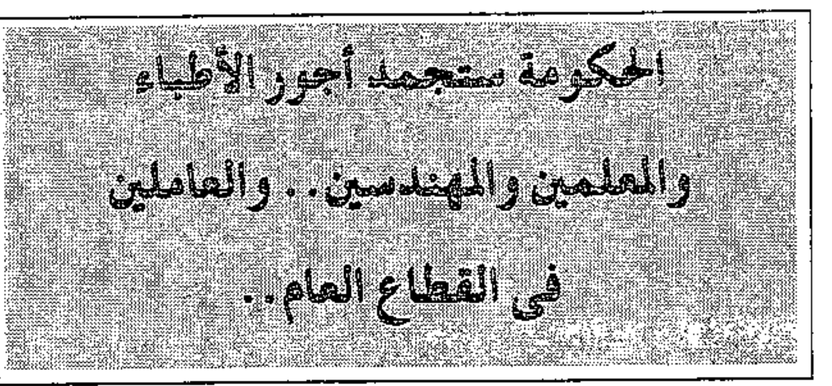
بعبعد اجتماعي. كما دعا رئيس الحزب إلى إكمال عملية التحولات على أساس الخبرات والتجارب خلال المرحلة الماضية وعلى أساس تجارب البلدان الأوروبية الأخرى. بناء عليه أشار لوكس إلى أن حزبه سيقترح على الحزب المدني الديمقراطي وأحزاب التحالف الأخرى عقد مؤتمر في نهاية هذا العام لإجراء تقييم عام للتحولات التي تمت.

* الشريك الثالث في الائتلاف الحاكم الذي يقوده في الوقت الحاضر السيد **ميخائيل جانتوفسكي** السفير السابق للجمهورية التشيكية لدى الولايات المتحدة الأمريكية يعاني من حالة انقسام ضيق داخل صفوفه تستدعي عقد مؤتمر استثنائي لمعالجة الوضع والنظر في كيفية إحداث تغييرات أساسية في أساليب العمل داخل الحزب حسب ما صرح جانتوفسكي.

* **هذا الوضع دون شك يضعف بالتأكيد من فعالية الائتلاف الحاكم واستمراريته.**

* أما على صعيد أحزاب المعارضة فقد أعلن السيد **ميروسلاف غريبنتشك رئيس الحزب الشيوعي التشيكي المورافي** في حديث له عن الازمة السياسية التي تجتاح البلاد ، **أن حزبه يريد حكومة أخرى غير الحكومة الحالية التي أدت سياساتها إلى إفقار عدد كبير من المواطنين** وسمحت بسرقة الممتلكات العامة ونهبها ، وأن المخرج الوحيد من **الأزمة** المستفحلة هو ذهاب الحكومة اليمينية الحالية وإيجاد مخرج ديمقراطي.

***الحزب الديمقراطي الاجتماعي** يتخذ موقفاً معارضاً واضحاً من سياسات حكومة الائتلاف التي أدت إلى الأزمة التي تعيشها البلاد في الوقت الحاضر وقد كان نواب الحزب



سباقين في طرح الاقتراح بحجب الثقة عن الحكومة في البرلمان في السادس من شهر يونيو الجاري وقد تم تجديد الثقة بالحكومة في الحادي عشر من نفس الشهر بأغلبية ضئيلة للغاية.

* في الندوة التليفزيونية التي اقيمت يوم الأحد ٩/٢٨ ذكرت السيدة بيترا بوزكوفا نائبة رئيس الحزب الديمقراطي الاجتماعي أن رؤية حزبها «حول ايجاد حلول لمشاكل البلاد مختلفة جداً» عن رؤية الحزب المدني الديمقراطي وأن «الحزبين يشكلان قطبين متضادين في الساحة السياسية».

* رئيس الغرفة التشيكية المراقبة للاتحادات النقابية السيد **ريخارد فالبر** الذي شارك في نفس الندوة التلفزيونية والتي شارك فيها أيضا السيد **ليندريخ نود يتشكا** وزير العمل والشئون الاجتماعية، أكد أن النقابات ستسير مظاهرة ضخمة في براغ يوم ٨ نوفمبر لدعم المطالب النقابية والاحتجاج علي الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة خلال السنوات الماضية.

*ومن بين **الأسباب التي أدت إلى اضعاف الثقة في الحكومة استشراء الفساد على أعلى المستويات والاتهامات الخطيرة الموجهة إلى بعض المسئولين في مناصب حساسة في الدولة.**

* **السيد لوديك فيوخديل مدير مكتب السيد رئيس الوزراء** وجهت له اتهامات من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي إف . بي. **أي** وكذلك من قبل قسم مكافحة الفساد في جهاز المخابرات التشيكي بسبب اتصالات اجراها مع شريك له أمريكي خاصة بصفقة طائرات مقاتلة للجيش التشيكي . كما أن هنالك تهم موجهة له خاصة بنشاطاته التجارية عندما كان رجل أعمال.

* **السيد يارمير شنايدر الذي كان وزيراً للتنمية** والذي استقال من منصبه بناء على طلب رئاسة حزبه الاتحاد المسيحي الديمقراطي هو الآخر يجري معه مكتب التحقيقات في مدينة برنو تحريات حول اتهامات وجهت له في قضية رشوة سابقة عندما كان يشغل منصب رئيس بلدية مدينة برنو.

*السيد **رومان تشيشكا رئيس صندوق الممتلكات الوطنية** وجهت له في الأيام الأخيرة الماضية تهمة السطو على إحدى السيارات عندما قبضت عليه الشرطة عام ١٩٨٨. في دفاعه عن نفسه أمام أجهزة الاعلام ذكر تشيشكا أنه في حالة سكر شديد ولا يعرف ما حدث. على الرغم من كل ذلك فان مجلس إدارة صندوق الممتلكات الوطنية جدد ثقته في رئيسه **رومان تشيشكا**.

* رئيس **القسم الخاص في قسم** التحقيقات التشيكي العقيد مارتن هانيك يجري بالاشتراك مع قسم التفتيش في وزارة الدفاع تحقيقا حول إرسال رؤوس صاروخية من طراز SS-٢١ تابعة **للجيش التشيكي إلى إسرائيل بصورة سرية في منتصف العام الماضي بدون الحصول على إذن من الجهات المختصة** وقد تم ذلك بناء على اتفاق بين ثلاثة من المسئولين في المخابرات العسكرية في الجيش التشيكي وبين أجهزة أمنية إسرائيلية.

* أما على صعيد العلاقات الخارجية فان **حكومة الائتلاف الحاكم بزعامة السيد** **فاتسلاف كلاوس** فانها تواجه **انتقادات حادة من قبل المنظمات الدولية** بمن فيها **الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان العالمية حول الانتهاكات الجارية لحقوق الانسان** وخاصة بالنسبة للغجر الذين بدأوا هجرة واسعة إلى كندا وبلدان غرب أوروبا بسبب التمييز العنصري والاعتداءات المتكررة ضدهم وصعوبة حصولهم على الجنسية التشيكية وما يترتب على ذلك من صعوبات الاقامة والعمل والضمانات الصحية والاجتماعية.

هنا تجدر الاشارة إلى أن السيد زدينيك **كلاوستر** عضو مجلس الشيوخ وعمدة منطقة براغ الرابعة. نشر له مقال في إحدى صحف براغ دعا فيه إلى إبعاد الغجر خارج مدينة براغ لأنهم يتسببون في مشاكل.

* **تجابه الحكومة التشيكية أيضا صعوبات جمة خاصة بتوفير متطلبات الانضمام إلى حلف الأطلسي** . فهي مطالبة بزيادة الميزانية العسكرية التي تفي بشروط تحديث الجيش التشيكي وكذلك المساهمة في ميزانية الحلف وإصدار قوانين وتشريعات خاصة بالجيش والدفاع وحماية المعلومات السرية . بالاضافة إلى ذلك فان الجمهورية التشيكية مطالبة بأن تقوم بما يلزم لكسب تأييد الرأي العام التشيكي لانضمامها إلى حلف الناتو.

جمهورية التشيك

لم توفر شروط

انضمامها لحلف

الأطلنطي والاتحاد

الأوروبي

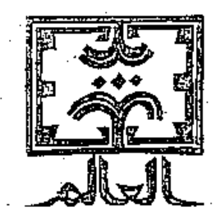
* **ما قضية انضمام الجمهورية التشيكية إلى الاتحاد الأوروبي التي ستجري المباحثات حولها في مطلع عام ٢٠٠٠ فهي أيضا واحدة من القضايا الكبيرة التي تجابه البلاد في السنين القادمة. وحسب تصريح للسيد نيل كينوك** الزعيم السابق لحزب العمال البريطاني والعضو الحالي للجنة- الاتحاد الأوروبي في بروكسل التي نقلتها صحيفة **برافو** فان استعدادات المؤسسات العامة في الجمهورية التشيكية للانضمام للاتحاد الأوروبي لا زالت تتسم بالضعف.

* من كل ما تقدم يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن **الائتلاف الحاكم والمجتمع التشيكي يجابهان أزمة حادة تلقي بثقلها على كل أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأن قضية البحث عن مخرج من الأزمة أصبحت قضية عاجلة لا تتحمل التأجيل.**

* يمكن القول أنه لا يوجد حتى الآن تصور واضح وكامل حول المخرج من الازمة. دعوة **الرئيس هافل** إلى تعديل الحكومة ودعوة السيد **يوسف فاغنر** رئيس لجنة الميزانية في مجلس النواب إلى تكوين حكومة إئتلاف واسعة تضم الحزب الديمقراطي الاجتماعي إلى جانب أحزاب الائتلاف الثلاثي الحاكمة وكذلك اقتراحه بدعوة الحزب الشيوعي إلى مائدة المفاوضات للمشاركة في النهوض باقتصاد البلاد لم تجد استجابة تذكر. كذلك الحال بالنسبة للدعوة الخاصة بإجراء انتخابات مبكرة.

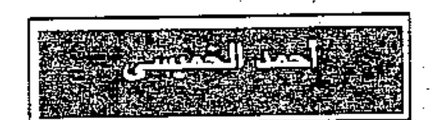
***الائتلاف الحاكم اكتفى بعد تجديد الثقة في الحكومة بمواصلة تسيير أمور البلاد بناء على ما تم الاتفاق عليه في برنامج «حزمة الاجراءات الاصلاحية»** والعمل على تمرير مشروع الميزانية العامة للسنة القادمة الذي سيقدم قريبا للبرلمان لاجازته. كذلك سينظر الائتلاف الحاكم في الاقتراح الذي تقدم به السيد يوسف **لوكس** الخاص بعقد مؤتمر ائتلافي نهاية هذا العام لاجراء تغيير عام للتحولات ومن ثم يحدد **الائتلاف** موقعه من تغيير سياساته الحالية . تجدر الاشارة إلى أن السيد **فاتسلاف كلاوس** صرح للصحفيين بعد حضوره الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الاتحاد المسيحي الديمقراطي بأنه لا يستبعد فكرة عقد مؤتمر ائتلافي.

* **مما سلف ذكره يتضح أن الساحة السياسية التشيكية تدخل مرحلة جديدة من التطور. ويبدو للمراقب والمحلل السياسي أنها ستكون مليئة بالتوترات الاجتماعية والسياسية والتأزم** لأن المجتمع كما علق السيد **فاتسلاف كلاوس** أخذ يدرك بقوة أبعاد وحدود الأمور.



تشوبايس . مرآة الإصلاحات الروسية

الكاردينال الاشقر صانع بانوراما النهب والبطش



رسالة موسكو



يلتسين وتاتيانا

يعد **أناتولي تشوبايس** شخصية محورية غريبة في السياسة الروسية. فهو «**الكاردينال الأشقر**» في المفهوم الشعبي الذي يدير شئون البلاط بفضل علاقة خاصة مع «**تاتيانا**» ابنة الرئيس **يلتسين** التي عينت رسميا في وقت لاحق مستشارة لأبيها في ٣٠ يونيه ٩٧.

وذات يوم وجهت صحيفة ازفستيا سؤالها إلى نائينا زوجة الرئيس يلتسين: «**هل صحيح أن تاتيانا على علاقة خاصة بأناتولي تشوبايس؟**» فأجابت: «إن روح المودة والاخلاص العائلي تعم أسرتنا» ولم يكن الصحفيون الروس هم المبادرون لطرح ذلك السؤال. فقد **كتبت قبلهم مجلة «باري ماتش» عن اللقاءات الصباحية الثابتة بين تاتيانا وأناتولي في الكرملين بالغرفة رقم ٢٦٢ حيث يتحدد الكثير من أهم العمليات السياسية في روسيا**.

وتشوبايس الذي قال **لبوريس بيريزوفسكي** مساعد سكرتير مجلس الأمن القومي - على حد تصريح الأخير بعد عزله - إنه: «يدخل إلى مكتب الرئيس يلتسين في أي وقت ويوقع أي مرسوم في أية لحظة» **وتشوبايس لدى المؤسسات** السياسية والوزراء هو الشخص الذي يحمل في جيبه «ختم الرئاسة الشخصي» لعزل وتعيين من يشاء الأمر الذي اتضح دائما خلال فترات مرض الرئيس الروسي.

وتشوبايس لدى الشيوعيين والقوميين أهم «الاصلاحيين» على الإطلاق في تاريخ حكم يلتسين القصير لأنه «الأب الفعلي لعملية الخصخصة التي بيعت فيها المؤسسات العملاقة بملاليم، ونتيجة لذلك أصبحت الاطاحة بتشوبايس هدفا أعز لدي الشيوعيين من أي هدف آخر.

ولا يخفى الغرب أن **تشوبايس** رجله الأول، لكن الغرب يدرك في نفس الوقت أن **تشوبايس**- في مقال لبيتر رديفي بصحيفة واشنطن بوست الأمريكية- هو: «السياسي رقم واحد في روسيا المحاط بكل تلك الكمية من النفور الشعبي». وقد حددت واشنطن بوست دوره في مقالها في ٢٢ أغسطس حين تساءلت: لكن أكان بوسعنا يا ترى أن نكسب مرتعد التخصيص لو أننا لم نزل أناتولي **تشوبايس** كلا على الأرجح. وعندما نتحدث عن عدة مئات من ملايين الدولارات فلابد أن نعي أن هذه المبالغ لاتحدث تحولا جذريا في بلد ضخم مثل روسيا لكنها قادرة على مساعدة تشوبايس في تحقيق أهداف محددة».

ويسكن **أناتولي تشوبايس** ويعيش في نفس البيت الذي يقطنه يلتسين بمنطقة كريلاتسكي وهو أقرب المقربين للرئيس وأحد القلائل الذين يدخلون إليه في لحظات مرضه أو نوبات الانهاك. **ونتيجة لكل ذلك أصبح تشوبايس هدفا لقوى سياسية عديدة والموضوع الأول- قبل الميزانية وحلف الناتو- للصراع بين المعارضة البرلمانية والرئيس**. لكنه بمعجزة غير قابلة للتفسير كان يواصل البقاء في الحكم فوق التيارات المتلاطمة التي لا يصل إليه سوى رذاذها.

وتشوبايس- من إحدى الزوايا- نموذج لصناعة «النجم السياسي» التي أرسى الغرب قواعدها. فقد انخرط في النخبة الحاكمة دون أن يتم الأربعين ودون أن تؤهله لذلك مواهب خاصة. وقد ولد تشوبايس في ١٦ يونيه ١٩٥٥ بروسيا البيضاء، وأنهى عام ١٩٧٧ معهد لينينجراد للاقتصاد والهندسة وعمل استاذاً في نفس المعهد منذ تخرجه حتى عام ١٩٩٠، ولكنه بدأ انخراطه في الاتجاه العام- **رغم أنه كان عضوا بالحزب الشيوعي**- مع مطلع التحولات عام ١٩٨٥ وظهور جورباتشوف، فشارك في تأسيس جماعة شبه سرية للاقتصاديين الشباب من أنصار الإصلاحات، وفيما بعد تولى أعضاء هذه المجموعة بالذات أكبر المناصب في عملية الاصلاحات ومنهم خرج كبار الوزراء، وقادة الدولة مثل **بيوتر آفين، وسيرجي جلازوف وقسطنطين جاكولوفسكي**.

وفى نفس الفترة كان أخوه الأكبر **ايجور تشوبايس يؤسس منظمة سياسية هى« القاعدة الديمقراطية » التى انضم إليها تشوبايس والتى** قامت بدور سياسى فى الدعوة لليبرالية وتحرير الاقتصاد.

وفى عام ١٩٩٠ أصبح تشوبايس النائب الأول لرئيس اللجنة التنفيذية لمجلس مدينة لينجراد . فبادر لانشاء منطقة اقتصادية حرة فى المدينة بمشاركة واسعة لرأس المال الأجنبى ووقف وراء كل مخططات سوبتشاك عمدة المدينة الذى اتهم فيما بعد بتلقى الرشوة وبسط يد زوجته على مشاريع وشركات الدولة.

وفى يوليه ١٩٩١ يشكل تشوبايس ويترأس فجأة- قبل اسقاط وسقوط الاتحاد السوفيتى بشهر- مركزا للأبحاث الاقتصادية أسماه «مركز ليونتيف» دون أن يدرى أحد مصدر تمويل وانشاء المركز.

وفى نوفمبر ١٩٩١ يقرر الرئيس يلتسين تعيين تشوبايس رئيسا للجنة الدولة للممتلكات الحكومية برتبة وزير وهو فى السادسة والثلاثين ومن دون تاريخ يذكر. وعلى الفور تولى تشوبايس إعداد البرنامج الوحيد الذى طرح للخصخصة فى روسيا .**وفى ٢ يونيه ١٩٩٢ أصبح نائبا لرئيس الوزراء حيث استكمل برنامج التخصيص ببيع مؤسسات الدولة فى المزادات العلنية. وهى العملية التى قال عنها لوجكوف عمدة موسكو إنها «أكبر عملية نهب فى التاريخ».**

وقد سعت المعارضة منذ صعود **تشوبايس** إلى الحكم لإخراجه منه والضغط على يلتسين لإقالته مما أدى لرواج الاشاعات ما بين ١٩٩٣- ١٩٩٤ إلى أن إقالته فى الطريق. وتوثقت صلاته بحزب« **الخيار الديمقراطى لروسيا** » خلال وجوده فى الحكم . ثم جسد شخصيته فيه بعد الهزيمة القاسية التى منى بها الحزب فى الانتخابات فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٥. وكان فى أبريل ١٩٩٥ عضوا فى لجنة تأسيس حركة «روسيا بيتنا» الحكومية . **وأقاله يلتسين فى ١٦ يناير من منصبه كنائب أول** لرئيس الوزراء وأعلن يلتسين أنه لو فعل **ذلك قبل هذا بوقت كاف لحصل حزب «روسيا بيتنا» فى الانتخابات على ٢٠٪ من الأصوات ، معتبرا أن الكراهية العامة لتشوبايس سبب خسارة حزب الحكومة.** والغريب أن تشوبايس هو نفسه الذى أشرف فيما بعد على الحملة الانتخابية للرئيس يلتسين فى يوليه ١٩٩٦ وبعدها أعاده يلتسين إلى الحكم فى التشكيل الحكومى الجديد فى ٢٦ مارس ١٩٩٧.

وقد كان« **التخصيص** » الرجه الأول لترشبايس وقلب الاصلاحات . وتقول صحيفة **واشنطن بوست** فى ذلك أن تشوبايس : **«منح أصدقاء السياسيين والشخصيين بثالث شبر نزيهة فرصة لنهب ثروات طائلة** »وأن« النزاهة المشكوك فيها للسيد **تشوبايس** وطرقه فى الإدارة تفرض علينا أن نتوقف عن مساعدة حكومة الفساد ».

ويشير تقرير أعدته مجموعة من الخبراء الأمريكيين برئاسة **جيرالد ييرك** النائب السابق لمدير وكالة الأمن القومى إلى أن **روسيا : «توجد الآن على حافة التحول إلى طغمة اجرامية يقودها أشخاص مشبوهون وموظفون فاسدون ومجرمون على المكشوف** . وأن فى روسيا ثمانية آلاف عصابة منظمة تتحرك بحرية وثقة، وأن اتحادات تلك العصابات كانت أكثر الأطراف التى ربحت من عملية التخصيص التى أجرت بواسطة المزادات ، وأدى ذلك إلى أن المافيا الروسية قد اغتصبت وظائف الدولة ومهامها ». وكان أناتولى تشوبايس هو مفتاح وصانع تلك البانوراما العريضة من سطوة النهب والبطش.

وعلى امتداد تاريخ الصراع البرلمانى مع الحكومة لم تمر أزمة دون أن يكون شعار المعارضة فيها المطالبة برأس تشوبايس . وللمرة الخامسة فى تاريخ محاولة البرلمان إقالة الحكومة التى تشكلت فى ديسمبر ١٩٩٢ يعلن الشيوعيون أنهم يريدون ليس إقالة كل الحكومة ولكن تشوبايس .

كانت المحاولة الأولى فى أكتوبر ٩٤، والثانية فى أبريل ٩٥ ، والثالثة يونيه ٩٥ ،والرابعة فى يوليه ٩٥ ،وفى أوائل أكتوبر ٩٧ جرت المحاولة الأخيرة بسبب الخلاف على ميزانية عام ١٩٩٨ وقانون الضرائب. وخلال تلك المحاولة صرح الشيوعيون بأن مطلبهم الحقيقى ليس إقالة حكومة**تشيرنوميردين ولكن أناتولى تشوبايس** المسئول عن الاصلاحات، إلا أن الدستور الروسى لا يسمح بحجب الثقة نفقط عن بعض الوزراء.

وتراجع الشيوعيون بعد ضغوط من **يلتسين** قال بعدها زعيمهم **جينادى زوجانوف**، لابد أن ندرك أنه لا يوجد قوة وحدها أن تفعل شيئا اليوم لا الرئيس ولا الحكومة ولا المعارضة». وارتضى زوجانوف بالمصالحة وسحب التصويت على إقالة الحكومة مقابل صحيفة خاصة تغطى نشاط البرلمان، وتمديد فترات تغطية أخبار البرلمان فى الاذاعة والتلفزيون ،وتشكيل لجنة من ممثلى النواب والحكومة للاشراف على النشاط الاعلامى فى القنوات الحكومية ونصف الحكومية، والعودة لصيغة «منضدة الحوار» المستديرة بين زعماء المعارضة والحكومة، وتنشيط عمل المجلس الرباعى المؤلف من الرئيس يلتسين ورئيس الحكومة ورئيس مجلس البرلمان. واعتبر **زوجانوف أن هذه المكاسب تكفى لكى يغض النظر عن ميزانية العام القادم التى تشد الاحزمة على بطون العلم والثقافة والطب والخدمات الاجتماعية والرواتب ودعم قطاع الزراعة والصناعة الحكومى.**

وقد انتقدت كتل أخرى مثل يابلوكو مشروع الميزانية ورفضته تماما.

لكن تراجع الشيوعيين أنهى فى ٢٢ أكتوبر الخلاف مع الدولة حتى برزت من جديد فرصة لاقالة **تشوبايس** وقد لاحت الفرصة بعد فضيحة مالية مدوية تورط فيها **تشوبايس والكسندر كازاكوف** الرجل الثانى فى ادارة **يلتسين** ،**والفريد كوخ** النائب الأول السابق لرئيس الوزراء، ووزيرا الخصخصة **مكسيم بويكا وبيوتر موستوفوى** النائب السابق أيضا لرئيس الوزراء . فقد تلقى كل من أولئك القادة مائة ألف دولار مستحقات عن كتاب مشترك بعنوان« **تاريخ الخصخصة** » . اتضحت فيه أعراض التأليف الحكومية على الجميع فجأة، المشكلة أن الكتاب لم ينشر ولم يطبع ولم يره أحد. مما دعا الكثيرين للتفتيش فى أصل الموضوع فانتهى **البحث إلى أن نصف المليون دولار التى تلقاها المؤلفون كان رشوة صريحة من جهات روسية أو أجنبية لتفوز بحصة ممتازة فى تخصيص مؤسسة ممتازة.**

وهكذا سقط **تشوبايس** منظر الخصخصة **وبويكا** وزيرها. وسارع الرئيس **يلتسين** فى ١٣ نوفمبر بعزل **الكسندر كازاكوف** ،بينما تجرى النيابة العامة تحقيقا مع**الفريد كوخ** ، **أما أناتولى تشوبايس- مرآة الاصلاحات الروسية- فقدم استقالته إلى يلتسين لكن الأخير رفض الاستقالة وبرر ذلك بأن قبول استقالة تشوبايس سيؤدى إلى« زعزعة» الوضع الاقتصادى والاجتماعى الحرج فى روسيا وسيكون له عواقب اقتصادية وخيمة».**

ومن جديد يهدد الشيوعيون بسحب الميزانية من جدول أعمال البرلمان وعدم اقرارها ما لم يقبل **يلتسين** باستقالة **تشوبايس** أو يقيله بنفسه وصرح **جينادى سيليزنيف** فى ١٧ نوفمبر بقوله إنه سيلتقى بالرئيس **يلتسين** لاقناعه بأن طلب إقالة **تشوبايس** لم يكن نزوة سياسية.

لكن يلتسين رغم اقصاء تشوبايس من منصبه كوزير للمالية ما زال متمسكا بتشوبايس الكاردينال الأشقر كنائب أول لرئيس الوزراء الذى لا يخطو إلا وهو رافع الرأس بكبرياء قد يكون طبيعة دوره المحورى وأنه أصبح فى لحظة ما مرآة تاريخية وشخصية للإصلاحات الروسية بكل فسادها الأخلاقى والسياسى.



جورج مارشيه



مارشيه مع بريجنيف .. ومع ميتران

رجل الألغاز والأحاجي

الحزب الشيوعي الفرنسي يتخلى عن الماركسية الأورثوذكسية بعد وفاته بيومين



مجدي نصيف

توفي سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي السابق جورج مارشيه عن عمر يناهز السابعة والسبعين، بعد أن ظل في هذا المنصب ٢٣ عاماً، واستقال لأسباب صحية عام ١٩٩٤، وليس لأي أسباب سياسية أو بسبب الصراع في الحزب. وكان سكرتيراً للحزب الشيوعي الفرنسي في أزهى عصوره، وفي أهم فترات الصراع بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي.

كيف صعد مارشيه إلى صفوف قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي؟ ولد جورج مارشيه عام ١٩٢٠، وفي عام ١٩٥١، وكانت عضويته في الحزب آنذاك لا تزيد عن أربع سنوات، احترف العمل النقابي لنقابة عمال المعادن بمنطقة السين.

كانت الوظيفة صغيرة بالنظر إلى ما ناله من مسئوليات حزبية بعد ذلك، لكنه لم يحقق فيها نجاحاً يذكر، فأقيل من منصبه هذا عام ١٩٥٤، ورغم ذلك نشرت صحيفة "**لومانيتيه**" – الناطقة الرسمية باسم الحزب – مقابلة صحفية معه عام ١٩٥٥، وبعدها عين سكرتيراً لمنطقة جنوب السين للحزب الشيوعي الفرنسي، **وأصبح عام ١٩٥٦** عضواً مؤقتاً باللجنة المركزية للحزب **الشيوعي، وسرعان ما أصبح بعدها عضواً دائماً**، وضم عام ١٩٥٩ **إلى المكتب السياسي للحزب.**

وهذا التصعيد المستمر رغم ضعف الإمكانيات، هو لغز وإن كان هناك عدة تفسيرات، التفسير البسيط هو انه "**محترف ثوري**" من النوع الذي يعطي كل حياته للشيوعية وللحزب وللقيادة. فهو من قرية لاآجريت **الصغيرة** بنورماندي وكان والده من عمال المحاجر وإن كان قد توفي وجورج في العاشرة من عمره، وترك جورج مارشيه المنزل وهو في الخامسة عشرة، متجها إلى باريس حيث عمل صبي مكتب قبل أن يلتحق بمصنع طائرات. إنه إذن عامل، بروليتاري بالمعنى الحرفي **للماركسية**، وهو من أصل فقير أيضاً، وكان عاملاً مجتهداً ومخلصاً في عمله، وفوق كل شيء كان مخلصاً ويعتمد عليه، وكسب بذلك رضا زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي **موريس توريز** الذي كان زعيم الحزب منذ عام ١٩٣٠، **وزاد من حب موريس توريز له، أنه أدان بشدة "انحراف" مارسيل سيرفان، الذي أزيح من كافة مناصبه الحزبية**، آنذاك عين **جورج مارشيه** مسئولاً تنظيمياً، كان ذلك عام ١٩٦١.

ويذكر بعض الذين كتبوا تاريخ حياته، أنه أرسل إلى موسكو عام ١٩٥٤ لحضور مدرسة كادر، لكن يظل هذا غامضاً في حياته، ولم يذكر هو عنه أي شيء، وإن كان ليس غريباً على القيادات المتوسطة في الحزب الشيوعي الفرنسي وأحزاب أوروبية أخرى أن تذهب إلى موسكو لحضور "مدرسة كادر".

هل صحيح ؟

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية، كان جورج **مارشيه** في التاسعة عشرة من عمره، ولم يكن قد أدى الخدمة العسكرية، كان آنذاك يعمل بمصنع الطائرات في بيفر عندما احتلها النازي، واستولوا على المصنع ليتحول انتاجه إلى المجهود الحربي لبناء الآلة العسكرية الهتلرية، وفي شهر ديسمبر عام ١٩٤٢، طلب منه الألمان المحتلون أن **يذهب للعمل في بافاريا** مع زيادة في الأجر، فوافق، ونجح في الكشف الطبي، أخذ القطار إلى ليفين حيث عمل بمصنع لانتاج طائرات ميسرشميت حتى نهاية الحرب (وفي أقوال أخرى حتى مايو ١٩٤٣) كانت هذه الطائرات هي أساس سلاح الطيران النازي الذي يضرب شعوب أوروبا المحتلة.

وعين جورج مارشيه عام ١٩٧٠ سكرتير

ثان للحزب الشيوعى الفرنسى .(فى يونية ١٩٧٠) **بعد خمسة أشهر من تعيينه ، اتهمته قيادات حزبية بأنه تطوع للعمل عند الألمان أثناء الحرب . ويظل هذا الاتهام معلقا فوق رأسه طوال حياته حتى وفاته.** وقال البعض من هذه القيادات أنه تزوج من فتاة ألمانية بميونيخ فى مارس عام ١٩٤١ ، وأنها وضعت له طفلة فى شهر يونية التالى . وقد يكون هذا هو السبب فى رفضه الذهاب إلى ألمانيا طوال حياته ، رغم أن ألمانيا أصبحت جزءاً من التحالف الغربى . وكان بامكان جورج مارشيه أن يرفض الذهاب إلى ألمانيا والعمل بميونيخ، فقانون العمل الإجبارى النازى لم يصدر إلا فى فبراير ١٩٤٣ . فى هذه الفترة ، كان إخوانه من الشباب الفرنسى . وخاصة فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، ينخرطون من المقاومة البطولية ضد النازى ، أو يختفون حتى لاينفذوا القانون الألمانى لكن ما ساعده بشكل عام . هو أن فرنسا كلها لم تحاكم ماضيها خلال الاحتلال النازى . بشكل جدى

ولم يسكت **جورج مارشيه**، وإنما رد على الاتهام بقوله إنه هرب من ألمانيا وعاد إلى فرنسا فى شهر مايو عام ١٩٤٣ ، وظل مختبئاً بها حتى التحرير من الاحتلال النازى . لكن المشكلة أنه لم يستطع إبراز أى دليل ولم يستطع أن يذكر اسم أى شاهد على ذلك ، بل ولم يذكر مكان اختبائه . ولم يستطع السكوت على هذا الاتهام المسلط على رأسه ، فذهب إلى المحكمة التى طلبت منه إبراز دليل براءته . فخسر القضية عام ١٩٧٩ ، بعد عام كامل من ذهابه إليها.

لكن ، رغم هذه المسألة الشائكة ، عينه المكتب السياسى عام ١٩٦٩ ، سكرتيراً عاما للحزب الشيوعى ، بالاشتراك مع **فالدبك روشيه** الذى كان الزعيم الراحل موريس **توريز** قد عينه خليفة له . وتم تعيين **مارشيه** دون مناقشة والسبب أن روشيه كان مريضاً. كان جورج مارشيه قد ذهب فى يونية من نفس ذلك العام إلى موسكو للمشاركة فى اجتماع " **مؤتمر الأحزاب الشيوعية الأوربية**" . وكانت القيادة السوفيتية تحبذ اختيار **جورج مارشيه** لقيادة الحزب الشيوعى الفرنسى . ودخل " المجلس الوطنى" عن دائرة فال - دى - وازن ، وكانت البطلة مارى كلود فالانت كوتيرير هى التى فتحت له الطريق . **هكذا تمتع جورج مارشيه بالسلطة فى البرلمان الفرنسى وأمسك** بناصية الحزب ، وتمتع بتأييد السوفييت وأيضا توريز . لكنه كان مصمماً على أن يدخل بالحزب وهو فى زعامته حقبة جديدة" ، كمال يقول.

مشاكل

كان الحزب الشيوعى الفرنسى يواجه مشاكل عديدة : كان الجنرال ديجول قد عاد إلى السلطة عام ١٩٥٨ ، ينادى باستقلال فرنسا عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأ فرض الديجولية فى " المجلس الوطنى " وفى فرنسا . **ومنذ عام ١٩٦٨ ، بدأ نمو ما عرف باسم " اليسار الجديد" الذى أصبح " موضة" وخاصة بين الشباب والطلبة، وكان هذا " اليسار الجديد" فى مجمله معاد للشيوعية ، ودخلت القوات السوفيتية براج لتقضى على " ربيع براج"**

كانت خطوة **جورج مارشيه** الأولى هى عقده لتحالف وثيق مع الاشتراكيين الفرنسيين الذين كان يقودهم آنذاك **فرانسوا ميتران** ، ووقعا معا " برنامجا مشتركا " فى يونية عام ١٩٧٢ ، قبل أشهر معدودة من انتخابه السكرتير العام الوحيد للحزب الشيوعى فى مؤتمر الحزب الفرنسى الذى انعقد فى شهر ديسمبر من ذلك العام . لكن سياسة الحزب الشيوعى ظلت كما هى دون أن يطرأ عليها أى تغيير وتوظيف . وكرر **جورج مارشيه أن " الشيوعيين الفرنسيين يستمرون طليعة التقدم الاجتماعى والانسانى وقيادة للطبقة العاملة - البروليتاريا - الفرنسية ". وكتب تقريراً سرياً ، ظل سراً لمدة خمسة أعوام ، عن " مخاطر التحالف فى الحزب الاشتراكى الفرنسى "!**

وبخصوص أحداث **براج** قال " إن الحزب الشيوعى الفرنسى مصمم على أن تكون لفرنسا سياساتها الخاصة . والحزب الفرنسى يدين " التدخل العسكرى " السوفيتى . ولايدين " التدخل السياسى "! و" يؤكد الحزب الشيوعى الفرنسى على المصالح والأهداف المشتركة للطبقة العاملة فى بلاد العالم".

وهذا هو الجديد الذى أعلنه **جورج مارشيه** ، وهو كما يقول المثل الفرنسى «نفس النبيذ القديم ولكن فى زجاجات جديدة".

كارثة التحالف

لكن التحالف مع الحزب الاشتراكى كان كارثة ، فقد أخذ الشيوعيون يشهدون بذهول كيف بدأ الحزب الاشتراكى يتحول ليصبح الحزب القائد لليسار الفرنسى . وعندما أجريت الانتخابات العامة انخفضت نسبة الأصوات التى حصل عليها الشيوعيون **بشكل لم يحدث من قبل،** فى نفس الوقت الذى انخفضت فيه عضوية الحزب . وحاولت قيادة الحزب تغيير شعاراتها وليس تغيير برنامجها وسياساتها : ادعت تبنى الشيوعية الأوربية ، وألقت جانبا بالشعارات القديمة ، مثل دكتاتورية البروليتاريا وكانت الطريقة التى تمت بها مهينة لدرجة أن فيلسوف الحزب آنذاك **لويس التوسير** قال آسفاً " لقد ألقى بها كما لو كانت كلباً أجرباً . وهذه هى شيوعية الخط المتعرج؟"

وأتت الذروة عام ١٩٨١ ، عندما انتخب **فرانسوا ميتران** رئيساً للجمهورية . تلقى جورج مارشيه الرسالة الأولى : كانت نسبة ماحصل عليه من الأصوات فى الجولة الأولى ١٥٫٣٪ . وعين الرئيس الجديد **فرانسوا ميتران** رغم هذا ، أربعة وزراء شيوعيين ، ولكن فى وزارات ثانوية ، ليس لها أهمية كبيرة ، ثم طردهم بعد أربع سنوات !

وبعد علاقات فرنسية - سوفيتية فاترة ، قام الرئيس الفرنسى الراحل **فرانسوا ميتران** بالمصالحة ، **وأعلن موافقة فرنسا على " التدخل السوفيتى" فى أفغانستان . وأعلنت الوثائق السوفيتية السرية التى نشرت مؤخراً بعد انهيار الاتحاد الفيدرالى السوفيتى وسقوط الشيوعية أن موسكو دفعت لذلك الاعتراف ستة ملايين دولار للحزب الشيوعى الفرنسى** . ولنذكر أن المصالحة الفرنسية - السوفيتية تمت عام ١٩٨٠ فى عهد الزعيم السوفيتى الراحل **ليونيد بريجنيف.**

وعندما جاء الزعيم **ميخائيل جورباتشوف** ، وسقط فى عهده الاتحاد الفيدرالى السوفيتى ، كان معنى ذلك بالنسبة للحزب الشيوعى الفرنسى سقوط نموذج ونهاية أسطورة . **وهاجم جورج مارشيه ميخائيل جورباتشوف** ، وقال أنه كان يحذر دائما من الممارسات التى يقوم بها الحزب الشيوعى فى كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر ، **وأن هذه الممارسات لم تكن إلا مقدمة للانهيار ، وأطلق عليها اسم " الشيوعية الهامشية" ، وقبل جورج مارشيه فى مقابلة صحفية أجريت معه عام ١٩٩١ ، أن الشيوعيين فى العالم لم يعودوا يشكلون طليعة الحركة العمالية.**

كان موقفه الجديد ، هو " القتال ، ببساطة ، ضد الصفوة التى تستغل الجماهير العريضة " و" يجب أن يقاتل الحزب الشيوعى ضد " الاتحاد الأوربى" الذى يسيطر عليه الرأسماليون وتهيمن عليه ألمانيا".

لقد خاب أمله وانتهت أحلامه وأخذ

الحزب الشيوعي الذي تسلمه قوياً ، يتلاشى . لكنه كان مازال موجوداً . على الأقل كانت قواعده الداخلية متماسكة وإن كانت تسيطر "الدوجما" على القيادة . كان الاخلاص والتصميم والإصرار يعوض عن الدوجما الشديدة بين الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يغوص في أعماق التشدد وبين الحزب الشيوعي الإيطالي الذي سار بخطوات مسرعة نحو التجديد ، واحتضن الجديد دائماً فكوفئ في النهاية بأن أصبح في السلطة على رأس " تحالف عريض.

خرج **جورج مارشيه** من سكرتارية الحزب الشيوعي عام ١٩٩٤ بسبب مرضه . ودخل الحزب الشيوعي بعده في تحالف انتخابي مع الحزب الاشتراكي بقيادة **ليونيل جوسبان** هذه المرة . وفاز في الانتخابات البرلمانية التي عقدت في شهر يونية الماضي ، ودخل الحزب الشيوعي بثلاثة وزراء . وكانت **آخر محاولات تدخله أن يوقف إلغاء اسم " الشيوعي" من الحزب كجزء من عملية التحديث** . والحاصل أن المثقفين تركوا الحزب والتفت " شلة" حول السكرتير العام ، وتضاءلت العضوية ، وانقطع التجديد وأصبح الحزب على هامش الحياة السياسية الفرنسية.

الحزب يترك الأورثوذكسية

وبعد استقالة جورج مارشيه كسكرتير عام الحزب ، أخذ جناح التغيير بقوى ليساير أحداث العالم من حوله . وتجنبت اللجنة التنفيذية التي أصدرت بيان نعيه للعالم ذكر أي تقييم لشخصه ولأعماله . وهذا معناه أنهم ينأون بأنفسهم عن السلبية التي كان يجسد استمرارها . كان يعارض التغيير بكل قواه . وكان آخر مااعترض عليه هو قبول الحزب للأمر الواقع الذي يعبر عن قوته ، عندما قبل السكرتير العام الذي خلفه **روبرت هيو** ، أن يكون الحزب هو الشريك الأصغر في التحالف الحاكم ، فقد قررت قيادة الحزب أن تقبل المشاركة في السلطة . رغم الخلافات الشديدة في السياسات مع الحزب الاشتراكي بزعامة **ليونيل جوسبان** رئيس الوزراء الفرنسي . فالبعد عن السلطة يقرب الحزب من زوايا النسيان . ففي **ظل جورج مارشيه ، انخفض مايحصل عليه الحزب الشيوعي الفرنسي من ٢١٪ إلى ٩٪ ، ولم يكن إلا العجائز هم الذين يمنحونه صوتهم . وهذا لايكفي لأنه دليل على أن الحزب قد كبر وشاخ** . والمطلوب جذب قطاع الشباب على وجه الخصوص ، إلى جانب قطاعات المجتمع الأخرى ، وحتى أجزاء من الطبقة المتوسطة.

كان تأثير جورج مارشيه وجناحه المتشدد يتضاءل ويبدا هذا واضحاً . في المؤتمر الصغير الذي انعقد على مدى يومين بناء على طلب السكرتير العام روبرت هيو لتقييم الأشهر الخمس الأولى للحزب كشريك في الحكومة مع الاشتراكيين . وكان المتشددون يشكلون أقلية صغيرة . وانعقد المؤتمر قبل وفاة مارشيه بأربع وعشرين ساعة.



ديجول

جورباتشوف

حاول **جورج مارشيه** التدخل في مناقشة حول ضرورة أن يغير الحزب اسمه ويلغي كلمة " **الشيوعي** " منه ، وفي الحوار الذي كان يدور لإلغاء رمز الحزب وهو المنجل والمطرقة ، من جوار اسم جريدة الحزب " **لومانيتيه** " في صدر الصفحة الأولى ونشرت الصحيفة ماقاله رغم اعتراضاته.

قال سكرتير الحزب **روبرت هيو** حول هذا:

- " لقد ثبت أن التخفيف من تشددنا ، يفيد في مشاركتنا في الحكومة . ومع الجماهير . كذلك وجودنا مفيد ويلعب دوراً كبيراً . فوزير المواصلات الشيوعي ساعد في حل مطالب السائقين بزيادة أجورهم ، وحل مشكلة إضراب سائقي اللوريات في بداية هذا الشهر . كذلك كانت مناقشاتنا مثمرة حول الاستقطاعات في ميزانية الدفاع للعام القادم ١٩٩٨ ".

وللحزب الشيوعي الفرنسي ٣٦ نائباً في المجلس الوطني الفرنسي ، وهددوا باسقاط حكومة جوسبان بالتصويت ضد ميزانية الدفاع . لكن تهديدات النواب تبدو جوفاء ، إذ تراجع روبرت هيو عن معارضة الحزب الشيوعي لاستقطاعات الحكومة في الضمانات الاجتماعية ، كما دفن اعتراضات الحزب على الخصخصة . وهو يتحدث عن نقل مايركز عليه الحزب الشيوعي الفرنسي من " ملكية رأس المال" إلى " تحويل مكان العمل إلى مكان تسوده العلاقات الإنسانية" ، حتى " لايخاف" رأس المال . كما قال بعد انتهاء المؤتمر المصغر .

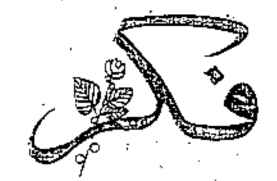
والأهم من ذلك أنه جعل رئيس الوزراء الفرنسي ، يعد بأن تنضم فرنسا إلى " الاتحاد النقدي الأوربي " (**الأورو**) رغم أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان قد أعلن معارضته لسياسة التقشف المطلوب اتخاذها ، في حالة تنفيذ شروط معاهدة " ماستر يخت" .

يد المساعدة

ودائما مايد رئيس الوزراء الفرنسي **ليونيل جوسبان** ، يد المساعدة لسكرتير الحزب الشيوعي **روبرت هيو** . وكان ذلك آخر مرة ، الأسبوع (الماضي) الأول من نوفمبر ١٩٩٧ ، عندما صدر في فرنسا كتاب بعنوان " **الكتاب الأسود عن الشيوعية Ra luvire Noire du communisme** الذي كتبه مجموعة من الأكاديميين والمؤرخين . ويعدد **الكتاب الفظائع التي ارتكبت في ظل الشيوعية ، وأهمها الفظائع التي ارتكبت في ظل النظام السوفيتي . وتجاهلها الحزب الشيوعي الفرنسي تجاهلاً تاماً** . وقدم الجناح اليميني سؤالاً للحكومة حول الكتاب . ورفض رئيس الوزراء **ليونيل جوسبان** حكاية أن الحزب الشيوعي الفرنسي زميله في التحالف الحاكم مسئول عن : جرائم " الشيوعية في الماضي . وقال إن محور التحالف مع الحزب الشيوعي ، حتى ولو كانت قيادته أبطأت في الاعتراف بأخطاء الماضي.

لكن وقوف رئيس الوزراء ليونيل جوسبان إلى جانب الحزب الشيوعي الفرنسي ، ليست خالصة لوجه الله ، فرئيس الوزراء الفرنسي يريد من الحزب الشيوعي الدفاع عن ميزانيات الصرف ، هذا إلى جانب السياسات الناتجة عن وجود فرنسا في قلب منطقة " الأورو".

ويشارك الشيوعيون ، رغبة رئيس الوزراء الفرنسي **جوسبان** . في أن يرى " الاتحاد الأوروبي " يبذل جهداً أكبر لحل مشكلة البطالة . وأن يقدم " التوازن الاجتماعي" لمعاهدة ماستر يخت . لكن من المتوقع أن تبرز خلافات حول " **الأورو**" خاصة وأن الشيوعيين يريدون إجراء استفتاء عام حول هذه القضية . ويمكن أن يكسب الشيوعيون أرضاً حول هذه المسألة ، وبذلك يصبحون أكثر قوة داخل اليسار الذي يهيمن عليه الاشتراكيون .



الماركسية والديمقراطية

الديمقراطية هي آلية لحل التناقضات الاجتماعية تستخدم فيها وسائل متعددة سواء حرية التعبير وحرية الاطلاع على البيانات والمعلومات وحرية التنظيم بما يستتبعه من تعدد التنظيمات والاحزاب ووجهات النظر كما أنها تعطي لكل الفئات الاجتماعية فرصة للسعي لتحقيق مصالحها.

ولا شك أن الديمقراطية هي آلية متقدمة لانها تنفي الحاجة لاستخدام العنف. غير أننا يجب أن ننتبه إلى أن تلك الالية لا تستقر في أي مجتمع ما لم يكن هذا المجتمع قد استقر وتوافق على النظام الاجتماعي الذي يسود به.

لذلك نجد أن الديمقراطية تطورت من أول المجتمعات اليونانية القديمة وهي كانت مجتمعات عبودية لكن السادة فيها كان يحكم تعاملهم فيما بينهم نظام ديمقراطي ولم يكن العبيد في ذلك المجتمع يتمتعون بممارسة تلك القواعد المتقدمة.

ومن ناحية أخرى فان النظم الديمقراطية **في الغرب إنما تعبر عن استقرار المجتمع الغربي بنظامه الاجتماعي الرأسمالي. وفي هذا النظام فان لديه من الوسائل التي تستغني عن العنف ما يضمن استقرار ذلك النظام ، وذلك دون استبعاد إمكانية استخدامه اذ لزم الامر عند الاحساس باي خطورة على العلاقات الاجتماعية القائمة سواء** وصل العنف إلى مستوى الفاشية أو المكارثية أو الاستبعاد من أي فرصة للتعبير في أجهزة الاعلام التي تخضع تماما للسيطرة الرأسمالية. بل أي فرصة لحياة مهنية ناجحة ويصل إلى الاغتيال.

وإذا كانت انتخاب عضو في المجالس التشريعية في بلد مثل امريكا يحتاج لقدر كبير من التمويل فان جماعات المصالح المتمتعة بالثروة تحتكر بالضرورة سلطة التشريع.

أزمة الديمقراطية في المجتمعات الاشتراكية وهي أزمة تسببت إلى حد كبير في انهيار تلك المجتمعات، لا ترجع إلى أسباب عامة تجد تعبيرا عنيفا في الخيار بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية أو تعدد المنابر أو احترام حقوق الانسان مع أهمية هذه الأسباب. **إنما ترجع أزمة الديمقراطية في المجتمعات الاشتراكية إلى أن الطبقات صاحبة المصلحة لم تكن منظمة كطبقات في السلطة.**

أزمة الديمقراطية في تلك البلاد أنها لم تحل مشكلة السلطة. والكلام عن سلطة الطبقات الثورية يصبح مجرد كلام دون أن تكون تلك الطبقات قادرة على التنظيم والتعبير والمحاسبة والكشف، حيث لا تصبح قضية اختلاف وجهات النظر وتعدد التنظيمات التي تحمل وجهات نظر مختلفة، والقادرة على التعبير متناقضة مع التوافق في المجتمع حول النظام الاجتماعي الذي يحكمه.

كيف فقدت الطبقة العاملة السوفيتية قدرتها على التنظيم كطبقة في السلطة تلك مسألة يجب أن تدرس.

كيف تحولت السلطة من مجالس السوفيتات إلى سيطرة الحزب على السوفيتات ثم تركز السلطة في لجنته المركزية ثم المكتب السياسي فالسكرتارية ثم السكرتير العام وعبادة الفرد.

تلح على فكرة **القصور الذاتي في حركة التاريخ.** الاستيلاء على السلطة في روسيا عام ١٩١٧ كان بالضرورة عملا عسكريا. وكم كان من الاسهل للاحتفاظ بالسلطة الابقاء على نفس الشكل العسكري في تنظيم الحزب، ثم تحولت المركزية الديمقراطية إلى مركزية لا ديمقراطية وتصفية الاجنحة المعارضة أو غير المضمون تبعيتها أو حتى لمجرد انها أجنحة تتعدد بسببها الآراء.

هل غيبة الديمقراطية كان سببه الفكر الماركسي أم أن آليات الثورة تكاد في كل الاحيان تستمر في قصورها الذاتي إلى أزمة للديمقراطية .ولنرى ماذا حدث في الثورة الفرنسية بل ماذا حدث في ثورة يوليو وهل كانت الطبقات صاحبة المصلحة العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية، هل هذه الطبقات كانت منظمة كطبقات في السلطة بعد أو قبل تأميمات ١٩٦١ رغم أن نظام ثورة يوليو حقق لهذه الطبقات مكاسب عظيمة لا يمكن إنكارها.

ونلاحظ أن كل الثورات التي أحدثت تحولات اجتماعية عانت من مشكلة تحقيق الديمقراطية كآلية للتفاعلات الاجتماعية.

وفي مصر فان القضية الوطنية التي كانت- ولا زالت- محور الحركة السياسية فإن ارتباطها بضرورة إحداث تحولات اجتماعية أوجد نفس نوع التناقضات التي عطلت استخدام الديمقراطية كآلية اساسية في حل التناقضات الاجتماعية.

في ثورة **١٩١٩** التي كانت قيادة البرجوازية المصرية وملاك الأراضي فيها راسخة، كانت شعارات الديمقراطية لها تأثير جوهري في مسار الثورة، غير أن قيادة الثورة لم تضع أي اعتبار للديمقراطية عند محاربة الفكر الاشتراكي ومتابعة المعتنقين له بالسجن والنفي أو إجهاض محاولات التنظيم النقابي، شكل من أشكال الديمقراطية في إطار تحقيق مصالح الطبقات صاحبة المصلحة الحقيقية بتعبير صدقي باشا رغم ما شاب تطبيقها من تباديات سواء مع السراي أو الانجليز ذلك أن إحداث تحولات اجتماعية في المجتمع المصري لم تكن قضية مطروحة حالا بشكل حاد الا بعد الحرب العالمية الثانية.

غير أن تحقيق تحولات اجتماعية مهما كانت جذرية وفي صالح الطبقات التي كانت موضع استغلال إذا كانت تتم كما حدث في عديد من تجارب الشعوب دون أن تتحول السلطة حقا إلى الطبقات الجديدة صاحبة المصلحة في التحول الاجتماعي، فان تلك المكاسب لا تتعرض للتآكل فحسب بل ان **فقدان الطبقات التي كانت مقهورة ومستغلة اجتماعيا لقدرتها على التنظيم وحرية التعبير بما يستتبعه من تعدد المنابر الحزبية وإمكانية** تداول السلطة بين الأجنحة المختلفة، هذا في

علي أحمد نجيب

حد ذاته لا يعبر عن فقدان الديمقراطية فحسب إنما بالضرورة أيضا يفرز الفئات الاجتماعية التي من خلال استخدام سلطة الدولة تمارس قدرا كبيرا ومتزايداً من التمتع بالامتيازات والفساد وتكوين الثروات، في الوقت التي تفقد فيه جماهير الطبقات صاحبة المصلحة في المجتمع الجديد ثقتها في النظام وتعجز في نفس الوقت عن حمايته.

خاصة أن الردة المعاكسة للتحولات الاجتماعية الثورية تنبع أساسا من الاجنحة القائمة في السلطة التي تتخذ أكثر فأكثر طابعا بيروقراطيا متسلطا ومستغلا في نفس الوقت.

هل نتحدث عن علم الثورة أم عن الماركسية عند مناقشة تلك القضية.

بعد سقوط الباستيل في فرنسا بفترة وجيزة دخلت في عصر الارهاب ثم الديركتوار والقنصل الأول فتنصيب امبراطور وبعد خمس وعشرين سنة استنزفت فرنسا فيها في حروب نابليون رجع البوربون ثم جمهورية ثم امبراطور وهزيمة ١٨٧٠.

إنما هل انتفت قضية الحرية بتلك الهزائم المتوالية؟.

ليست القضية قضية اتساق منطقي بين الماركسية والديمقراطية. القضية هي آليات الفعل الثوري عند التحول الاجتماعي أو مدى حدة الصراع الطبقي في فترة التحول الثوري وانعكاس ذلك على امكانيات تصفية التناقضات الداخلية في صفوف الطبقة المهيمنة على المجتمع الجديد تصفية لا يمارس فيها العنف الذي مورس ضد الطبقات التي يتم تصفية مجتمعها.

عند التحول من الاقطاع إلى الرأسمالية في بلد مثل فرنسا استخدمت أقصى درجات العنف ضد الاقطاعيين ثم أقصى درجات العنف بين الاجنحة المتصارعة من البرجوازية. وليس قبل استقرار المجتمع الجديد من خلال صعود وهبوط القوى الثورية لاكثر من مرة تمكن المجتمع الجديد من الوصول إلى حالة من التوافق لا يحتاج فيها إلى استخدام العنف.

لماذا نتصور أن الماركسية يجب أن تصل إلى حل لمشكلة العنف مسبقا. البشر هم على أي حال بشر وقضية السلطة أي سلطة هي القضية رغم صغر أمام أي سلطة. وفي ظروف التحول الثوري لا نتوقع ان نحل تلك القضية قبل الوصول بالمجتمع ككل إلى حالة من التوافق في شكل علاقات الانتاج والعلاقات الاجتماعية الجديدة.

قد نقول إن سبعين سنة مدة كافية. هذا لو لم يتخللها الحرب العالمية الثانية وفترة الحرب الباردة. **وبعد موت ستالين قد كان من المحتمل أن تحل قضية السلطة في الاتحاد السوفيتي في فترة خروشوف لكن الوقت كان قد فات وتمكنت الفئات الاجتماعية المتمركزة في الحزب والمسيطرة تماما على جهاز الدولة** وأوصلت جماهير الشعب من عمال وفلاحين ومثقفين إلى حالة من فقدان الثقة بحيث كان من المحتم أن يصاب المجتمع بنكسة تنبع من داخله وتصل أزمته إلى ما نراه الآن في البلاد التي كانت تكون الاتحاد السوفيتي.



خروشوف



ستالين

إن قضية العدل الاجتماعي في تاريخ البشرية كانت دائما مصاحبة لقضية الحرية ولا تقل عنها أهمية وقد كانت تتحقق في اطار الطبقات صاحبة المصلحة أي المهيمنة على المجتمع، بل **أن الحرية الديمقراطية كانت دائما تابعة لميزان القوى الذي تحدده قضية العدل الاجتماعي** كما أن قضية العدل الاجتماعي اذا لم يكن يتم حسمها بالعنف فان القدر النسبي الذي يتحقق فيها يكون دائما متوازيا مع الوزن النسبي للقوى الطبقية التي تكافح من أجله.

إن الديمقراطية التي يتمتع بها العامل الانجليزي مثلا لم يتم تحقيقها مع **ثورة كرومويل**، بل ان حق الانتخاب لم ينله العمال الانجليز الا بعد ما يزيد عن قرن. كذلك فإن الحقوق الاجتماعية الأخرى سواء في الأجر أو مستوى المعيشة أو الضمان الاجتماعي أو التعليم والعلاج.. إلى اخره، كانت تحصل عليها الطبقة العاملة في انجلترا على مدى سنين طويلة وبالتوازي مع وزنها الطبقي وقدرتها على الفعل السياسي.

إنما هل يعني ذلك أن أسلوب التغيير التدريجي هو الاسلوب الوحيد الذي يجب أن تكافح من أجله جماهير الطبقات المستغلة.

رب قائل ان انجلترا حالة خاصة شديدة الخصوصية سهل فيها هذا التحول ان الرأسمالية تحققت بها قبل أي بلد في العالم وتحولت إلى امبراطورية قبل أي بلد في العالم في عصر الرأسمالية ولديها من الفائض ما يمكن به تحسين أحوال الطبقة العاملة.

وقد يقوم التساؤل هل تستقيم الديمقراطية مع مبدأ امتلاك الدولة لوسائل الانتاج؟

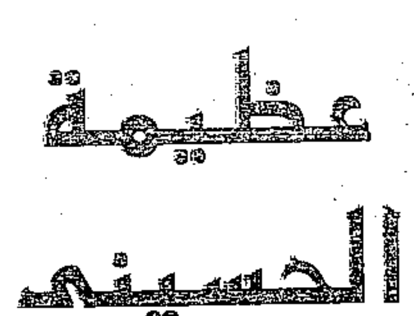
قبل ذلك السؤال لماذا لا نسأل هل تستقيم الديمقراطية مع مبدأ ملكية أقلية رأسمالية لأدوات الإنتاج.

سوف لا نتحدث عن الديمقراطية الاجتماعية بل عن الديمقراطية السياسية- حرية التعبير ودور الاجهزة التشريعية وأجهزة الاعلام- لا يمكن الا أن تكون تلك الديمقراطية شكلية، التعبير مباح تماما لمن يمكنه ان يجمع الملايين كي ينشئ بها جريدة أو محطة اذاعة أو تلفزيون أو قمر صناعي في يومنا هذا.

الديمقراطية متاحة لمن له جهاز دعاية انتخابية قادر على انفاق الملايين. ناهيك عن استخدام سلطة الدولة في الحد من الفاعلية السياسية للطبقات المستغلة.. بأساليب ديمقراطية!! بالتشريع أو بالأساليب الاجرائية التي تستخدمها السلطة التنفيذية.

لا يوجد تناقض بين الملكية العامة لأدوات الانتاج والديمقراطية. ذلك إذا كان جهاز الدولة خادماً للطبقات صاحبة المصلحة، وفي الاشتراكية يكون خادما للشعب العامل. **ذلك إذا حلت مشكلة الديمقراطية بمعنى قدرة الطبقات صاحبة المصلحة من العمال والفلاحين والمثقفين في أن تنظم كطبقات في السلطة ولا يتم اجهاض فعاليتها بأجهزة سلطة فوقية.** كيف يتم ذلك؟ يمثل ما تم من قدرة البرجوازية الرأسمالية تنظيم نفسها كطبقة في السلطة من خلال معاناة الهزائم والانتصارات والتعلم من تجارب التاريخ.





بساطة عظيمة

منذ دوّن مكسيم جوركي رائعته «الأم» عرفت الإنسانية معنى السجن السياسي، ومعنى أن يكون للسجين من يتحمل عبئه في الخارج، يسد له حاجاته، ويدافع عنه، ويحميه من تجبر نظام باطش .. وجسدت «الأم» دور الام والأخت والزوجة كذراع قوي يحمي السجين ويدافع عنه، ويرفع صوته المحبوس في زنازين العذاب والصمت.

وقد عرفت مصر مالا يخطر على بال بشر في زنازين الناصرية، وسجلت بطولات لا تحصى لشباب دفع حياته دفاعا عن الموقف والمبدأ. وقد حاول البعض أن يسجل ما رأى، وأن يحكي ما حدث. لكن الفعل الدرامي لم يزل غائبا، ودور «الأم» و«الزوجة» والأخت طمس في غمار الحديث عن السياسة وعن «الأنا»..

ولو أن كاتبا جلس ليستمع في انبهار إلى «عظيمه الحسيني» وهي تحكي قصتها مع سجون الناصرية ثم سجون السادات .. وكيف وهبت حياتها دفاعا عن السجناء، ورعاية لهم، وجعلت من أيامها درعا تحميهم من بطش لم تعرفه حتى وحوش النازية.. لو أن كاتبا جلس ليستمع إلى عظيمه لقدم لنا رائعة ربما تفوق روعة «الأم» .. رائعة أقترح لها عنوان «الأخت».

الاسم: عظيمه الحسيني

تاريخ الميلاد: ٨ يناير ١٩٣١

النشاط : عضوة في منظمة فتح. عضوه في حزب التجمع. عضوه في الهلال الاحمر الفلسطيني..

الأب مهندس مساحة من أسرة ميسورة مكنته من أن يدرس الادب في الجامعة الامريكية ثم يدرس في كلية الهندسة . لكنه يبقى معلقا بمشاعر الاديب المتمرد على قيود الوظيفة، ومع كل تمرد يطاح به نقلا من بلد لآخر القاهرة- دمنهور - بني سويف- اسيوط- الاقصر- نجع حمادي -قوص- رفح.. وأماكن أخرى عديدة لا تعيها الذاكرة.

والأم من أسرة ميسورة هي أيضا (تجار أقطان) تعلمت هي أيضا لعدة سنوات في مدرسة الراهبات في طنطا ثم أطبقت عليها التقاليد . من المدرسة إلى البيت .. إلى الزواج.

وحتى عظيمة تعلمت هي أيضا حتى مرحلة «الثقافة» ثم انطلقت أوامر الجد لتعود بها إلى البيت.

الأب وطني .. شارك في أحداث ثورة ١٩١٩. وواصل ثورته حتى آخر أيامه. (كان في أسيوط عندما استشهد البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، لاحظ الجيران حزنه

د. رفعت السعيد

تصوروا أنهم أقارب أليس أسد محمد الحسيني. لم ينف أقام مأتما وتقبل العزاء في البطل الشهيد .. أليسا قريبين في معركة العروبة ضد الصهيونية. وتبقى فلسطين راسخة في ذهن الفتاة الصغيرة منذ ذلك اليوم. لكنها تعود للقرية في الاجازة الصيفية لتفاجأ بأسر فلسطينية مهاجرة. ولتجد أسرة منها مقيمة بطلب من جدتها في بيت ملحق بحديقة منزل العائلة من هذه الاسرة سمعت عن فلسطين. النكبة. الصهاينة. المذابح. الوطن. المسروق .. وعاشت هذا الهاجس طويلا حتى قررت ان تنتظم في معركة الدفاع عن فلسطين.

قلبها ظل حزينا .. وحتى الآن.. وظل دوما حانيا على الفقراء (ذات يوم غافلت الأسرة وأخذت كل ما تملك من ملابس وأعطته لاسرة فقيرة تسكن بجوارهم). (وعندما أصبحت شابة أسست «جمعية» لرعاية الطالبات الفقيرات .. تجمع الملابس القديمة تنظفها، تكويها، توزعها على الطالبات) ومنذ ذلك الحين وهي تتبنى فكرة إقامة «معارض» للملابس القديمة لتمول بها نشاط اتحاد النساء التقدمي.

الاخوة يسجنون
الاخت تناضل

الاخوة خمسة بهي- عادل- مصطفى- هاني- مهدي. وهم جميعا ينغمسون في معارك السياسة .. بدأ «بهي» ثم مصطفى وعادل.. ثم الجميع.

وفي البداية كان الأمر سهلا.. مظاهرات، حبس يومين أو ثلاثة في القسم .. لكن المعارك بدأت تشتد ومع التصادم مع الناصرية فتحت السجون أبوابها لتستولي ولزمن طويل على «مصطفى» وعلى «مهدي» ثم وفي زمن السادات على «هاني». وهنا تتألق «الأخت» لتلعب دوراً دراميا وثوريا رائعا. الفتاة التي تعلمت حب الوطن، وعشق الفقراء المظلومين تهب حياتها دفاعا عن السجناء الشيوعيين وليس أخوتها فقط.

ومرارة التجربة علمتها كيف تنظم الزوجات والأمهات والأخوات في منظومة متماسكة يمكنها أن تستعصي على اختراقات الأمن الناصري المتشددة، وأن تتحداه، وأن تواجهه.. وتصرخ في وجهه.. وفي وجه النظام بأعلى صوت.. في تجربة غير مسبوقة في الزمن الناصري، ولمعت أسماء عديدة لسيدات كل منهن تستحق أن ينقش اسمها وساما على صدر الوطن: أم محمد عثمان أم محمود العطار. «سميحة البرلسي» زوجة سعد زهران. أم حمدي مرسي -خالدة الناسترلي و


عظيمة تحتضن الطلائع.. ومن بينهم صفاء زكي مراد ورشا عبد الرازق

.. عظيمة الحسيني وأمهات وعشرات من نساء بسيطات عرفن طريقهن لمواجهة الظلم دفاعا عن أبنائهن. «عندما قبض على «مصطفى» عام ١٩٥٤. أتى زوار الفجر قلبوا البيت .. أخذوه. انحدرت دموعها. لامتها عنفتها.. هل أنت أقل وطنية منه ؟ تذكرى أخت البطل عبد الفتاح عنايت التي وقفت إلى جواره وهو في السجن.. وتلقت من الأم درساً).

وتوالت تحركات «العائلات» .. مظاهرات .. اعتصامات.. زيارات للمسئولين -هذا التحدي من نساء بسيطات أذهل التشدد الناصري وأربكه.

قصصها عن زيارة «مهدي» في سجن


الأم.. لقنت أبنائها الدرس

الواحات تحكي صورة مفزعة لسجون الناصرية. وقصصها مع معتقل العزب بالفيوم حيث أعتقل «مصطفى» تقدم لنا فزعا مجسدا في تصرفات سلطة غير إنسانية.

ذات يوم وقعت وهي تتسلق الطريق الحجري الصاعد لسجن القلعة حاملة ما هو فوق طاقتها من الملابس والطعام لمهدي، وقعت .. أصيبت عينها إصابة لم تزل عالقة بها حتى الآن. (وذات يوم عادت منهارة تماما من زيارة لسجن المحاريق بالواحات. أراد الأهل الترويح عنها أخذوها لتفرح إحدى القريبات ألح الحريص عليها أن تطلق «زغرودة» اشتهرت بها. استجمعت ارادتها. أحزانها ظلت متعلقة بها. انطلقت الزغرودة ولم تتوقف. حاولت. لكنها استمرت. ولم تتوقف الا في المستشفى).

حكايات السجن والمعتقل لا تنتهي كل واحدة منها تنسج دراما لصراع «الأخت» ليس دفاعا عن «الأخ» وحده وإنما رفاقه جميعا وحريتهم وحقوقهم.. (قبل أحد الأعياد أصطحبت قريبا لاحد المعتقلين حملوا معا عديدا من الصناديق والاكياس وتوجها نحو الرحلة المأساوية إلى الواحات حيث سجن المحاريق. هناك اكتشفوا أن السجناء مضربين .. والسجن في حالة تكدير. الزيارة ممنوعة. الأكل ممنوع .. الح. ألحت. صمتت. وصرخت، شتمت وحصلت على نصف حقها .. الزيارة لكن المأمور أمرها أن تعود حاملة كل ما أتت به. ربطت الصناديق والأكياس في حبل واحد الرجل يجره من الأمام وهي تدفعه من الخلف. أربعة كيلومترات في قلب الصحراء بأمل أن يستدير حول سور السجن

لتجد منفذاً تهرب الطعام من خلاله. وجدت خيامًا لرجال الحدود ضابط شاب وبضعة جنود . حكيا حكايتهما. تلبها الذى أرجعها على الأخ» أوجعها على الضابط الشاب .فكت صندوقا أخرجت بطة وصينية رقاق وجلسوا يأكلون .هي لم تأكل شيئتها تركتها هناك عند الأخ الجائع .. الضابط وعدها . وأنجز وعده، بطريقة ما دخل الأكل إلى السجن.

أما مصطفى المعتقل بالعزب فلا حيلة معه .الزيارة ممنوعة أصلا . فقط يمكن المراسلة عن طريق المباحث العامة. جواب يصل ، وعشرة لا تصل. طلب مصطفى صورة لبسمه وهانى ولديه . سلمت الأم الصورتين للمباحث . استدعاه مأمور المعتقل . أنت لك أولاد ؟ نعم . طلبت صورهم؟ . نعم .عايز الصور؟ نعم . فجأة أخرج المتوحش الصورتين مزقهما وداسهما بقدميه. انقض عليه مصطفى محاولا ضربه. أخذوه إلى التأديب . وهناك أضرب عن الطعام.

بطريقة ما وصل الخبر إلى «الأم» لم تخبر أحداً . خرجت صباحاً سافرت الفيوم ومنها إلى المعتقل على البوابة صرخت شتمت .طالبة أن ترى ابنها . لكن القلوب الصخرية لا تعرف أي قدر من الحنان . هتفت أمام بوابة السجن بسقط عبد الناصر المجرم .عادت لتسطر عبد الناصر بسيل من البرقيات طالبه إنقاذ ابنها المضرب عن الطعام. استدعاها وكيل نيابة سألها سؤالا واحداً :كيف عرفت أن ابنك مضرب عن الطعام؟).

وفى خارج السجن، الهول أشد هولا الامهات والزوجات والأولاد بلا مورد . المقبوض عليه لا مرتب له. وتنظم عظيمه سبيلا للتعاطف البادى بين الأسر .وتروى قصصا مرجعه عن أمهات وزوجات بعن كل ما يمتلكن ثم اشتغلن غسالات وخادمات ليكفلن لقمة شريفة لأولادهن.

* ما قبل النكسة ما بعد النكسة

أفرج عن الجميع عام ١٩٦٤ . استراح القلب قليلا . نقل الأب إلى رفح وسعه سافرت . هناك رأت عجائب الفساد والافساد . زوجات كبار المسئولين . وكبار كبارهم يسافرن إلى غزة يعدن محملات ببضائع يجرى تهريبها علنا. اثنان منهن (زوجة ى. س. وع. ح) هي تورد الأسماء بلا حرج) وصلتا إلى رفح . صدر امر باخلاء احدى الاستراحات الحسولة معهما ملأت كل ردهات وغرف الاستراحة .وفى الصباح ملأت الحمولة عربة قطار كاملة..



فريد عبد الكريم .. محمد فائق .. زيارة لهم فى السجن أسبوعيا

عندما كانت النكسة كانت عظيمه أقل الناس دهشة، بل وأكثرهم ترقعا لها ولم تسكت عظيمه كتبت رسالة مطولة إلى **عبد الناصر** حكت له فيها حكايات كثيرة عن تصرفات كبار رجاله.. وأكدت أن هذه التصرفات هي سبب النكسة (منذ ذلك الحين اكتسبت عظيمه عادة المراسلة مع المسئولين والاصدقاء ، تحدثهم فيها عن رأيها ووجهات نظرها)..

وكثمرة للنكسة **كان لابد من دور فلسطيني فالجدار الذى كانوا يستندون اليه لم يعد موجوداً.** وآن لهم الاعتماد على أنفسهم . قرأت إعلانا في الصحف: **منظمة التحرير الفلسطينية ترحب بأى متطوع** . أخذت معها «هانى» (كان نظرها يعانى بعد عملية جراحية فى عينيها) وكان هانى لم يزل في الاعدادية.

فى شارع الألفى مكتب **فتح** وجدت شابا صغير السن يجلس وحيدا (إنه **زهدى القدرة** سفير فلسطين الآن فى القاهرة) . قالت : أنا جايه أتطوع . الفتى الفلسطيني الذى انتظر المتطوعين طويلا . لم تأت إليه سوى هذه السيدة.. وهذا الشاب . سألها بقلق: تتطوعى تعملى إيه؟.

قالت بحماس : أنا مستعدة أعمل أى حاجة . أغسل هدوم الجرحى . أو أخدمهم. أحس بالصدق فى كلماتها .**وانضمت عظيمه إلى الركب الفلسطيني .. وعبر مسار متعرج بذلت فيه جهودا إنسانية مضنية أصبحت عضوة فى منظمة فتح**(لجأت مرة أخرى إلى حيلتها القديمة .جمعت من الجيران الملابس القديمة . أصلحتها . نظفتها ,أخذت فى توزيعها على الأسر الفلسطينية الفقيرة فى عرب المحمدى وغيرها من الأحياء. **ومثل هذه الأعمال البسيطة خلقت رباطا وثيقا بين شعب الشتات الفلسطيني فى مصر وبين قيادته.**

ويتطور المشروع ليصبح شاملا.. ومؤثرا. (لم تزل تحكى دون ملل قصتها عندما وقفت تجمع التبرعات للثورة الفلسطينية في جناح فلسطين في المعرض الصناعى عام١٩٦٩ . أعرض الكثيرون ، لكن طياراً شابا- زى القمر- فقد ذراعيه فى الحرب قال لأخته : ضعى في الصندوق كل ما معك. التفت إليها مخاطباً فيها الثورة الفلسطينية أنا لسه عندى رجلين وسخ أرجوكي اقبلى تطوعى معكم . وبكت عظيمه دون أن تجيب) **بأموال التبرعات التى جمعتها فتحت فتح أول عيادة طبيه فى شارع جواد حسنى بالقاهرة (أنها** النواة التى نبت منها **مستشفى فلسطين)** ..

ولم تزل حكاياتها المثيرة تتوالى : سيدة من بولاق أتت بعربة كارو تحمل كل نحاس البيت للتبرع به. أعطتها إيصالا رفضت أن تأخذه.

وظلت علاقتها الفلسطينية عالقة بها، وعندما اشتعلت **كامب ديفيد** فى الجسد العربى كانت عظيمه همزة وصل هامة بين **التجمع** الذى انضمت اليه فور قيامه وبين القيادات الفلسطينية بالقاهرة .**وتبقى عظيمه مصرية الانتماء، فلسطينية الهوى.**

لكن هموم السجن تعود من جديد ففى السبعينيات يبدأ«هانى» على ذات الدرب. الأب الذى تعلق بها وتعلقت به يرحل. وبعدها بثلاثة عشر يوما يسجن« **هانى**» تترك أحزانها . لتواصل معركتها. مسلحة بخبرتها القديمة

استطاعت ان تفرد تحرك العائلات من جديد دفاعا عن السجناء:

***السجان سجينا**

وفي ظل الازمة الحادة بين **التجمع والسادات** . وفيما كانت المطاردات مستمرة . سجون لا تغلق أفواهها أبدا كانت عظيمة عتاداً عتيداً للتجمع. شجاعة هادئة خبرة متدفقة . حماس لا ينقطع. وبدأت تتجمع لدينا معلومات عن وجود القيادات الناصرية بعنبر بالقصر العيني (**علي صبري- سامي شرف- محمد فائق- فريد عبد الكريم**) .. وفي جلسات بعيدة عن التصنت اتفقنا **خالد محيي الدين** وأنا على ضرورة البدء في حملة للمطالبة بالافراج عنهم، وعلى ضرورة أن نهتم بهم إنسانيا وأن نقيم معهم علاقة متصلة. كانوا -دون أدنى مبالغة- بلا أي اتصال بالخارج والكثيرون ممن يعلو صوتهم الآن بالحديث عن الناصرية كانوا مذعورين، أو خائفين، أو غائبين، أو أي شيء، إلا الاهتمام بالقادة السجناء، وكلفني **خالد محيي الدين** بهذه المسئولية التي اتفقنا على ضرورة أن تتم سراً. بدأنا التحرك على شعبتين حملة نشاط في الخارج بدأت من بيروت عقب زيارة قمت بها إلى هناك ثم إمتدت إلى مدن عديدة .. بالدقة كل مكان وجد فيه عضو **بالتجمع** من باريس إلى لندن إلى طرابلس إلى الجزائر وبدأت عملية مراسلة منتظمة بيننا وبين رفاقنا في الخارج وبينهم وبين المسئولين في بلدان عدة ومنظمات عالمية عدة.

أما الشق الآخر فقد فكرت طويلا فيمن يتولاه .. واهتديت إلى« **عظيمة الحسيني** » شرحت لها الأمر . كانت تحمل في قلبها أكواما من الأسى مما فعلوه بها وبأخوتها ورفاقهم. لعل شريطا من الحكايات المفزعة مر سريعا وأنا أشرح لها المطلوب وأذكر لها الاسماء . لكنها لم تتردد **إذا الحزب عايز كده . حاضر**.

تركت لها حرية التصرف مع التأكيد على أهمية الحرص. فلسنا نريدها فريسة من استفزاز **السادات** ضدنا.

وجدت سبيلها الهادئ والسري تماما لزيارات متواصلة وبلا انقطاع للقيادات السجينة . فعلت المستحيل ونجحت دخلت وخرجت ببساطة بعد أن رتبت أمرها بطريقة مذهلة(لا مجال الآن لذكرها). **ثلاث سنوات تزورهم مرتين كل أسبوع تحمل لهم ما يشاءون من طعام ومعلومات وأوراق ورسائل وتعود من عندهم بما يشاءون** . خطأ واحد لم يقع. إنها البساطة العبقرية .والخبرة المتراكمة. وبدأت صور السجناء تطبع في بوسترات لتوزع في العالم العربي. تقاريرهم الطبية تصل إلى المنظمات العالمية. لكن الماضي القديم يعود فجأة(حملت لهم ضمن مطبوعات **التجمع** عدداً من **مجلة المرأة المناضلة** وبه مقال كتبته **عظيمة** عن نضالات العائلات حكت فيه عن أم **محمد عثمان** و**فتحية سيد أحمد** وعن أم حاولت زيارة ابنها المضرب عن الطعام في معتقل العزب. في الزيارة التالية سألوها من هي هذه الأم ؟ قالت : أمي وحكت لهم الحكاية بالتفصيل .جرحت الجراح ولا يعرف الشوق الا من يكابده . هم الآن سجناء ويعرفون مذاق السجن وطعم الظلم . فتحت الجراح . صاح **محمد فائق** مستنكراً : ده كان أيام **حكمنا** ؟ قالت نعم . وأنا على العموم بنت زعلانة . أنا بازوركم لانكم مناضلين.

وجرى حوار مرير مع هادئة .. راضية خالية من أية ضغينة ، وهم يريدون -كل منهم على حدة- تبرئة أنفسهم مما كان بابداء دهشة مندهشة صرت هل حدث هذا فعلاً..؟ بهدوء وإصرار صمتت أن ما حدث كان أبشع كثيرا.. لكن ما فات فات في المرة التالية كان اثنان منهما معتكفين في غرفتيهما، ثم تلاشى رويداً رويداً أثر المواجهة . وعادت عظيمة تزورهم بانتظام تحمل طعاما.. وفاكهة أوراقا وأخباراً وتعود بأخبار وملاحظات .. وأشياء.


السادات


عبد الناصر

وبعد.. هل آن لي أنا وفعت **السعيد** أن أدلي بشهادتي : كانت المهمة صعبة جدا. وخطرة جداكان المطلوب أن تحمل أوراقا إن ضبطت فالسجن هو الجزاء.. ولقد شرحت لها كل المخاطر منذ البداية .**وكانت تعلم جيدا أن الخطر كبير، وأن من تزورهم هم الذين نسجوا خيمة الحزن والعذاب والتعذيب على أسرتها** أمها وأخوتها وكل الرفاق . قبلت راضية. وقامت بالمهمة بشجاعة وثبات وهدوء أعصاب تحسد عليه .. والأهم من هذا كله في كتمان شديد. كتمان أصبح في زمن الثرثرة المتسيبة عملة نادرة).

***دوما معا**

وتواصل عظيمة معركتها . **في زمن السادات الصعب كانت عماداً لحركتنا** . وكنا نمنح أنفسنا طمأنينة حقيقية على أحوال العائلات والسجناء طالما ان عظيمة تتولى الأمر.

ويتواصل عطاؤها لحزبنا . ويتواصل تواصلها مع قضية الشعب الفلسطيني . ويتواصل ما تعلمته من أمها التي كانت تهتف خلف أولادها وهم مقبوض عليهم.. **علمتكم تحبوا شعبكم ، علمتكم تحبوا مصر**.

ألم أقل منذ البداية إننا إزاء حالة نادرة من بساطة مصرية عظيمة.

على القنوات الفضائية

خرافات من أجل حفنة من الجنيهات!

د. سمير حنا صادق

حدثني أخي الدكتور عدلي فريد الأستاذ بطب عين شمس فقال:

تقدم السيدة «أ» ممثلة المسرح والتلفزيون المشهورة برنامجا أسبوعيا على إحدى القنوات الفضائية الخليجية تستضيف فيه ضيوفا لحوار بين مؤيدين ومعارضين لقضية معينة.

في إحدى حلقات البرنامج قدمت السيدة «أ» حلقة أحضرت فيها شخصا -ولنرمز له باسم «ع» - يتحدى مجموعة من الأشخاص **يزعمون استطاعتهم استخراج الجن من أربعة مرضى حضروا الحلقة (امرأتان ورجلان)**. حضر الحلقة أيضا ضيوف أربعة: أحدهم كان يحاول إضفاء وقار وأستاذية العلماء الزائفة على نفسه بلحية كثيفة، وكان ينظر إلى الجميع من عليائه وحينما يسأل فيتكلم قليلا جدا بكلام غير مفهوم. وكان هذا الشيخ ممثلا لجبهة التأييد. **أما جبهة المعارضة فكان يجلس فيها شيخان من علماء الأزهر الشريف (في منتهى الاستنارة) وأستاذ في الطب النفسي.**

في بداية الحلقات كان الحوار ساخنا بين السيد «ع» وباقي الاطراف وكان السيد «ع» يحاول إثبات ادعائه للعلم بحيل تحتوي على اصطلاحات كبيرة الرنين عديمة المفهوم في سياق كلامه مثل «**اندوبلازم**» أو «**اكتوبلازم**».

كان المرضى - المسكونين بالعفاريت - أربعة: أولهم آنسة غير متزوجة تزعم أنها عندما تدخل غرفتها وتغلق الباب على نفسها لتنام تكتشف بجوارها على السرير شابا يحاول أن ينال منها ولكنها تقاومه ولا يحدث شيء وأن هذه الأحداث تحدث تقريبا كل ليلة. وكانت المريضة الثانية تزعم وجود أوجاع مؤلمة في جميع أجزاء جسمها لا ينفع فيها أي علاج. أما المريض الثالث فقد قال إنه عندما يسمع القرآن الكريم يصاب بمغص وآلام في بطنه لا تنتهي إلا بانتهاء القراءة. أما الرابع فقد كان مثل المريضة الثانية يشكو من آلام متنوعة في جسده، صرف على علاجها الآلاف بدون جدوى.

في حلقة أخرى تقوم سيدة معالجة بقراءة القرآن الكريم والصلوات على جميع المرضى بدون أي تأثير ، ثم يقوم معالج آخر بنفس الطقوس بفشل ذريع. وفي نهاية الحلقة يتقدم رجال أعمال بشيك يساوي مائة ألف جنيه لمن يقوم بشفاء المرضى باستخراج العفاريت منهم.

تأتي الحلقة ويقوم الشخص المعالج الثالث بقراءة صلوات على المرضى الأربعة. فيصاب المرضى بتشنجات ويستلقون على الأرض فيأمر الرجل العفاريت بالخروج منهم. **ويتضح أثناء هذه العمليات أن العفريت الذي يتسبب في المريض الثالث بآلام المغص وخلافه عند قراءة القرآن الكريم يدعى (طبعا) «بطرس».**

عند انتهاء العمليات يقوم المرضى الأربعة وتنكر السيدتان أي تأثير أما الرجلان فقد قررا أنهما شفيا تماما فيصرخ الحاضرون «**الله أكبر**» ويتم مخرج العفاريت وتقدم له السيدة مذيعة البرنامج شيكا يبلغ ١٠٠٫٠٠٠ جنيه التي قدمها رجل الأعمال. **ويسأل الرجل العالم الجليل الملتحي (اكتوبلازم واندوبلازم) يؤكد صحة العملية . ولا يسأل باقي المحاورين».**

الأخت العزيزة مقدمة البرنامج.

إما أن ما حدث تمثيلية سيئة الاخراج وهو شيء يدعو للأسف والأسى.

أو أنه حقيقة.

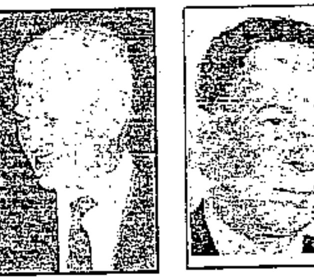
فإذا كان حقيقة، فانه من واجبك نحو وطنك.

١- التقدم للدكتور اسماعيل **سلام** وزير الصحة بورقة لانشاء قسم لاخراج العفاريت في الوزارة وأن يكون هذا القسم نواة لما يطلق عليه الآن اسم «الطب البديل».

٢- لما كانت العفاريت لا يمكن أن تختص بالمصريين فقط أو بالعرب فقط فلابد أنها منتشرة في جميع أنحاء العالم، ولهذا اقترح عليك التقدم بورقة عمل للدكتور **البلتاجي** وزير السياحة لانشاء «سياحة» العلاج باستخراج العفاريت وستكون مصدرا هاما، يتمشى مع تراثنا وتقاليدنا وعاداتنا ، للعملة الصعبة يعادل دخل قناة السويس.

٣- بما أنه من الممكن «استخراج **العفاريت» فلابد من أنه من الممكن تركيبهم ولهذا أطلب من السيدة المذيعة التقدم بورقة لوزارة الدفاع لانشاء» «سلاح تركيب العفاريت لمواجهة أسلحة الدمار الشامل التي تواجهنا من العدو الاسرائيلي»**. بل واقترح سرعة تنفيذ هذا الاقتراح قبل أن تلتفت الولايات المتحدة اليه وتستصدر قرارا من مجلس الأمن بحظره وباجراء تفتيشات عنه.

حرام.. حرام.. حرام.



د. اسماعيل سلام قسم لاخراج العفاريت في وزارة الصحة
د. ممدوح البلتاجي سياحة العلاج باستخراج العفاريت بالعملة الصعبة

رحيق السنين

الاقباط.. وهل تقوم سياسة الدولة على تشجيع العنف؟!

ترددت كثيرا قبل أن أدخل في معترك الحوار حول« **مشاكل الأقليات**» أو «**اضطهاد الاقباط**» أو «**الفتنة الطائفية**» .. وهي جميعا أجزاء من نسيج واحد له درجات مختلفة من الألوان. والسبب في ترددي هو ثقتني بأن **جميع هذه المشاكل هو حالة ذهنية يفتعلها مستغل(بكسر الغين) لتحويل صراع المستغلين(بفتح الغين) عنه إلى صراعات داخلية بين بعضهم البعض، وأن كثرة الحوارات حول الموضوع قد توفر أحيانا وقودا يزيد من حدة اشتعال هذه المشكلة المفتعلة.**

ولكن المشكلة عندنا قد اشتعلت فعلا، ووصلت إلى درجة لجوء بعض الأقباط في الخارج إلى ما يقرب من الخيانة الوطنية بطلب العون من قوى خارجية، هي في حقيقة الأمر المنتفع الرئيسي من الفتنة الطائفية بل وهي المسئولة على مدى التاريخ المعاصر الحديث عن اشتعال هذه الفتنة. **كما وصلت المشكلة أيضا إلى درجة زعم أحد قادة جماعة الاخوان المسلمين بأن الاقباط لا يؤمنون على الخدمة الوطنية وإلى وصفهم بأنهم«ذميين»** » وهي درجة أرقى من العبودية، ولكنها أقل من المواطنة .. ثم مطالبة من يزعمون بأنهم من «الأخوان المعتدلين» بأن تنشر الكنيسة القبطية بيانا تثبت به وطنيتها ، وكأن وطنية الكنيسة القبطية في حاجة إلى إثبات.

وتنبع ثقتي في أسباب اشتعال مشاكل «الفتنة الطائفية» إلى أسباب عديدة :**فهي أولا مشاكل لا توجد أسباب موضوعية لها تتسبب في الاشتعال الذاتي، بل هي دائما مشاكل مفتعلة** . والدليل على ذلك هو تنوع أسباب الفتنة : فقد تفتعل الأقلية على أساس عرقي . فالأفريقي الأمريكي هو أقلية حتى وإن كان أبيض اللون، وقد تفتعل على أساس ديني أو مذهبي مثل مشاكل الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندة ومثل مشاكل المسلمين في أوروبا والهند، فاذا فشل المنتفع في إيجاد أقلية عرقية أو دينية، فانه يفتعل أقلية من تأليفه وتلحينه مثل أقلية«**المنبوذين** The Untouchables في الهند، الذين كان يناط بهم أحط الأعمال بأقل الاجور في الهند.

ولعل **أسخف هذه الأقليات المفتعلة لخلق أزمات هو افتعال الأقلية القبطية في مصر**.

فبداية فإن كلمة «قبطي» تعني مصري وهي مستمدة من الاسم الأغريقي لمصر (gyp- Webster: Kyptios Ai tios) والجانب الأكبر من أهل مصر أصلا من الأقباط ولا توجد أي فروق عرقية بين الاقباط و باقي أهل مصر. وأقباط مصر يعيشون كما قال الدكتور **غالي شكري** -متعه الله بالصحة والعافية- كمصريين أقباط بثقافة مصرية / اسلامية، بل **وحتى فيما يتعلق بخصوصية الدين فان المسيحية القبطية تشابه الاسلام المصري** إذ يستمد المسلمون والمسيحيون عاداتهم وتقاليدهم في الميلاد والزواج والوفاة والحان مناجاة الخالق من أصول مصرية عاشت عبر القرون.

كل هذا واضح وجميل وسهل الفهم لمن يريد الفهم وينفي أسباب الاشتعال الذاتي، **ولكن ، وبكل أسف ، تمر مصر أحيانا بفترات انتكاس يسود فيها أصحاب المصالح المضادة الذين يحاولون اشتعال نيران الفتنة الطائفية** ليعيثوا في الأرض فسادا وليسلبوا الشعب رغبته في الدفاع عن مصالحه ، ولينهبوا ثروات البلاد وليتركوا فيها الفقر والخراب.

ويزرع هؤلاء الأشرار بذور الفتنة الخطرة في مصر في أماكن محددة وواضحة: في المدارس ، وفي بعض دور العبادة، وفي أجهزة الإعلام الرسمية ، وفي الكتب الصفراء المنتشرة. ولهذا فليس هناك حل جذري سهل لهذه المشكلة. ولكن صعوبة الحل لا ينبغي أن تحيدنا عن اتباع إلى طرق أخرى، فرحلة الألف ميل تبدأ بخطوة، ويجب على جميع المهتمين بشئون بلدهم الاتجاه إلى السلطات المختصة لاتخاذ اللازم نحو تصحيح الأوضاع، في المدارس بتعليم الصبية احترام الأديان المغايرة، وفي التلفزيون بتنظيم البرامج الدينية والبرامج الفنية والثقافية والاشراف عليها اشرافا جيدا لتساهم في زرع بذور المحبة والود بين أفراد الشعب الواحد.

والعجيب في الأمر أن مثيري الفتنة الطائفية هم في نفس الوقت الذين يزرعون بذور العنف والارهاب. ولهذا فان **موقف أجهزة الدولة من هذه القضية غير مفهوم إطلاقا ،هل من سياسة الدولة تشجيع نمو العنف والارهاب؟ هل تقوم وزارة التربية** والتعليم وأجهزة الاعلام بتربية الارهابيين **لتحصد بعضهم بعد ذلك وزارة الداخلية**؟ إن الحل الوحيد إذن لمنع الأيدي الخبيثة الأجنبية من زرع بذور الفتنة الطائفية والارهاب أيضا في مصرنا الحبيبة، هو في يد وزارة التعليم ووبزارة الاعلام وليس في يد وزارة الداخلية وأجهزة الأمن.

وقد بدأت مظاهر هذا «الشرخ» القومي تظهر في لغتنا ، فهناك مثلا الحديث عن«**التسامح**» وكأن صاحب دين ما يرتكب خطيئة تتطلب«التسامح» من صاحب الدين الآخر . ونحن نعلم جميعا أننا مسلمون وأقباط نعيش على ما ولدنا عليه وليس لأي منا خطيئة في هذا تتطلب تسامح الآخر.

ولعل أشد ما يؤلم في هذه القضية، إلى جانب ما صنعه أقباط المهجر، هو موقف بعض المثقفين الملتحفين بثوب الليبرالية والعقلانية. فمنهم مثلا من قبل بل وساعد على نشر سموم النظريات الأمريكية المعاصرة مثل **مقالات وكتب هانتجتن** التي تحاول أن تلغي كفاح الشعوب من أجل التحرر والتقدم وتحولها إلي صراع بين أديان وعرقيات مختلفة. أما أسخف ما يقال في هذا المجال فهو مطالبة بعض« المشتاقين» برفع عدد الوزراء الأقباط وتعيينات في مجلس الشعب. **فحكومة البشير والترابي تضم بين صفوفها بعض المسيحيين ولكن هذا لا يغير من حقيقة جهاز الحكم في السودان ، واذاعة ساعة ثقافية أو دراما جيدة أو انشاء مدرسة مستنيرة أكثر جدوى وأكبر قيمة من كل هذه المطالب المظهرية.**

والتخلص من خطر هذه الظاهرة العفنة واجب قومي يجب أن تتكاتف في استئصال جذوره قوى المصريين المخلصين لوطنهم عموما. والتخلف عن هذا الواجب هو خيانة لشعب مصر- مسلميه وأقباطه- وبدلا من الاستجابة لمؤامرات العدو «الصهيوني/ الأمريكي» يجب **على أقباط المهجر اذا أرادوا أن يخدموا بلدهم ودينهم وأهلهم أن يساهموا في تنمية مصر بإنشاء المصانع والمدارس والمتاحف والمعارض، وأن يردوا بذلك جميل أهلهم ووطنهم بدلا من هذا العبث الخطير الذي سيضر بالجميع.**

مداخلات

خطاب للأساتذة..

د. أحمد محمد صالح

إلى الأستاذة فريدة النقاش:

بداية أعتبر نفسي من المتابعين لكتابات الاستاذة **فريدة النقاش**، حيث تبهرني بقوة منطقها وساحات الأمل الكبيرة في المستقبل، وهي عندما تدخل معي في مداخلة فكرية أعتبر ذلك تقديرا كبيرا لي. وأعتذر أولا يا سيدتي عن المفاجأة التي سببتها لك، في زمن لا يحتمل أي مفاجآت، حيث الجزئيات اليومية السريعة والمتغيرة تجعلنا نتنبأ بالكثير، **وأخشى أن أكون لمست عندك وترا حساسا هو إيمانك الشديد بعروبة مصر والقومية العربية**، ومع كل الاحترام والتقدير لذلك، أعترف لك يا سيدتي أن إيماني بعروبة مصر وبالقومية العربية مهزوز ومشرد، رغم أنني أنتمي لجيل النكسة، وكنت أغني مع الصبية في مثل سني» **وحدة ما يغلبها غلاب**»، واحفظ كلمات **ناصر** عن القومية العربية، ولكن حين وعيت، وعرفت، وشاهدت وعايشت الواقع، اهتز تماما إيماني بالقومية العربية.

وأشكرك على تحفيز الوعي عندي بأنه ما زال يوجد من يدافع عن عروبة مصر والقومية العربية بكل هذا الحماس والمنطق. وأتفق معك بأن مقالي عن دول الخليج كانت تسود فيه العمومية والتعميم، وأتفق معك **أن الوقائع الجزئية سيطرت علي وانفعلت معها لدرجة التعميم والتغاضي عن الواقع الكلي، مع التسليم أن مجموع الواقع الكلي هو تلك الجزئيات التي وقفت عندها، والتي قلت عنها إنها تحدث وتتكرر في جميع انحاء العالم، ولكن عندما تحدث وتتكرر في أنحاء العالم تكون هناك مواجهة موضوعية بين أطرافها، ولا يحدث تجاوز عنها باسم القربة أو الاخوة.**

وأطمئنك يا سيدتي أنني لم أقصد نهائيا أن أكون في موقف الشوفينية، أو في موقف استعلاء مصري، أو استعدي المصريين على شعب ولكني ببساطة أعرض انطباعاتي وهواجسي لعلنا نفيد وطني ونبين أوهام الحلم الخليجي للشباب في مصر.

وعلى ذلك نحن لا نسخر من ثقافة شعب ولا ننقد طريقة حياة شعب، بل قدمت انطباعاتي عن تلك الثقافة مع كل الاحترام لها، ونقدت الجانب السلوكي منها الذي ينقص من ثقافة الشعوب الأخرى ويكفر طريقة حياتهم وانسانياتهم مستغلا حاجاتهم تحت إغراءات المال وشعارات الدين. لذلك كنت دائما استعرض جوانب عنجهية وعجرفة المال التي يتعامل بها بعض الخليجيين، **ونقدت منطق السيد والعبد السائد في تلك الثقافة، وبينت أن بلاد الخليج ليست البلاد الفاضلة التي تدعيها ويتوهمها المصريون البسطاء الواقعون تحت ضغط الحاجة، فهي مثل أي مجتمع فيها الخير وفيها الشر.**

وأتمنى يا سيدتي أن أكون مثلك وأستعيد إيماني بعروبة مصر والقومية العربية، على أن تكون على أساس الموضوعية وعقلانية المصالح، بدون عواطف وانفعالات مصطلحات مثل: الاخوة والأشقاء.

إلى الاستاذ الدكتور عبد العظيم أنيس:

أشكرك على مداخلتك مع مقالي عن دول الخليج، حيث شعرت فورا بأني في موقف تعليمي اكتسبت منه المزيد من الوعي، ومع كل الاحترام والتقدير لاعتراضك على تكرار الحديث حول ما يحدث للمصريين في دول الخليج، لكن يا سيدي **نحن لا نكرر الحديث، بل الحوادث هي التي تتكرر بنفس السيناريو، ونفس التجاوزات ويصحبها دائما نفس ردود الفعل الرسمية الصامتة أو الواهنة، نحن لا نلح يا سيدي بل الحوادث التي تحدث للمصريين هناك وهنا هي التي تلح وتتكرر، وتحفزنا على الاعتراض.** واتفق معك في أن ليس كل المصريين هناك ملائكة، وليس كل أهل الخليج شياطين. وإذا كان انحراف المصريين هناك يقابل فورا بالردع، ومن نفس المنطق نطالب دائما بالردع الفوري لأي انحراف خليجي على أرض مصر.

واعتراضك سيدي علي أن يكون هناك نظام بكفل الخليجيين في مصر بحجة انهم يأتون للسياحة وليس للعمل اعتراض مقنع، لكننا ننسى أن السياحة الدينية وخاصة رحلات العمرة والحج تخضع لاجراءات تشبه نظام الكفيل حيث لا يستطيع الزائر أن ينتقل من مكان إلى آخر إلا باذن خاص من الأجهزة المعنية بل وتسحب جوازات السفر وتسلم عند الخروج، ومع احترامي لجميع المبررات الأمنية هناك، نحن أيضا في مصر لنا مبرراتنا الأمنية التي تستوجب وجوب نظام يراقب سيارات السياح العرب على الأقل لحمايتهم من حوادث السرقة والنصب والابتزاز.

وقولك يا سيدي إن تكرار الكلام في هذا الموضوع يستهدف تصدع الجبهة العربية، أصابني بالحيرة الشديدة لأن المفروض أن الجبهة العربية تقوم على أساس المصالح الاستراتيجية والموضوعية لكل دولة، **فهل تتصور يا سيدي أن مجرد أحتجاجي كمواطن مهموم بالوطن على تكرار تلك الحوادث يصدع الجبهة العربية، وان تكرار تلك الحوادث نفسها والسكوت عنها لا يصدع تلك الجبهة العربية**، ولكني أسألك يا سيدي أين هي تلك الجبهة العربية؟!.



فريدة النقاش



د. عبد العظيم أنيس

على هامش حوار «أصدقاء اليسار»

الموقف الفكري لمجلة اليسار

د. حسن علام

في اجتماع «أصدقاء اليسار» في ١٢ أكتوبر الماضي، برزت ثلاثة محاور لاهتمام الأصدقاء: التمويل، وتدعيم جهاز التحرير، والخط الفكري للمجلة.

وأكد أكثر من متكلم أهمية ايضاح الموقف الفكري، والحرص على إبرازه وخدمته وصيانة مساره. وليس ذلك بالطبع تجميدا لاتجاه معين، أو منعا لنشر آراء متعارضة.

على العكس، فإن الحوار داخل نطاق المجلة مطلوب. وقد أعطى العدد التالي لذلك الاجتماع (عدد نوفمبر) نماذج مشجعة للحوار في سبيل إبراز الموقف المتوازن في شأن نقاط كثيرة. فتعرض الدكتور **عبد العظيم أنيس** في هذا الاتجاه إلى: الموقف من الاسلاميين المعتدلين- العلاقة بين الدول والشعوب العربية. الموقف من التنويريين الجدد ومدى التزامهم السياسي خارج قضايا المرأة وحرية الرأي المرتبطة بالليبرالية التقليدية، ليتسع للإنسانيات السياسية بما فيها مواجهة التسلط والعنصرية. وتعرضت الاستاذة **فريدة النقاش** لبيان التمايز بين فئات مختلفة في الشعوب العربية، ووجوب البعد عن التعميم في الحكم على سلوك شعب بأكمله من سلوك بعض أفراده أو فئاته (وهو ما ألاحظه شخصيا ويعمق فيما يتعلق بالمشكلة الجزائرية على وجه الخصوص، ولي فيه تعقيبات على ما أورده د. أنيس). وكذلك اتجاهها لتأكيد الصلة بين اللغة العربية والإسلام كعنصرين متكاملين في تراث المنطقة العربية.. ثم ما ورد في مداخلة **الدكتور محمد نعمان نوفل** بتعليق على مقال سابق للاستاذ **صلاح عيسى** ومقومات الحزب الفعال.

والحديث عن الحزب في مجلة اليسار يثير معنى صدور صحيفة باسم «اليسار» ضمن الجهد الاعلامي لحزب التجمع... ونستعيد في هذا تاريخ حزب التجمع عندما بدأت التعددية في نطاق الاتحاد الاشتراكي في شكل منابر: يمين، ووسط، ويسار، وكان منبر «اليسار» هو الأصل التاريخي لحزب التجمع عندما تحولت المنابر إلى أحزاب.

فهل كان «اليسار» في هذا المقام هو الاتجاه الاشتراكي أو الشيوعي أو الماركسي بالذات مثلا؟- الاجابة قطعا لا!».. وإنما كان تعبير «اليسار» يشير بالقطع إلى مجال أرحب وأكثر مرونة من أن ينحصر بايديولوجية محددة. بل إنه ينتشر في اتجاه تقدمي رحب، تتجمع فيه عناصر وطنية وإنسانية متعددة. ولعل كلمة الزميل الأستاذ **عبد العظيم المغربي في اجتماع أصدقاء** اليسار كانت تشير بقوة إلى مثل هذا المعنى **إذ جمع ما بين الشيوعيين ومعتدلي الاخوان المسلمين.**

وفي عودة إلى موضوع الموقف الفكري لمجلة اليسار، فإن مهمتها أن تجعل من معنى «اليسار» شيئا إيجابيا محببا تتجمع حوله فاعليات متنوعة تخدم عنصرا مشتركا بينها وتنشط في إطار يستطيع أن يجذب إلى تجمع الوطنيين ذوي الوعي والعزة- جيوشا من المتخاذلين والمترددين والمتأرجحين الذين تكمن في أعماقهم إيجابية حيرى تتلمس الطريق لبناء الوطن وترقية المجتمع الانساني، وإعطاء الفرص لكل ناشط ولكل محروم ذي كفاءة لكي يبرز كفاءته بشرف وتعاون مع غيره من الشرفاء في المجتمع دون طمع أو أنانية.. **حتى لا يكون الشرفاء مستضعفين في الأرض.. أو في المجتمع.**

فيشمل هذا الموقف الفكري النواحي الآتية التي أعرضها للمناقشة:

أ- الإنسانية السياسية التي تضع مصالح الجموع في المقام الأول، فلا تسمح باهدارها لمصلحة قلة أنانية مهما ادعت كفاءة نادرة في إدارة الأنشطة الإنتاجية أو الخدمية. وذلك دون أن يغرق هذا الاتجاه مسار التقدم العام في المجتمع في خضم المطالب العاجلة للجموع.. بل يفردها لتحقيق هذا التقدم العام تحت شعار **«مصلحة المجموع من منظور مصلحة الجموع».**

٢- كرامة الإنسان، وكرامة الوطن- من خلالها تتحقق مصلحة الجموع مع الايمان بأن تفاعل الخصوصيات الوطنية والثقافية في مجال أي ظاهرة عالمية هو عنصر ايجابي يعطي معنى أعمق وقيمة أكبر «للعولمة» في ظل ثورة الاتصالات على نحو ما يعطي تفاعل الآراء والمواقف الفردية ثراء أكبر للحياة السياسية والاجتماعية داخل الوطن الواحد، سواء في الديمقراطية الغربية أو غيرها.

٣- إعطاء العلم والتقدم العلمي تبعتهما في تحديد الخط السياسي لمصلحة الجموع وكرامة الإنسان والوطن، والتحرر في ذلك من القيود التقليدية التي تكبل النشاط السياسي أو المواقف السياسية، سواء نبعت من التعصب الفكري أو الديني أو الأيديولوجي.

٤- الدفاع عن الحريات العامة والحقوق البشرية- ابتداء من حرية الرأي حتى حرية الاجتماع والتظاهر والإضراب، ومرورا بتكافؤ الفرص في التعليم والعمل وغيرهما.

٥- محاربة العنصرية والتسلط والهيمنة. ونخص فيما يتعلق بمنطقتنا العربية، إفشال المشروع الصهيوني باعتباره مشروعا عنصريا يستند إلى الأنانية والتسلط والارهاب وجرائم إبادة أجناس بشرية.

٦- استكشاف وتدعيم المجالات الحيوية للبلاد العربية فيما بينها وفي الاتجاهات الأفريقية والاسلامية واللاتينية- للتحرر من التسلط والهيمنة، وذلك في إطار تقدمي لخير الإنسانية.

**

ليس هذا برنامج حزب أو خطة نشاط. ولكنها خواطر تحركت على أصداء اجتماع أصدقاء اليسار- بشكر للاستاذ رئيس التحرير نشرها على علاتها لعلها تفتح حوارا أتوقع فيه كثيرا من النقد وتعديل نقاط التركيز. ولكن تمحيص معنى اليسار هو الهدف لكي يقدم في صورة محببة إلى الجموع التي يخدمها، ولكي لا يكون لما نحترمه من معنى «اليمين» و «أهل اليمين» في التراث الإسلامي أثر سلبي في تشويش معنى «اليسار» في المواقف السياسية والاجتماعية.

نريد من المجلة «يسارا» محببا، إيجابيا، متفائلا لا يكتفي باجترار ذكريات الماضي أو آلام الحاضر، بل ينظر إلى المستقبل بايمان وثقة في العدالة الأبدية.. ويرسم طريقها في رحاب الإنسانية.

مداخلات

رد على مشاغبات «صلاح عيسى»

ورؤيـــة مـــن داخـــل جـــيل السبعينات

يبدأ الاستاذ صلاح عيسى مقاله «حزب السبعينيين» باندهاشه الشديد من تفكير قادة الحركة الطلابية الوطنية- إبان السبعينيات- في تشكيل حزب سياسي شرعي!!

فهو لا يرى مبرراً واضحاً ، أو دافعاً مقبولا لذلك!!.. وبعد أن يجهد نفسه كثيرا حول هذه الفكرة يقول: «أما وهم من الماركسيين السبعينيين، فمن حقنا ، باعتبارنا من الماركسيين الستينيين، أن نتوقف لنسألهم عن الدافع الرئيسي لحركتهم . هل هو سياسي.. أم تنظيمي؟ . وكان أولى بالاستاذ صلاح منذ البداية ، ورحمة بنا والقراء أن يبدأ مقاله مباشرة ، بالسؤال عن ذلك الدافع لحركتهم؟ ومن ثم ينأى بنا عن مصادر معلوماته الغريبة، وتخميناته القطعية غير المصيبة.. وحتى لا ينساق وراء أسئلة وهمية لم يطرحها أي أحد ممن يقصدهم ، ثم يعطى لنفسه الحق بتخطئتهم مرتاح الضمير، ومثال تلك التخمينات الظنية . أننا أعلنا نجاة «مشروع تأسيس حزب السبعينيين» الذي يقوم على «المجايلة» على حد تعبيره ، أي حزب يقوم على فكرة جيل معين.

والصحيح الذي لا يعلمه الكاتب. أنه لم يجل بخاطر أي منا تلك الفكرة العنصرية!! وهي في الحقيقة تعكس منهج الكاتب الشكلي، الذي نربأ عنه، ونربأ بأنفسنا أن ندخل في نقاش جدي حول تلك الفكرة. حيث لا حياة لحزب يقوم على فكرة الجيل أصلا.

وبنفس طريقته الظنية، ينتقل الكاتب بخفة شديدة لفكرته التالية، إذ يقول «فكروا» أي السبعينيون- في مواصلة اللقاء لتحقيق هدف أرقى، وهو القيام بعمل جماعي مشترك. وبناء حزب سياسي شرعي يتسع لكل القوى الديمقراطية والتقدمية والوطنية، يواصل تجربة السبعينيين في النضال ضد الهيمنة الأمريكية والصهيونية ، وضد الفساد والارهاب الديني ،ومع الاستقلال والتنمية .. ثم يعقبها برأي المعارضين لهذه الفكرة من الذين «يشككون في اهدافها «وفي دوافع الذين يتزعمونها» ،باعتبار ان فريقاً منهم تحولوا إلى رجال أعمال ينتمون إلى الطبقة الرأسمالية السائدة في بلادنا الآن، ويعملون لحسابها. وبالنتيجة سيوظفون هذا الحزب السبعيني لصالح اهدافهم ومصالح طبقتهم.

لمصلحة من هذه الطريقة (..) في الكتابة أيها الاستاذ ؟!!

فبعد أن تتحدث عن أهداف «السبعينيين» النبيلة ، وسعيهم لبناء حزب شرعي يتسع للقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية، تناضل من أجل تلك الأهداف ، تستعرض رأى المعارضين المغرضين، والقائمين على تشويه الفكرة، ومن يسعون لتحقيقها!!.

هلا سألت نفسك ، ألن يترك أسلوبك الشكلي هذا، ظلا غير مريح على موقفك في الفقرة التالية من مقالك.. وليس من حقنا كذلك أن نحكم عليهم- يقصد السبعينيين- انطلاقا من نوايا نفترضها . إذ مناط الحكم هو البرنامج السياسي الذي يطرحونه ، ومدى استجابته لحاجة سياسية قائمة، ومدى قدرتهم .. على الحركة بشكل كفيل بحشد الناس حول هذا البرنامج».

أما كان أجدر بك ككاتب وطني من ماركسي «الستينات أن تعتمد هذه الفكرة المبدئية نبراسا لمقالك منذ البداية ،حتى يحمد لك ، بدلا من أن يحسب عليك هذا الاسلوب الظني الكريه في الكتابة، ومن ثم تصبح دعوتك التي أنهيت بها المقال ، تتسم بالسماحة والكرم فعلا، والسعي للحقيقة، بعيدا عن المرجفين والحاقدين، من أجل مصلحة الوطن.

وبرغم كل ما أحاطه بدعوتكم . سنأخذها مأخذ الجد، شريطة أن تتسع صدوركم وصفحات مجلة «اليسار» لحوارنا.

جمال عبد الفتاح

ولتكن البداية أهم ما جاء في مقال الكاتب « هل يرى السبعينيون أن الشعارات السياسية التي يسعون لتأسيس حزب يعمل على تحقيقها ليست مطروحة لدى غيرهم من الاحزاب اليسارية».. «وهل يمكن القول بأن شعارات مثل مقاومة الهيمنة الأمريكية الصهيونية- والسعي نحو استقلال الارادة الوطنية والتنمية .. الخ، وهي التي أعلن السبعينيون انها شعارات حزبهم ليست متضمنة في برنامج أي حزب من الاحزاب القائمة؟ فيكون التمايز السياسي هو دافعهم للاعلان عن حزبهم».

وكي يتضح الفارق والتمايز السياسي بين ما يطرحه «السبعينيون» وغيرهم من القوى السياسية اليسارية وغيرها ، وأن القضية ليست مجرد شعارات واحدة أو متشابهة كما يتصورها الكاتب.. سنحاول أن نشتبك مع عدد من القضايا التي يفرضها الواقع الراهن في بلادنا والعالم، والتي ستشكل في مجملها رؤية تتحلى بروح العلم ولا تزعم لنفسها الحقيقة المطلقة، وتدعوا الجميع للمساهمة في تصويبها وإنضاجها.

الاستقلال الوطني وتحديات التنمية في عالم اليوم

ولنبدأ النقاش من حقيقة يعرفها الجميع، أن الاستقلال الوطني والتنمية كأي ظاهرة تاريخية تحددها الظروف والقوانين الموضوعية العالمية التي تتشكل في إطارها وكذلك أوضاع التشكيلة الاقتصادية السياسية، وعلاقات القوى الاجتماعية في بلادنا والبلاد المشابهة..

فباتساع العالم يمر النظام الرأسمالي بمرحلة متقدمة من مراحل تطوره ، تتميز بمعدل عال الوتيرة من تطور قوى الانتاج لم تشهده البشرية من قبل، ولقد أدى هذا التطور المذهل إلى زيادة التراكم الرأسمالي ، وكثافة المعلومات . لتتشكل فيما رافعة مخيفة لذلك التطور في بلدان المراكز الرأسمالية

العالمية على حساب تطور باقي بلدان العالم وتحقيق مزيد من وحدة العالم على أساس آليات السوق الرأسمالي. والنتيجة تعميق الطابع العالمي للرأسمالية أكثر من أي وقت سابق، ومزيد من الاستقطاب داخل الظاهرة على مستوياتها المختلفة.

إن التطور الهائل في قوى الانتاج بالغرب الرأسمالي دفع إلى مزيد من الاستقطاب الاجتماعي الداخلي، في شكل بطالة متزايدة، وتهميش قطاعات واسعة من السكان، ومزيد من تدهور أوضاع العمال والفئات المتوسطة. وعلى الضفة الأخرى اتسع جيش العمل الاحتياطي والفقر المدقع في البلدان المتخلفة.

كما أن تفاقم التطور الظالم لتقسيم العمل الدولي استمر يعمل على تركيز أغلب النشاط الانتاجي في عدد محدود من الدول الرأسمالية المتقدمة في غرب أوروبا وأمريكا واليابان وكندا، وإلى انحسار آخر، مما دفع بقانون التطور اللامتكافئ، والتبادل اللامتكافئ إلى أقصى مداه، داخل الظاهرة الرأسمالية العالمية.

وبالنتيجة أصبحت دول ما يسمى **«بالعالم الثالث»**، وهي تضم ٣/٤ البشرية، إجمالي دخلها لا يتجاوز ٢٠٪ من الدخل العالمي. وانتاجها الصناعي لا يتجاوز ١٠٪ من الانتاج الصناعي العالمي، وحتى **هذه النسبة المتدنية تنحصر في عدد محدود من دول النمور الآسيوية، والبرازيل والمكسيك وجنوب أفريقيا تقريبا.** بالاضافة إلى العديد من السمات والمؤشرات الاقتصادية، التي تكرس هذا الوضع الكارثة، ولا يتسع المجال لذكرها، كما في مجال ديون البلدان المتخلفة، وحجم الاستثمارات الأجنبية الوافدة إليها، والتي تؤكد الاحصائيات أن حجم الأرباح العائدة للدول الأم سنويا تتجاوز ضعف الاستثمارات الوافدة إليها، ناهيك عن شروط تلك الاستثمارات المجحفة.. الخ.. الخ.

وفي ظل التكتلات الاقتصادية وتقسيم العمل الدولي الراهن، أحست مئات من الشركات العابرة للقوميات تستأثر بمجمل قرارات العملية الانتاجية على مستوى العالم. ابتداء من حركة تدفق رأس المال والمضاربات.. إلى حركة التجارة العالمية، مستخدمة المؤسسات الدولية مثل« صندوق النقد، والبنك الدولي، وبنك التعمير، واتفاقيات الجات.. إلخ). من أجل مزيد من الأرباح، ومزيد من السيطرة على مقدرات الكرة الأرضية وإجهاض إمكانيات أي نمو حقيقي في البلدان الشبيهة لبلادنا، وإضافة مزيد من العقبات أمام أي استقلال وطني وتنمية حقيقية.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي، وبلدان أوروبا الشرقية، وانتفاء تناقضهم السابق مع مراكز الرأسمالية العالمية، وسقوط معظم تجارب «الاستقلال والتحرر الوطني» فيما يسمى بالعالم الثالث إلي هاوية التخلف ومزيد من التبعية انفتح الطريق أمام **ظهور خريطة جديدة للصراع الاجتماعي على المستوى العالمي.**

فبعد أن تراجعت ظاهرة الحروب الاستعمارية كتعبير عنيف للتناقضات الحادة بين الدول الامبريالية من أجل اعادة تقسيم الأسواق، وثروات بلدان العالم الثالث، وحل مكانها المنافسة الشديدة بين الشركات العابرة الكبرى، مستخدمة دولها القومية كأدوات لتلك الحروب الاقتصادية الشرسة، فيما بينها لتحقيق مصالحها على مستوى العالم.. **وكانت النتيجة مزيد من تعميق الفوضى السياسية والاقتصادية على نحو أكثر همجية واشتعال الحروب الاثنية والقبلية والدينية في بلدان كثيرة من العالم الثالث** كما تفاقم **الاستقطاب الاجتماعي** داخل بلدان الغرب الاستعماري، متزايد البطالة وانخفضت الأجور الحقيقية للطبقات العاملة والفئات الوسطى، مقارنة بفترات سابقة برغم النمو الاقتصادي القائم على التقدم المذهل للعلم، والتكنولوجيا العالية، كثيفة المعلومات.

وبدأت الطبقات العاملة في مراكز الرأسمالية العالمية تدفع ضريبة انجرارها وراء برجوازياتها القومية في الفترات السابقة، والتي تحسنت فيها أوضاعها المعيشية من حساب نهب شعوب البلدان الفقيرة. وأصبحت انجازات نضالاتها عبر عشرات السنين مهددة بالضياع، كالضمان الاجتماعي والمعاشات، والتأمين الصحي.. إلخ وأصابتها أمراض التفتت والتمزق وفقدان الرؤية الصحيحة في لحظة هي أحوج ما تكون إلى الوحدة والأممية دفاعا عن مصالحها ومستقبلها، خاصة بعد أن وجدت الشركات العابرة للقوميات أسواق العالم كما لم يحدث من قبل.

لقد أصبح الصراع الاجتماعي بالضرورة عالميا كما لم يحدث من قبل، رأسماليات الغرب، والطبقات المحلية السائدة في بلدان المستوى الثاني والثالث والرابع من تطور الظاهرة الرأسمالية العالمية من جهة، وشعوب البلدان المتخلفة والطبقات العاملة والفئات الوسطى في البلدان المتقدمة في الجهة الأخرى، وهذا لا يلغي وجود التناقضات والتنافس الشديد بين الشركات العابرة الكبرى والطبقات البرجوازية في بلدان المراكز الرأسمالية، ولكن هذه التناقضات محكومة بعالمية الصراع الطبقي وعلاقات القوى وإمكانيات تطورها داخل هذه الظاهرة.

إن تاريخ الجنس البشري في اللحظة الراهنة ينفتح أمامه أكثر من احتمال أما الكارثة وتدمير الأرض بمن عليها. نتيجة لتدمير الرأسمالية العالمية للبيئة والموارد الطبيعية برغم الانجازات الرائعة للحضارة الرأسمالية في مجالات العلم والثقافة وقوى الانتاج. وإما أن تستطيع قوى التقدم والاستنارة وشعوب العالم عبر النضال الأممي طويل النفس وقف الزحف الرأسمالي العالمي التدميري للحضارة الإنسانية طوال تاريخها لصالح التقدم والتحرر الانساني من الاستلاب ونفس المجتمع الرأسمالي المستقل.

وبعد محاولتنا تلك لابراز السمات الأساسية للنظام الرأسمالي العالمي، وهي تعكس في تقديرنا طبيعة الظروف الصعبة المحيطة بقضية الاستقلال الوطني والتنمية لبلادنا والبلاد الشبيهة. علينا أن ننتقل لمناقشة أوضاع بلادنا الاقتصادية الاجتماعية والسياسية الراهنة، والطريق لانجاز استقلالنا الوطني والتنمية.

بنظرة سريعة للوقائع الأساسية الصادمة، نجد أن بلادنا تدخل القرن الحادي والعشرين، وشبه جزيرة سيناء تخضع للاحتلال، وسيادتنا الوطنية منتقصة طبقا لاتفاقيات كامب ديفيد، واقتصادنا القومي يعاني من التخلف والتبعية، والديون وبرامج التكيف الهيكلي المميتة تستنزف أغلب الفائض الاجتماعي، وتدفع بالملايين الواسعة من شعبنا إلى هوة البطالة والفقر المدقع، دون أدنى ضمانات اجتماعية، والحرمان من حق التعليم والعلاج، وأبسط حقوق الحياة. وأصبحت ثقافتنا الوطنية ممزقة بين الثقافة الاستعمارية الوافدة، والثقافة السلفية المتخلفة، لتكتمل الصورة القاتمة بأزمة الهوية، والانتماء، والحلول الفردية، و«ديمقراطية» الحكم تمسك بخناق الجميع، في ظل مناخ مدمر من الفساد والارهاب.

ولكي نتبين الطريق الذي سلكته قضية الاستقلال الوطني لابد من متابعة العلامات البارزة من تاريخ بلادنا الحديث، وكيف صارت إلى الأزمة المجتمعية الراهنة.

لقد تكالبت الامبراطوريات الاستعمارية القديمة لضرب تجربة التحديث الاقتصادي-الاجتماعي التي بدأت في بلادنا مع تولي محمد على الحكم وربطت بلادنا بالسوق

الرأسمالي العالمي منذ منتصف القرن الماضي، واحكمت قبضتها على البلاد، بالاحتلال العسكري عام ١٨٨٢، وضربت امكانيات النمو الرأسمالي، واستنزفت الفائض الاجتماعي في الزراعة ونزحته إلى الخارج. وبذلك وضعت مزيداً من العقبات أمام امتلاك الرأسمالية المحلية لمصادر التراكم الرأسمالي، كتلك التي توفرت لرأسماليات الغرب الاستعماري في مراحل تطورها الأولى عن طريق التجارة الخارجية. ولقد أدى ضعف التراكمات الأولية إلى انخفاض قدرة الرأسمالية المحلية على خلق وتطوير القطاع الاقتصادي التقليدي، وحل مشكلة العمالة وجذبه للجزء الرئيسي من سكان الريف إلى الانتاج الصناعي الحديث، ومن ثم خلق سوق داخلية واسعة تدفع التطور الرأسمالي إلى الأمام، وتخلق امكانيات الاصلاحات الاجتماعية.

ومع هذه النشأة المشوهة والتابعة للرأسمالية المصرية، تزايد الطابع غير الانتاجي للبرجوازية المحلية، وارتبطت مصالحها بمصالح الرأسمالية العالمية على حساب مصالح مجمل الوطن والتطور الاقتصادي -الاجتماعي ،وغلب عليها الطابع الطفيلي.

والأوضاع هذه، جاءت سلطة يوليو ٥٢ إلى الحكم دون برنامج واضح في قضية الاستقلال الوطني والتنمية. وشعارها القضاء على الاستعمار، لم يكن يعني أكثر من طرد الاحتلال الانجليزي عن البلاد. ولم يكن هناك أدنى تفكير في تلك الارتباط مع السوق الرأسمالي العالمي، منذ البداية على عكس ما حدث في الصين والهند في نفس الفترة تقريبا، وأدى إلى نتائج مختلفة الآن. فلقد قبلت سلطة يوليو بمشروع النقطة الرابعة الأمريكية، وسمحت لأصحاب رؤوس الأموال الأجنبية أن يمتلكوا أغلب أسهم الشركات المساهمة التي تنشأ في بلادنا وأعطتهم الحق في تصدير الأرباح ،وإعادة تصدير رؤوس الأموال بعد فترة .كل ذلك أملا في اجتذاب رؤوس الأموال الأمريكية والأجنبية للاستثمار في بلادنا. ولكنها أحجمت وخاصة الأمريكية منها، ثم توقفت تماماً للضغط على سلطة يوليو بقبول الدخول في الاحلاف العسكرية.. **فاضطرت سلطة يوليو للخروج على محاولات اخضاعها الكامل للهيمنة الأمريكية، ورفضت الاحلاف ،وكسرت احتكار السلاح، واتجهت للاستفادة من التناقض العالمي بين الاستعمار الغربي، والاتحاد السوفيتي في تلك الفترة من أجل اقامة بعض المشاريع الكبرى مثل السد العالي. وتمصير العديد من الشركات الأجنبية وفي مقدمتها شركة قناة السويس.** «ومن ثم أخذت التحولات الاقتصادية تعتمد الدولة كأداة رئيسية في العملية الإنتاجية، وإعادة توظيف الفائض الاجتماعي من جديد.. وكان هذا النمط ذا طابع أكثر انتاجية، وأكثر صراعية مع رأس المال الأجنبي، وبالتالي كان الطابع الوطني بارزاً. لكن الأمر على مستوى المحتوى الجوهري لم يكن بعد كونه تطويراً لقوى رأس المال المحلي. والسبب الأساسي لفشل هذه التجربة أنها لم تكن محاولة للخروج عن النظام الرأسمالي العالمي تماماً».

كما أن نظام الحكم الناصري قام على الشكل الديكتاتوري الفردي، فاستبعد الجماهير الشعبية منذ الرهلة الأولى عن المشاركة في بناء «الاستقلال الوطني وعملية التنمية» بضرب كافة الأشكال الديمقراطية من أحزاب ونقابات وروابط من مما أضعف فاعلية القوى الوطنية والشعبية. واستمد شرعيته من الدولة الاستبدادية. وهذا حدد الفئات الاجتماعية التي تقود «عملية النمو» الرأسمالي وفق تصوراتها ومصالحها ،وكانت النتيجة أن حصاد هذه الفترة وقع بالكامل في قسم الطبقات الغنية أي أن مشاريع التنمية الرأسمالية منذ البداية، وإبان الفترة الناصرية ارتبطت بمصالح البرجوازية القومية في إطار تطور الرأسمالية العالمية، وفرضها تقسيم دولي للعمل يفرض على الرأسماليات المتخلفة إليه إعادة انتاج التخلف.

ولذلك كان من السهل مع هزيمة ١٩٦٧، أن لا تصمد تلك الخطوات المحدودة من النمو الرأسمالي على طريق الاستقلال الوطني، بل والارتداد عليها.. وينفتح الطريق واسعا أمام سياسات الانفتاح المدمرة على الغرب الاستعماري. فتتخلى الدولة عن دورها الانتاجي، وتتفاقم الديون الخارجية والمحلية، وتتسع الهوة الانتاج والاستهلاك، وبين الصادرات والواردات. ويتوحش غول التضخم، في الوقت الذي تنكمش فيه بشدة الدخول الحقيقية لغالبية الشعب الساحقة، ابتداء من الفئات الوسطى إلى من هم أدنى السلم الاجتماعي من عمال وفلاحين ومهمشين» **وخلاصة القول أن حظ بلادنا التاريخي من التطور الرأسمالي، ومحاولة انجاز الاستقلال الوطني هو التخلف ومزيد من الإرتباط والتبعية للرأسمالية العالمية ومزيد من الأزمات الطاحنة».**

ولقد برهن واقع بلادنا على مدى تاريخها الحديث أن الأسباب الموضوعية للتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي تتحمل مسئوليته أنظمة الحكم المتعاقبة بما فيها الناصرية ومشروعها القومي.

فمحاولات «التنمية» ارتبطت دائما بالرأسمالية القومية، وظروف نشأتها، وتطورها ،ومصالحها، وأشكال الحكم الديكتاتوري القائمة على اغتصاب السلطة منذ عصر محمد علي، واستبعاد الجماهير الشعبية من أي مشاركة حقيقية، سواء قبل ١٩٥٢ أو بعدها، حتى في أشد لحظات المقاومة ضد الاستعمار تفجراً في ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣.

ومع التطور العاصف للرأسمالية العالمية أضحت «امكانية استنساخ» الطريق الغربي للرأسمالية في البلدان المتخلفة -ومنها بلادنا- مستبعداً، لان طابع ومستوى قوى الإنتاج في الوقت الراهن قد تعرض لتغييرات جوهرية استيعابها بأساليب الرأسمالية المتقدمة غير ممكن». «وبغض النظر عن مختلف الاحتمالات المتنوعة الممكنة لتطور الرأسمالية في بلدان العالم الثالث فان خصوصيتها المميزة هو الانتقال المتسارع- مقارنة بالغرب- للمراحل الختامية للرأسمالية كنظام يقوم على تبديد الموارد، وتبديد الفائض الاجتماعي، وتدمير البيئة والاستهلاك الترفي والسفيه».

ومن ثم يصبح إنجاز الاستقلال الوطني والتنمية في المرحلة الراهنة من عالمية الانتاج، وعالمية الصراع، لن يتحقق بمجرد الارتباط عن الرأسمالية العالمية. فلقد أصبح له **بعد عالمي يقضي باقامة تحالفات اممية بين شعوب البلدان المتخلفة، وبينها وبين الطبقات العاملة والفئات الوسطى في بلدان الرأسمالية.**

وبذلك يصبح تصور الخروج الجماعي لشعوب البلدان المتخلفة هو الطريق الممكن، والذي يراهن على عوامل قوة حقيقية لدى هذه البلدان.

إن بناء التحالفات الأممية لشعوبنا ينبغي أن تنطلق من مبدأ الاعتماد على الذات والتضامن فيما بينها من خلال عناصر القوة داخلها سواء بشرية، أو ثروات طبيعية وهي كثيرة، ومن خلال حركة رؤوس الأموال والتكنولوجيا والعلم والتجارة فيما بينها ،وفي مواجهة الرأسمالية العالمية.

الموضوع القادم: طريق الخروج من الأزمة المجتمعية

فن

تأملات حول فيلم المصير ليوسف شاهين (٣)

أحمد يوسف



لماذا ضل «رجل لكل العصور».. الطريق إلى المصير؟!

حتى وقت قريب، كانت أفلام **يوسف شاهين** تعكس قدراً هائلا من الطرح الفني الذي كان يلخصه دائماً- على لسان شخصيات أفلامه تارة، وتارة أخرى في أحاديثه الصحفية والتلفزيونية -في تكراره لمقولة أنه ليس «سلطانياً» يحكي الحواديت التي يكون للمتفرج خلالها، أن «يقزقز» اللب»، أو حتى أن يهتم بمغازلة فتاته التي يصحبها إلى ظلام قاعة العرض أكثر من اهتمامه بما يراه على الشاشة! (هذا ما يقوله يوسف شاهين بالحرف الواحد). لذلك لم يكن غريباً أن تحتشد معظم أفلامه بنوع من الغموض الفني شديد التعقيد، الذي كان يجعلها بعيدة عن وجدان المشاهدين بقدر ما كان يتيح للناقد -جادا كان أو متحذلقاً- أن يستعرض عضلاته النقدية في حل ألغاز هذه الأفلام وفك شفرتها، بل ربما وصل الحال بالبعض إلى استخراج دلالات -أصيلة أو متعسفة- قد لا يكون **يوسف شاهين** نفسه يقصدها على مستوى الوعي. وإن كانت مستقرة على نحو أو آخر في أعماق لا [illegible]

كانت تلك هي الأيام التي احتشدت السينما العالمية فيها بتيارات فنية متصارعة، يغلب عليها التمرد أو الثورة على السينما الهوليودية، حتى داخل هوليود ذاتها. كما كانت الساحة السياسية في العالم ما تزال تتصارع فيها الأفكار والأيديولوجيات على نحو كان يمنح بعض الأمل في قلوب وعقول الحالمين والساعين إلى تحقيق مستقبل أكثر جمالا وعدلاً.

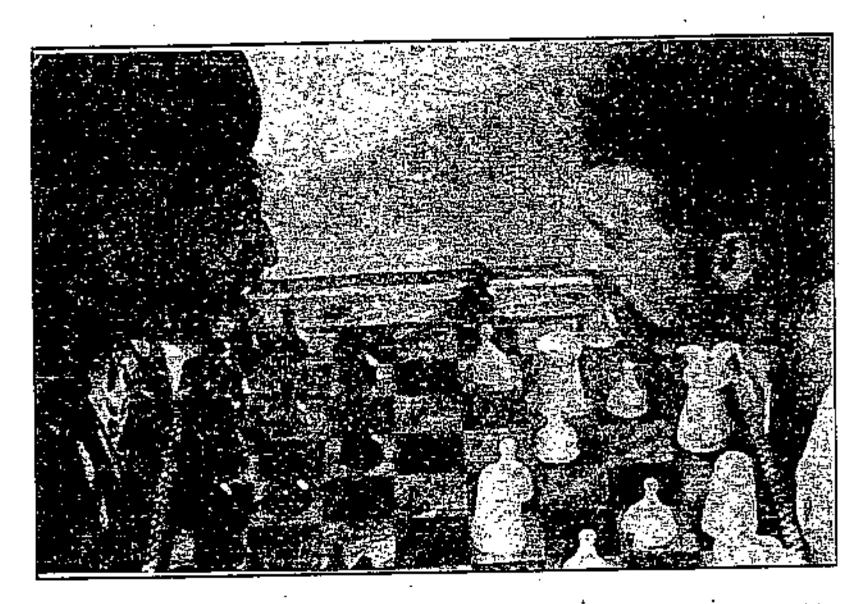
اليوم «يبدو» أن الستار قد أسدل على هذا المشهد القديم، ويبدأ فصل جديد تسود فيه مفاهيم يختلط فيها الصواب والخطأ بقدر غير قليل من الالتباس، فلا ندري إن كانت هذه المفاهيم هي حقاً من إنجازات الفكر البشري الحر في عصر يشهد تحولات جذرية عميقة، أم أن الأيدي الخفية تعمل عملها لكي تصوغ هذه المفاهيم من أجل أهداف بعينها، بدءاً من «**العولمة**» وحتى «**الشرق الأوسط الجديد**». لكن المأساة الحقيقية تكمن في أن الداعين إلى مثل هذه المفاهيم- أياً كان [illegible] في الأفلام [illegible] أو الثورة

العالمية الجديدة» ما تزال بهذا أحياء، تزداد ثراء وأخرى تزداد فقراً، وأن «الشرق الأوسط الجديد» **يحمل في طياته بذوراً خبيثة لزرع كيان عنصري استيطاني**. إن لم تتم مواجهته بأكبر قدر من الوعي فسوف يضرب بجذوره ليحول المنطقة كلها إلى «كانتونات» منعزلة يحكمها الصراع الطائفي القائم على إبراز عوامل التفرقة وتغذيتها، بدلاً من البحث عن الجذور الأصيلة العميقة التي توحد ماضي وحاضر ومستقبل الوطن العربي.

إن بدا لك أننا قد ابتعدنا كثيراً أو قليلاً عن **يوسف شاهين** وفيلمه **«المصير»**، فإنني أحاول معك أن نرصد ذلك التحول الذي حدث في أفلام يوسف شاهين الأخيرة (مثل **«المهاجر»** و **«المصير»** على نحو خاص)، التي لا نستطيع أن ننكر أنها تحاول -بقدر متفاوت من النجاح- أن تكون قريبة إلى المتفرج العادي عندما تخلت عامدة عن عنصر التعقيد الاسلوبي وغموضه، بل اتجهت أيضاً إلى «حكاية الحواديت» بشكل أو بآخر، ولم يكن غريباً في هذا السياق أن يظهر **يوسف شاهين** وكأنه «اكتشف» عنصر «المتعة» في العمل الفني، حتى أنه يمكنك أن تلخص الأمر في أن الفنان أراد **أن يكسب أرضاً جديدة من الاعجاب الجماهيري والنجاح التجاري، لكن الثمن الذي دفعه في مقابل ذلك هو أنه تخلى عن قدر لا يستهان به من ثورية الشكل والمضمون**، جعله يلقى بنفسه أخيراً في أحضان الشكل الهوليودي التقليدي، في فترة تخلت فيها هوليود ذاتها عن أية رغبة في التمرد على تقاليدها، وهو التمرد الذي كانت تبرره- خلال الستينات والسبعينات- المنافسة القوية التي تلقاها هوليوود من تيارات سينمائية جارفة تأتي من بلاد الشرق أو بلاد العالم الثالث على السواء، لكن ما حاجتها إلى ادعاء أو تبني هذا التمرد اليوم وقد فرضت سيطرتها الفنية والفكرية والسياسية على أسواق السينما في العالم كله؟!

مأزق السينما الهوليوودية

نقول إن **يوسف شاهين** انتهى إلى الوقوع في مأزق السينما الهوليودية، وإن كان الأدق أن نقول إن تلك النزعة كانت موجودة دائما في الأعماق الخفية من أفلامه وفكره السينمائي. (ولنتذكر أن **يوسف شاهين لم** يفكر يوماً في صنع «سينما فقيرة» على غرار سينما أمريكا اللاتينية، ولم يحاول أبداً أن يحطم نظم الانتاج والعرض التقليدية كما تعرفها هوليود وتفرضها، ناهيك عن ولعه الدائم بسينما تميل إلى الابهار عن طريق تنفيذ المشاهد الضخمة، وهو وجد تربة تلتبس



بالظهور في أفلامه التي أطلق عليها «تاريخية»). ولكي أكون منصفاً فإنه ليس هناك أي خطأ أو خطيئة في أن يحلم الفنان بانجاز عمل سينمائي من نوع الانتاج الضخم، على نحو ما فعله- على سبيل المثال المخرج الجزائري «**الأخضر حامينا** في فيلمه الملحمي» **وقائع سنوات الجمر**» لكن الخطر- ولا نقول الخطأ- هو أن يفرض هذا الشكل الهوليوودي بالضرورة مفاهيم ومعايير جاهزة لما يعنيه العمل السينمائي الناجح، أو أنماطا تقليدية للشخصيات والتطور الدرامي. (مرة أخرى، أرجو ألا يفهم القارئ أننا نقف موقفاً مسبقا رافضا كل الرفض للانتاج السينمائي الضخم، لكن المحك الرئيسي في ذلك كله هو «القصد الفني» وما يحققه من إنجاز، ولك أن تتأمل الفيلم الأمريكي شديد الضخامة **لفرانسيس فورد كوبولا** «**يوم القيامة الآن**»، الذي يبدو في ظاهره وكأنه يدور عن حرب فيتنام، لتقارن به بكل أفلام حرب فيتنام الأخرى، فهو في اقتباسه الفضفاض لرواية جوزيف كونراد «**قلب الظلام**» إنما يدور في جوهره عن الحضارة الغربية التي وصلت إلى أحلك لحظاتها ظلمة وظلماً، بأسلوب فني بعيد كل البعد عن النزعة التقريرية المباشرة، ولتقارن أيضا كيف أنجز **كوبولا** بعد ذلك فيلماً قليل التكاليف إلى حد يثير الدهشة هو «**المحادثة**» ليكشف عن وجه آخر من استلاب وحصار الانسان في المجتمع الأمريكي المعاصر).

ولا أخفي على القارئ شعوراً كان ينتاب كاتب هذه السطور وهو يشاهد فيلم «**المصير**» أنه أمام فيلم هوليوودي متواضع من نوع الأفلام «**شبه التاريخية**» التي سادت خلال الثلاثينيات والأربعينيات، والتي حاولت إيطاليا في بداية الخمسينيات أن تحاكيها في معركة تجارية بحتة لكسب سوق السينما العالمية (**وقد كسبت هوليوود المعركة بينما خسرت ايطاليا أفلامها الواقعية الجديدة**). وقد يصيب هذا النوع من الافلام قطاعاً من جمهور السينما المصرية بالانبهار، ليس بسبب تفوق فيلم «المصير»، وإنما لأن هذا الجمهور اعتاد إلى حد السأم على سينما لا تبذل في الأغلب الأعم جهدا كبيرا في تنفيذها، وإن كان الجهد المبذول في «المصير» لايخفي قدراً لا يستهان به من خفة المعالجة، وقصور الرؤية.

ولعل هذا الشعور بخفة المعالجة يأتي من **أن يوسف شاهين لم** يدقق كثيرا في طبيعة الأرض التي يقف عليها، أو في تفاصيل المادة التاريخية التي جعلها أساسا للصراع الدرامي، مما دفع بالعديد من النقاد والمؤرخين الجادين إلى البحث والكشف عن الأخطاء التاريخية التي احتشد بها فيلمه، وهي الأخطاء التي لا يمكن تبريرها بأنها ناتجة عن حرية الابداع الفني. (في مثال صارخ، سمعت من ابني الشاب خالد تشبيهاً بما فعله يوسف شاهين، بأنه كمن صنع فيلماً يجعل فيه **مصطفى النحاس- مثلا- يوقع اتفاقية كامب ديفيد**، فأنت لا تستطيع أن تقبل ذلك في فيلم يتبنى «الشكل التاريخي» بمعناه الهوليودي، وإن كان يمكن لك أن تتقبله في فيلم يصنع من التاريخ فانتازيا سيريالية).

قد تفهم أن شخصية تاريخية مثل **ابن رشد** تجسد المعاناة الأليمة التي يلقاها المثقف الجاد في رحلته للبحث عن حرية الفكر، لكن جانبا من المشكلة يأتي من **أن المفهوم السائد في الغرب عن ابن رشد ليس إلا مفهوما**

قاصراً . استخدمت فيه«الفلسفة الرشدية» على أنها سلاح إلحادي(!) ضد السلطات الكنيسة واللاهوتية .(ليس غريبا أن يؤمن البعض من أنصاف مثقفينا بهذا المفهوم، حتى أنهم يضفون مزيداً من الشك حول أصول عرقية «يهودية» مزعومة لابن رشد ،مما يجعلهم يرددون المزاعم حول دور ابن رشد في تقويض دعائم الاسلام!!) أما جانب المشكلة الآخر فانه يكمن في أن ابن رشد عند الأغلب الأعم من الجماهير عندنا لا يمثل إلا فكرة غائمة مشوشة، ينضم فيها إلى بعض أسماء الفلاسفة المسلمين التي قد نحفظها عن ظهر قلب . دون أن تعني لنا فهماً حقيقياً للماضي أو الحاضر على السواء.

بين عصر ابن رشد وعصرنا

إن هذا لا يعني أننا نريد أن يأتي فيلم«**المصير**» بحثاً علميا جافا عن ابن رشد ، ليصحح مفاهيم الغربيين أو العرب عن الفقيد القاضي الفيلسوف ، لكن أليس من المثير للدهشة أو الأسف أننا لم نتعاطف مع الفيلسوف أو الرجل ابن رشد إلا لأنه «بطل الفيلم الطيب» بالمعنى الهوليودي ،كما أننا كرهنا الشيخ رياض- غريمه ومنافسه- لأنه يجسد «الشرير» في أفلام هوليود ؟!.

وفي الحقيقة أن هذا التقسيم الدرامي المسطح بين البطل والشرير لم يكن فقط ناتجاً عن ضعف فني في تصوير الشخصيات ، لكنه جاء أيضا نتيجة لقراءة سطحية متعجلة لأحداث التاريخ، فالتدقيق في هذه الأحداث كان من الممكن أن يضفي مصداقية عميقة على شخصيات الفيلم، بحيث يجعلها حية أمامنا من لحم ودم. (لعلنا لا نذهب بعيداً حين نقول إن هوليوود نفسها تقوم بتكليف المتخصصين لكتابة التفاصيل الدقيقة لموضوعات أفلامها ، وحتى أفلام الخيال العلمي تقوم على حقائق علمية خالصة . لكي تجعلنا نصدق هذا «الخيال»).

وقد يقول لك البعض إننا **نخطئ الطريق إلى الفيلم حين نبحث فيه عن ابن رشد وعصره ، بينما الحقيقة انه يدور عن يوسف شاهين وعصرنا** . لكن ألا يبدو ذلك نوعا من الهروب -في أفضل التفسيرات- من أن يوسف شاهين هو الذي اختار ابن رشد وعصره ليكونا تجسيداً دراميا لافكاره؟ وإذا كنا قد رفضنا في«**المهاجر**»أمام وضع بطل الفيلم«**رام**» -وهو شخصية درامية متخيلة ، حتى لو كانت مستوحاة من النبي يوسف- في زمن أخناتون. لكي نقول إن هذا الزمن هو أبعد العصور ملاءمة للدراما التي أرادها يوسف شاهين ومفاهيمه عن الحضارة المصرية القديمة، فاننا نقف أيضا في«المصير» أمام عصر ابن رشد، لنتأمل كيف كان هذا العصر إلى حد كبير عن تجسيد عصرنا الراهن(وبالتالي فان صراعات ابن رشد تبدو منبتة الصلة بصراعات يوسف شاهين!) ، وإن شئت أن تصور ابن رشد وعصره في عمل سينمائي، فليس السؤال المطروح هو التوازي بين عصره وعصرنا، لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه هو «المصير» الذي يمكن أن ننتهي إليه، فاذا كان ابن رشد قد لاقى كل هذا العنت في فترة تاريخية مزدهرة ، فكيف يؤول بنا الحال في زمن يشهد كل هذا الانحدار والانكسار؟.

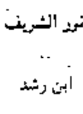
نقول أن **عصر ابن رشد كان يمثل ازدهارا ، لأن دولة الموحدين- التي سادت خلال القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر-كانت تأكيداً على أن الاسلام لا يعرف النزعة العنصرية ، فهي الدولة التي امتزج فيها العرب والبربر في وحدة واحدة لا تنفصم.ولا لأنها الدولة التي استطاعت توحيد الأندلس بعد أن مزقتها «الطوائف»**(يستخدم يوسف شاهين خاطئا مصطلح«الطوائف» في فيلمه بمعنى ديني ذي ملامح سلبية ، لكن الحقيقة أنه مصطلح سياسي يعني الصراعات بين أمراء المدن الاندلسية) ،**ولأنها الدولة التي وقفت بصلابة أمام الزحف الأسباني الشرس، ولأنها الدولة التي فتحت صدرها للفلاسفة والعلماء ، وأتاحت ازدهارا فنيا وفكريا ومناخا مواتياً لحرية التفكير والبحث والاجتهاد** .(هل تجد في ذلك أي تشابه بين عصر ابن رشد وعصرنا ؟!)

من أين نبعت إذن معاناة ابن رشد في نهاية حياته، وهو الذي نعم في ظل الخليفة الأب والخليفة الابن بكل التقدير والاحترام؟ إن ذلك هو الوجه الآخر لحقيقة هذا العصر، والذي لا يمكن أن نفهمه إلا في ضوء الحرب الضروس بين دولة الأندلس من جانب ،وجيوش الأسبان وحلفائهم من جانب آخر، ولأن الجيوش المعادية كانت ترفع شعارات دينية مسيحية، فقد كان من الطبيعي أن يلوذ أهل الأندلس بدورهم بشعارات دينية إسلامية. إنه إذن التطرف الذي يولد تطرفاً مضاداً ، وإذا كان لك أن تفهم جانباً من جوانب التطرف الديني الذي يشهده مجتمعنا اليوم، فانه لا يمكنك أن تتجاهل أنه الرد المضاد على السياسة العنصرية الصهيونية التي ترفع شعارات دينية يهودية، وانه لا يمكنك أيضا أن تنظر إلى«حماس» أو «الجهاد الاسلامي» مثلا -أياً كان الخلاف الايديولوجي معهما في العديد من المنطلقات- نظرة تضعهما في موضع الخيانة أو العمالة ، مثلما فعل فيلم «المصير» الذي يؤكد التآمر الشرير بين المتطرفين والأعداء!.

حضارة «الغجر» وغوغائية الجماهير

إن شئت الحقيقة، فإن نظرة **يوسف شاهين** إلى الواقع وإلى التاريخ على السواء، كما تبدو في فيلم«**المصير**» ليست فقط نظرة مغرقة في الذاتية، والافكار الجاهزة ، لكنها أيضا **نظرة استعلائية ، لا تخلو من مسحة استشراقية** ، وربما تجلى ذلك على نحو واضح في تلك الطريقة السطحية التي خلط فيها بين الصورة الاعلامية النمطية عن المتطرفين (المتجهمين ، الذين يميلون إلى البلاهة ، ويملؤهم الشر والحقد والخبث ، ويرتدون الثياب السوداء الكئيبة) ، وبين الشكل الشعبي للطقوس الدينية . في أحد أكثر مشاهد فيلم«**المصير**» تعقيداً وإبهاراً. يتحدث «إرهابي تائب»- وعذراً لاستخدام مصطلحات الاعلام الرسمي، فهذا هو ما يصوره الفيلم- عن الطريقة التي يتبعها المتطرفون لاستلاب إرادة جماهير الشباب. إن الكاميرا تتحرك من وجه الشاب إلى نافذة تظهر فيها بيوت المدينة في الليل وقد أضيئت نوافذها فبدت كأنها جبل له ألف عين لتتحرك الكاميرا بعد ذلك- بطريقة العرض السريع- في سرداب طويل يظل يلتف على نفسه في تعرجات وانحناءات شديدة ، وعلى شريط الصوت نسمع كلمات تغني في ترانيم تشبه الذكر الديني :«ملعونة تلك الحياة» ،وهي نفس الترانيم التي سبق لك أن شاهدتها وسمعتها في مشهد تعبيري سابق يصور المتطرفين وهم يمارسون الذكر الديني حول شجرة جرداء ونار موقدة، وكأنهم ينخرطون في طقس وثني غريب!.

قد تبدو تلك الصورة السينمائية مبهرة، لكن الحقيقة أنها تحتشد بالكثير من المغالطة أو سوء الفهم ، قد يستدعيان إلى الذاكرة فيلم«**الوداع بونابرت**» ومشهد الذكر الديني لعلماء الازهر، الذي يعكس فهم **يوسف شاهين** لدور المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية ، تماما كما يعكس فهم **يوسف شاهين** في«**المهاجر**» للحضارة المصرية القديمة على أنها «حضارة موت» ،وتصوره أن العامة كانوا ثائرين لحرمانهم من التحنيط الذي يضمن لهم الخلود في حياة أخرى، فان ذلك يعكس جهلا حقيقياً بطبيعة الديانة الشعبية للشعب المصري(والذي كانت له دائما تفسيراته التي تختلف عن الصورة الرسمية



نور الشريف

ابن رشد

للدين) . فالبعث فى الديانة الشعبية فى مصر القديمة لم يكن مرتبطاً بالتحنيط، ولكن بعث الديانة الأوزيرية المرتبط بدورة الحياة الدائمة (أين ذلك من «فلسفة الموت» التى يتصورها يوسف شاهين؟!). مجسدة فى **أوزيريس** الذى ما زلنا نحتفل به حتى اليوم فى «شم النسيم» (الذى لم تكن محض مصادفة أن يقترن بعيد قيامة السيد المسيح) ،وهو الشعب المصرى الذى يحول الدين إلى طقوس ثنية من الرقص والموسيقى ، قد يستعير فيها أحياناً بعضا من ألحان الأغنيات العاطفية الشهيرة ليضع لها كلمات يتحدث فيها عن الحب الدينى المشبوب. إنه الشعب الذى عاش تحت ظل الحكم الفاطمى زمناً ، ورحلت الفاطمية لتتحول فى بلاد أخرى إلى نوع من «عبادات الأسرار» ، بينما لم يبق من الفاطمية عند المصريين إلا قدر أكبر من تذوق العمارة والفن ،ومن حب فطرى للحياة يمكن لك أن ترى جانبا منه فى فانوس **رمضان** وحلاوة المولد! (فحب الحياة إذن ليس قاصرا كما يبدو فى«**المصير**» على قوافل «الغجر» الذين تجسدوا فى رقص **ليلى علوى وغناء محمد منير**!).

إن السؤال الذى ينبغى طرحه هنا ولا يمكن لنا أن نتجاهله هو لماذا إذن يلجأ قطاع لا يستهان به من الشباب إلى التطرف؟!(والحقيقة أن التطرف ليس معادلا للجبل) كما يصوره «المصير» بنفس طريقة استخدام الاعلام الرسمى). بل ربما كان السؤال الأكثر أهمية تلك النظرة النخبوية التى يرى بها **يوسف شاهين** تلك الكتلة الهائلة الغارقة مثل جبل الجليد تحت السطح والتى نطلق عليها «الجماهير» ، والتى نراها فى بداية الفيلم تهتف بحياة الخليفة **المنصور** فى هيستيرية كاريكاتورية، لا يعاد لها إلا هتافها المتشنج فى نهاية الفيلم بهرطقة ابن رشد ومطالبتها بحرق كتبه، فتلك **النظرة الثنائية التى تقسم العالم إلى صفوة أو نخبة تملك** الحكمة وحدها وجماهير من الرعاع والدهماء

تعوق انطلاق هذه النخبة إلى المدنية أو الحضارة. نقول إن هذه النظرة الثنائية تتجاهل أسباب التطرف الذى هو فى جوهره ليس إلا موقفاً من الحياة، قد تختاره عمداً فئات من الصفوة ذاتها لكى تسعى للصراع على الحكم(لا فرق فى ذلك إن كان تطرفا دينيا أم غير دينى) .لكن الأغلب الأعم من الناس تختاره كرهاً لأن الواقع المتداعى لا يحقق لها طموحاتها الخاصة أو العامة. (وقد نرى أيضا أن نشير إلى أن التطرف يصبح أحياناً هو الاختيار الوحيد اذا ما كانت الحياة فى خطر داهم قائم، فأى قيمة عندئذ تبقى للخوف من الموت، ولننظر إلى الحركات الفدائية ضد الاحتلال والإذلال).

لهذا نرى أن محاولة زرع فكرة التطرف فى السياق التاريخي لعصر ابن رشد كان تحريفاً وتشويهاً لما أراده **يوسف شاهين** من إسقاط الماضى على الحاضر المعاصر، فما أبعد الليلة عن البارحة، فالصراع بين علماء الدين الأشاعرة من جانب، والفلاسفة من جانب آخر لم يكن فى جوهره تطرفاً بقدر ما كان دليلاً على سياق يؤمن بحرية الفكر، وهذا السياق لا يخلق تطرفاً، بينما التطرف الراهن وليد عوامل عديدة ليس بينها وبين عصر ابن رشد أدنى صلة.. **فليست السلطة اليوم مشغولة حقاً بأية معركة وطنية حقيقية أو انجاز مشروع قومى أصيل** (وإن كانت مشغولة أحياناً بمطاردة الفكر ومصادرته)، ولا «الصفوة» -إن جاز التعبير- تؤدى فى الأغلب الأعم من ابنائها دورها الثقافى المنشود فى زرع بذور «التنوير» (وإن كانت تساهم أحيانا فى الايهام بنوع من «التنوير الحكومى»)، ولا معظم الفنانين يقدمون إبداعاً حقيقياً يوازى الضجيج والصخب الذى يتحدثون به عن حرية الابداع. عندئذ لا تنتظر إلا أن تخلق تلك الحالة من الفوضى، الضاربة جذورها فى السياق الراهن، نوعاً من التطرف الفطرى لدى الجماهير، التى لا يمكنك أن تلومها على أنها تلوذ ببعض الأسمال الفكرية لأننا لا نقدم لها بديلاً حقيقياً على مستوى الفكر أو الحياة اليومية على السواء. (هل يفسر ذلك نجاح فيلم شديد التواضع مثل «اسماعيلية رايح جاى» أمام فيلم «المصير»؟!).

الأصل والصورة الباهتة

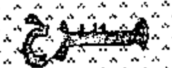
أعرف وأعترف أنك تنتظر فى النهاية رؤية نقدية فنية لفيلم «المصير»، الذى طافت تأملاتنا حوله من بعيد أو قريب. **لكن هذه التأملات قد تلقى الضوء على قصوره الفنى والفكرى، الذى جعله شذرات جميلة لا تصنع كلاً واحداً**. ولننظر إلى المشهد الافتتاحى قبل ظهور العناوين الذى يبدو على درجة هائلة من الاتقان «الحرفى»، حيث يساق أحد الفلاسفة الفرنسيين إلى المحرقة بتهمة ترجمة كتب ابن رشد، فإن يوسف شاهين يقدم مونتاجاً متوازياً شديد البراعة بين وجوه الجماهير المحتشدة فى الساحة «للفرجة» على الحدث المأساوى، والبصق على الرجل «المارق»، ووجوه حجرية منقوشة على جدران القلعة الصخرية، فكأن يوسف شاهين يوازى بين هذه وتلك، أو كأنه يقول لك الجماهير ليست إلا كتلة صماء عاجزة بليدة، ناهيك عن تصويرها خلف النار المتأججة وكأن الفيلم يقول إنها هى التى «تستأهل الحرق».

بل انظر إلى الحبكة الأساسية للفيلم تجدها مقتبسة فى العديد من خطوطها الدرامية عن فيلم «**رجل لكل العصور**» **لفريد زينيمان** المأخوذ عن مسرحية وسيناريو **لروبرت بولت**، والذى يتحدث عن توماس مور فى صراعه مع الملك هنرى الثامن فليست أسرة ابن رشد فى الفيلم إلا أسرة توماس مور: زوجته وابنته (يقول **يوسف شاهين** انه ليس هناك مرجع تاريخي يؤكد أو ينفى أنه كانت لابن رشد ابنة شابة، لكن ها أنت قد عرفت مرجعه)، وليست اللحظات الأسرية الحميمة فى حياة توماس مور التى جعلته يتمسك بأفكاره ومبادئه حتى وهو ينتظر لحظة الاعدام سوى الأصل الذى تحول إلى شبح فى «المصير»، حين بدا أن ابن رشد يخرج من مأساة حرق كتبه بالحديث إلى زوجته عن لحظات سعادتهما الدافئة (ويمكنك أن تفهم لماذا آثار ذلك الحديث سخرية بعض النقاد، ليس بسبب عدم ملاءمته الدرامية، وإنما لأن **يوسف شاهين** بحواره الركيك المتعجل لم يستطع أن يلمس قلوبنا به كما فعل فيلم «رجل لكل العصور»)، بل إن **يوسف شاهين** يجعل ابن رشد يسامح حارقى كتبه كما فعل توماس مور مع جلاديه، كما أن يوسف شاهين أبى إلا أن يستعير أيضا شخصية القاضى الشاب الخائن بدر، حتى بملامح الوجه واللحية الرفيعة المستطيلة من الفيلم البريطانى.

فى الجانب الآخر، يأخذ يوسف شاهين من السينما الأمريكية عالم «الغجر» وأغنياتهم ورقصاتهم ليجعلها معادلاً للفن الذى يقف فى وجه التزمت، وإن كانت الحقيقة أن تلك صورة هوليوودية نمطية مسطحة لحياة «الغجر» الذين انتظروا طويلا حتى قدمت عنهم السينما اليوغوسلافية أفلاماً أصيلة مثل «**قابلت غجراً سعداء**» **لبتروفيتش**، و«**مصير غجرى**» **لكوستاريتسا**، فحياتهم ليست يوتوبيا جميلة إلا فى ذهن لا يرى فى العالم إلا صوراً فولكلورية كاريكاتورية، وإن كان الأهم هو أن يوسف شاهين أراد طوال حياته أن يصنع نوعاً من الكوميديا الموسيقية حتى فى أكثر أفلامه مأساوية مثل «عودة الابن الضال» أو «اليوم السادس». (ولم يكن غريباً أن يهدى هذا الفيلم الأخير **إلى جين كيلى**، بل أن يحاكى فى «**اسكندرية كمان وكمان**» رقصة جين كيلى فى فيلم «**الغناء تحت المطر**»).

ونحن لا نأخذ على يوسف شاهين أبداً طموحه لصنع هذه الكوميديا الموسيقية، ولكن المفارقة هى محاولة التوفيق أو التلفيق بين العديد من الأنماط الفيلمية أو الأساليب السينمائية على نحو يفتقر إلى التماسك والانصهار فى مزيج واحد، وشكل لا يجعله يتردد كثيراً فى أن يستعير من فيلم **إنجمار برجمان** «**الختم السابع**» مشهد لعبة الشطرنج بين ابن رشد والخليفة المنصور، كما يقتبس فى الوقت ذاته ملامح «الكاوبوى» أو «الشجيع» الذى يمتطى صهوة جواده فى قفزة واحدة، وينطلق- بطريقة العرض السريع للشريط- ليأتى بالخوارق والأعاجيب.

هل ينفى ذلك كله أن **يوسف شاهين واحد من أهم فنانينا المعاصرين**؟! على العكس تماماً، فإننا نعيد التأكيد عليه هو أنه بالفعل واحد من هؤلاء، لكنه ليس «وحده» الذى يملك العبقرية التى ينسبها البعض إليه، تماماً كم لم يكن ابن رشد كما بدا فى «المصير» فيلسوفاً وحيداً فى عصره الذى احتشد بالعديد من الاسهامات الفكرية الاصيلة المتصارعة. لكن رؤية يوسف شاهين التى ترى الأشياء على مستوى الشكل والمضمون فى جزئياتها، وتعجز عن أن تصل إلى رؤية الكليات، ليست إلا انعكاسات لسياق راهن من التمزق والتشتت، قد يعجز فيه كل منا وحده عن أن يصنع تلك الرؤية الشاملة، لتبقى انجازاتنا الفردية قفزات دون كيشوتية عشوائية فى الفراغ، واذا كنا ندعو إلى أن يفكر يوسف شاهين مليا فى رؤيته وأسلوبه اللذين يميلان إلى الانتقائية التى تستمد جذورها من نظرة متعالية على الجماهير، فاننا ندعو ونحلم بأن يعود إلى الوجود مشروع قومى بمعناه الأشمل للكلمة، أصيل وناضج، تتكاتف فيه الجهود الفردية وتنصهر معاً، لكى تذوب الفجوة والحفرة بين من يتصورون أنفسهم هم الصفوة والنخبة، وبين الجماهير التى نتركها غائبة ومغيبة فى سياق يشهد «زواج مصلحة» غير شرعى بين السلطة والمال، وذلك المشروع القومى المنشود هو الطريق الوحيد الذى نملك فيه حقاً أن نصنع «المصير».

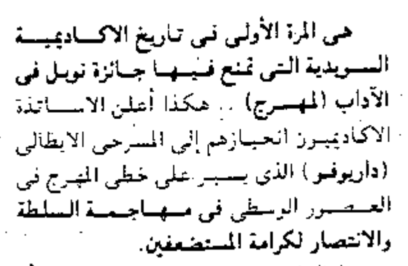




داريوفو

المهرج الحقيقي يفوز بنوبل

عبلة الرويني



هى المرة الأولى فى تاريخ الاكاديمية السويدية التى تمنح فيها جائزة نوبل فى الآداب (المهرج) .. هكذا أعلن الاساتذة الاكاديميون انحيازهم إلى المسرحي الايطالي **(داريوفو)** الذي يسير على خطى المهرج فى العصور الوسطى **فى مهاجمة السلطة والانتصار لكرامة المستضعفين.**

ولعله انقلاب فى تاريخ الاكاديمية أو «شجاعة» بتعبير داريوفو فلم يحدث أن منحت نوبل لممثل، أو اتسع مفهوم الادب ليتجاوز النص المكتوب إلى النص المعروض، وإلى **خصوصية الكاتب كرجل مسرح يؤلف ويمثل ويخرج عروضه المسرحية** .. نص خطاب الجائزة على أن داريوفو هو الوحيد الذي يستحق لقب مهرج بالمعنى الحقيقي حيث **تكمن قوة إبداعه النصي على توافر الاضحاك وإعمال الفكر وإعطاء المنظور التاريخي.. وهذه النصوص كما فى «الكوميديا ديلارتي» مفتوحة دوماً للاضافات والتقطيعات الابداعية مشجعة الممثلين على الارتجال».**

ولعلها شجاعة أخرى فى الانتصار للمستضعفين ومناهضة السلطات.. وهو ما اثار المناقشات الحادة داخل اللجنة، لتعلن الجائزة بأقل عدد من الاصوات، فقد استخدم ثلاثة عشر عضواً فقط من ثمانية عشر هم عدد أعضاء اللجنة، حقهم فى التصويت لاختيار الفائز وهو أقل عدد منذ بدأت الجائزة عام ١٩٠١.

وكان من الطبيعي أن يحتج خصوم **داريوفو** من رجال الدين والسياسيين اليمينيين. فقال **جنفرانكوفين** زعيم تحالف الفاشيين القدامى(إنه شئ مخجل أن يكون داريوفو على الأرض) بينما عبرت جريدة الفاتيكان عن اندهاشها لإعطاء أهم جائزة أدبية عالمية لاستاذ الكوميديا الفجة ذي الواحد والسبعين عاما.. فهذا أبعد عن الخيال!.

أما الفرحة الحقيقية فيمكن أن نستمع إلى صداها خارج المؤسسات.

حرب الكنيسة ونضالات الفرقة:

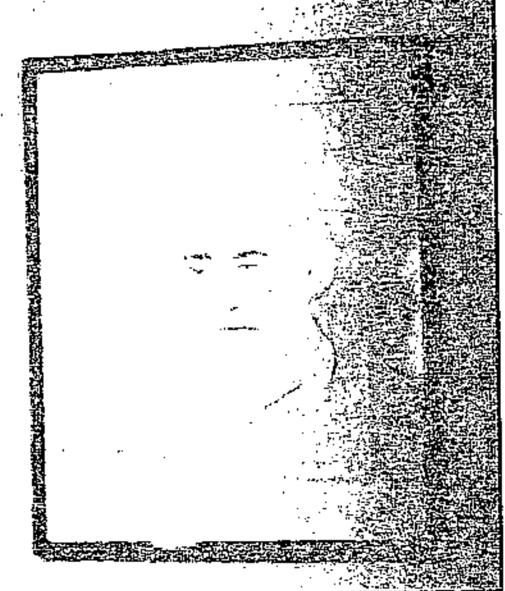
منذ عروضه الاولى(الاصبع فى العين)،(أصحاء مجانين)١٩٥٣ أعلنت الكنيسة الكاثوليكية الحرب على **داريوفو** من خلال إعلانات علقت على أبواب الكنائس بتحريم العروض.. وأصدر البابا نفسه حكماً على مسرحية**(الأسرار الكوميدية)**بأنها تدنس المشاعر الدينية الايطالية.. كما اصدر رجال الدين الذين يسيطرون على الكثير من المسارح حكماً بعدم مشاهدة مسرحيات فو ومنعها من العرض على هذه المسارح لمدة عشرين عاما(١٩٦٦-١٩٨٦)..

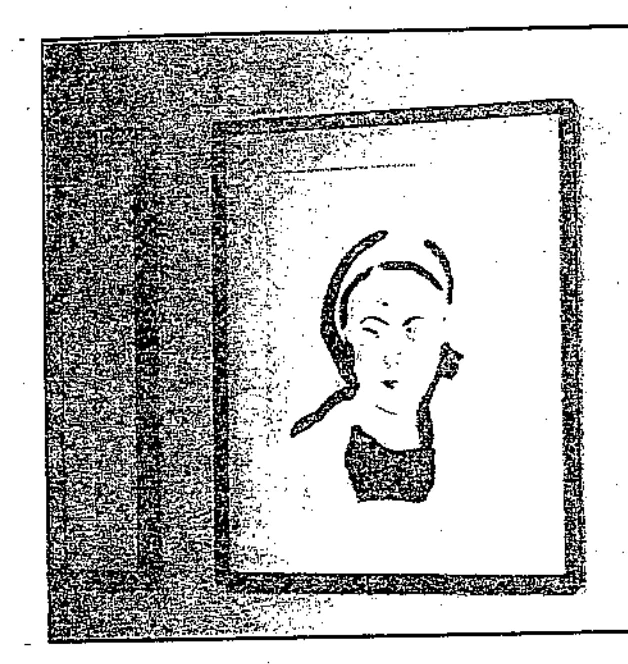
رفض **داريوفو** أن يكون مهرجاً للبرجوازية. واضعاً نفسه وفرقته المسرحية فى خدمة الحركة العمالية والطلابية بهدف تغيير جذري فى السياسة الايطالية .. انتهى جدل الفرقة التى أسسها فو مع زوجته الممثلة والكاتبة **(فرانكا رامى)** إلى انهم ممثلون يساريون **لا يكفيهم أن يكونوا على اليسار أو على أقصى اليسار الثوري ولكنهم يطمحون إلى أن يكونوا مناضلين يعرفون تماما جمهورهم .. يقدمون عروضهم إليه فى الورش والمصانع والمعامل والميادين والاندية والنقابات العمالية.** هكذا أعلنت الفرقة المسرحية الجديدة ١٩٥٩ استقلالها عن المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وباشرت عملها دون مدير للفرقة ودون رواتب ثابتة ودون برنامج محدد فكل شئ يتبع النضال والسير العام للمجموعة.. وتعمق النقد السياسي الذي عرفته ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية من خلال عروض**(العامل يعرف ٢٠٠ كلمة)**،**(معجزة ساهرة)** **(انى امنطق واغنى رقم٢)**،**(ايزابيلا وثلاثة مراكب ومحتال)**..وفى موسم ١٩٧٠ قدم **(اريد أن اموت حتى الليلة لو أكتشفت الا فائدة)** وهو نص عن المقاومة الايطالية والمقاومة الفلسطينية، ثم قدم نصه الاشهر(**موت فوضوي صدفة**) ثم**(الكل متحدون ولكن لا تؤاخذني)**،**(البانتومايم العظيم)**،**(لا تهتم سوى بالمنزل والسرير والكنيسة)** **(البابا والساحرة)**،**(يوهان بادانو يكتشف أمريكا)**.

إتلاف النص

يعتمد **داريوفو** فى تقديم قضاياه الواقعية على الفرجة المباشرة حتى ولو كانت فجة، ثم يقوم بتعميقها وصقلها وتوضيح نقاطها الحساسة تدريجيا من خلال العمل والتمثيل والنقاشات المستمرة بعد العرض.

ان مسرحياته الراهنة كما يقول هى:«**مسرحيات للحرق لا تصلح الا لفترة وجيزة ويمكن أتلافها**»فالممثلون يضيفون إلى النص يوما بعد آخر.. وإلى حد كبير يتقلص استخدام الحوار، لانه يتضاد مع مفهومه لمسرح شعبي .. وتتكون النصوص من مجموعة من المشاهد المتداخلة والمترابطة التى يؤدي فيها الممثل عدة أدوار ويقدم الشخصيات الشديدة الاختلاف والتناقض.. ففي مسرحية**(حرب الشعب فى الشيلي)** تقدم**(فرانكارامى)** دورين متناقضين الأول هو تشخيص رمزي للحزب الديمقراطي المسيحي الشيلي أو لشبيهه الايطالي، والثاني تمثيل لدور امرأة عجوز من ميلانو تناضل ضد بقايا الفاشية.. وعندما يتحدث **داريوفو** عن شيلي أو عن القضية الفلسطينية .. فهو لا يتناولها كقضايا خارجية عن الواقع الايطالي.. انه يتحدث عن ايطاليا تحديدا وعن كل الثورات المجهضة المخنوقة.. ودائما ما يستخدم منهجية **(الجراميلوت)** وهى لغة هزلية تتكون من أصوات لا معنى لها ممزوجة بلهجات محلية. يعتمد التمثيل فيها على الايماءات والموسيقى.





ماريا لاسنج

الدوكومنتا وإسرائيل ومحاولات التذاكى الثقافى

استعرضنا فى العددين السابقين كيف أن مافيا الفن التشكيلى قد تجسد وجودها فى «**الدوكومنتا** » هذه الدورة وهو المعرض العالمى الهام الذى يقام بمدينة كاسل بألمانيا كل خمسة أعوام منذ إنشائها عام ١٩٥٤ وحتى الآن.

قدمنا ترجمة لمقدمة الناقدة كاترين **دافيد**، نستخلص منها ما يخص منهج المعرض، الرؤى الجديدة أو المستحدثة فى القضايا المثارة.

فى تلك الدورة بصفة خاصة **كان هناك تعارض شديد بين وجهات النظر حول المعرض، يصل فى معظم الأحيان إلى التطرف فى كلا الاتجاهين سواء بالرفض أو القبول هذا من جانب الفنانين والنقاد والزائرين** . فقد اعتادت الدوكومنتا منذ إنشائها وحتى الآن . أن تكون انعكاساً لما يحدث فى العالم من ممارسات فنية معاصرة . وهذا فى حقيقة الأمر ما أضفى على هذا الحدث أهمية جعلته مزارا ثقافيا وأيضا سياحيا فى جانبه الإيجابى.

ولا نعلم لماذا تعتقد كاترين دافيد أن هذا مما يؤخذ على المعرض. إن استهجان **كاترين دافيد** هذا يحمل فى مضمونه شبهة «**الغواية البصرية**» لما يقدمه المعرض فى العشرين عاماً الماضية . قد نتفق مع **كاترين دافيد** أن هناك كاوس ثقافى فى **الواقع الفنى العالمى الآن**، وهذا أمر طبيعى باعتباره أحد أشكال «العولمة» على أثر تغيير خريطة الفن من «الأوربة» إلى «**الأمركة**» وهى فى الواقع ليست أمركة وإنما هى القبول بالتعددية وبالعرقيات.

إن تغليب «**العاطفة**» **عند كاترين** -وهى الناقدة الأوروبية- جعلها تغفل دورها كناقدة فى البحث فى حقيقة التقلبات التى تحدث الآن على المنتج الفنى وتظل منحصرة داخل قوقعة «الفن الغربى» باعتباره الأصالة العالمية..**جعل هذا العصاب كاترين تتجنب أن تصبح الدوكومنتا لافتة تشير إلى زحزحة أو حراك المركز الفنى إلى أى موقع غير أوروبى** .

ما هى القضايا الكبرى التى طرحتها **كاترين دافيد**؟

لا نستطيع أن ندعى فى إطار رؤية هذا المعرض أن كاترين **دافيد** قد أثارت قضايا مستحدثة ، وبصرف النظر عن الاستحداث ، الذى قد يتراوح بين القيمة والاستدراض فقد تكون ثمة قضايا ملحة فى الوقت الحاضر ، أهم فى تناولها من موضوع الاستحداث ذاته. ولا نكون مغالين إذا قلنا **إن كاترين لم تعرض قضايا كبرى ،وهى القضايا التى توقعنا إثارتها على ضوء الممارسات المستحدثة أو المعاصرة ، وإنما استعرضت قدراتها الذهنية** كمنهج فكر وأداة تخليق لوصايات جديدة

فاطمة إسماعيل

على مقولات الفن.

فهي تدعو لمنهج تأملي في إعادة قراءة إبداعات الستينات من هذا القرن ، وتضع شروط القراءة الجديدة وهي إعادة قراءة المنتج الإبداعي الذي يحقق الطلب السياسي والاجتماعي والمدني، في تلك الفترة ووصلها مع ما يحدث الآن أيضا في هذا الاطار.. **ويتضمن ذلك حق مصادرة القيمة الجمالية سعياً وراء تلك الدلالات المعاصرة.**

الفترة التي تركز عليها **كاترين** وتحقق هذه الشروط هي **فن ما بعد الحرب** « Past World war-Art فتعيد قراءة **جيرارد ريختر وبوستليتو وريتشارد هاملتون** ،وتعطينا نموذجا للتحولات التي لحقت بأشكال الفن التقليدية في هذا الزمن، مثل نقدها لبدائية الرؤية وهو ما يتمثل في طريقة عرضها لأعمال الفنان الألماني**جيرارد ريختر** حيث تعرض له أكثر من ثمانمائة عمل صغيرة الحجم ومتلاصقة ومتكررة وتعرض موضوعات متنوعة من خلال الفوتوغرافي مما يستحيل معها الرؤية المتأملة.

إلى جانب نقد بدائية الرؤية ، استهجان الغرابات الشكلية واللغوية للأعمال ثلاثية الأبعاد ، كسر زوايا الرؤية التقليدية ، وعلاقات المركز بالمحيط كذلك، التركيز على فن العمارة الذي أضفى بعداً جديداً في تحويلاته الشعرية للحداثة الاختزالية مثل أعمال الفنان الألماني **هانز هاك**.

في هذا السياق ركزت **كاترين** على فن الستينيات والاشكال الفنية المعاصرة المرتبطة بشكل أو آخر بفن ما بعد الحرب.

نعود إلى إحدي القضايا الاساسية التي ترى **كاترين دافيد** أن الدوكومنتا مناسبة يجب استثمارها في إثارة تلك القضية وهي قضية **إسرائيل** ولكن تعرضها من وجهة نظر جديدة .

فاضطهاد النازي لليهود أثناء الحرب ما زال ورقة رابحة ونموذجاً صارخاً للضغط على الضمير الأوروبي واستخدام أشكال فن معاصره لفنانين اسرائيليين بمسكون القضية الأساسية في أعمالهم لخلق وهم ما بتوحيد القضية بين يهود النازي وصهيونيي إسرائيل في فلسطين الآن.

يؤكد وجهة نظرنا هذه اكتشاف هذا «الدس» في ايجاد علاقة الربط تلك وما جاء في حوار المفكر السياسي الفلسطيني **إدوارد سعيد** في اليوم الأول للحوارات بالدوكومنتا ٢١ يونيو ٩٧حين ناقش أحد الفنانين الاسرائيليين إدوارد سعيد طالبا منه أن يكون عادلا في رأيه بشأن ضرورة إقامة مستوطنات لليهود بفلسطين ، بعد اضطهادهم بأوروبا.. ووجودهم كضحايا فيها



عمل فني من الاعمال التي عرضت بمحطة
كولتر بان هوف- كاسل- المانيا

.. وكان تعليق **ادوارد سعيد** .. لماذا لا تكون أنت عادلا وتعلم أن الفلسطينيين أنفسهم قد تحولو إلى ضحايا للضحايا ، من يدفع الثمن .. ولماذا..؟.

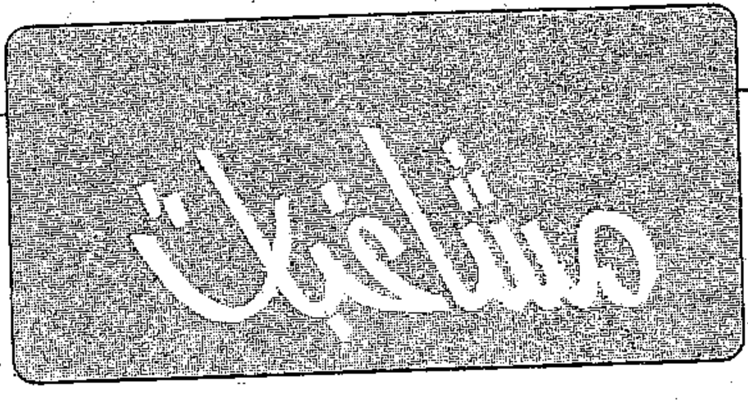
هذا الحوار في اليوم الأول للدوكومنتا ، يجعل زعمنا حقيقة ونحن نرى **كاترين دافيد** تبتلع الحقيقة وتقدم خمسة فنانين اسرائيليين ، من بينهم هذا العمل الردئ فنيا **لدافيدريب** والذي يكتب فيه-let us have anot her war دعونا نمارس حرباً ثانية.. وهو يبتز الضمير الأوروبي في أحد المعاني ويغسل يديه أمام العالم من فاشيته في فلسطين.

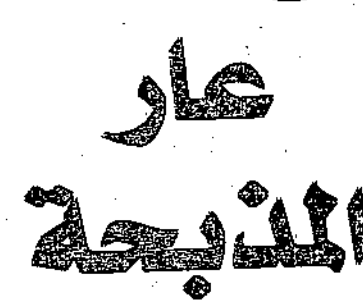
نعتقد أن عصاب كاترين دافيد الذي حاولت تغليفه في إطار فني وثقافي رفيع، كان مظهراً خارجياً ساذجاً لا معنى له أمام النموذج «الخردواتي» الذي قدمته ليخدم القضية الاسرائيلية، في إطار التذاكي الثقافي الذي ادعته في ثورتها على أشكال الاحتفالية التذكارية لمعارض الدوكومنتا في العشرين عاماً الأخيرة.

بالنسبة لربط الحدث «**الدوكومنتا**» بالمدينة فنعتقد أن **كاترين** كانت موفقة بدرجة كبيرة في استغلال المدينة بكامل طاقاتها، ..العمارة ..الشارع.. فعدم اصرارها على(**المكعب الأبيض**) والخروج إلى محطة القطار القديمة (**كولتربان هوف**) والعرض فيما تبقى من مكاتبها التي دكت على أثر الحرب ، وكذلك **عرض البيرفورمانسي الذي عرض على رصيف المحطة وتداخل مع المسافرين هو أحد الأعمال الهامة في المعرض**.. أيضا عرض الفيديو الذي قدم بالنفق المهجور والذي يستخدم كممر بين **الاورانجيري** ومتحف **فردريتشيانو** ورغم أن العرض ذو مستوى ردئ إلا أن فكرة استغلال النفق هي المثيرة في الموضوع فهي تعكس خللا في استكمال المشروع الاقتصادي واخفاقه أحيانا أمام الكساد الذي تعانيه مدينة كاسل والاستدلال على ذلك بمقارنة وضع وعلاقة مدينة **كاسل** مع ما يحيطها من خلال الأعمال الفنية المقدمة.

إن أهم ما طرحته كاترين في المشاهدة هو الخروج عن مبدأ الرؤية المعتادة التي تعتمد على التأمل ، إلى التحول السريع عبر الأعمال والتقاط الحالة بصرف النظر عن تفاصيلها.

تقف **كاترين** موقفا عنصريا أمام «العولمة» وتعرفها بأنها الثقافات غير الغربية **أما بالنسبة لنا كدول عربية أو اسلامية أو افريقية فاننا أصحاب «الغرابة الجديدة» في الفن.**





عار المذبحة

المناخ النفسي الذي يسود الشارع المصري في أعقاب مذبحة الأقصر، هو أقل الأجواء ملاءمة للحديث عن الحوار مع الجماعات المتطرفة والارهابية أو لاستئناف المناقشة . حول «مبادرة طرة لوقف العنف» التي أعلنها قادة الجماعة الاسلامية المسجونون بليمان طرة، في يوليو الماضي، فقدت استفزت المذبحة الجميع، وأكثر من أية عملية سابقة ، فقد دعمت المذبحة- داخليا- الاتجاه الذي يطالب بتوسيع نطاق العنف المضاد، ويدعو الدولة لاستخدام عصاها الغليظة . ليس في مواجهة المتطرفين والارهابيين فحسب ، بل وفي مواجهة الاسلاميين المعتدلين بما في ذلك الاحزاب الشرعية التي ترفع شعارات إسلامية ،كحزب العمل. ويتطرف في ذلك إلى الحد الذي يدعو فيه لعدم التقيد بأي قانون أو الالتزام بأية قواعد ديمقراطية، بل ووصل الأمر إلى حد مطالبة الدولة باغتيال الذين يخططون لهذه العمليات من قيادات الخارج، ونقل ساحة المواجهة إلى حيث يقيمون.

كما دعمت- خارجيا- الاتجاه الذي يطالب الدول الأوروبية التي منحت حق اللجوء السياسي لبعض هؤلاء بطردهم من بلادها، وأعلن وزير الداخلية البريطاني «جاك سترو» أنه بسبيله لاعداد قانون جديد، يجرم التآمر من داخل بريطانيا على ارتكاب أعمال إرهابية خارجها..

وتكشف البيانات التي صدرت تفسيرا للمذبحة ، سواء تلك التي عثر عليها في جيوب المنفذين بعد قتلهم، أو التي أرسلت إلى أجهزة الإعلام العالمية في أعقابها. عن حالة من الاضطراب السياسي والتفكك التنظيمي والتشرذم العقلي، تقف خلفها. فقد أسرع المقيمون في الخارج من قادة الفصائل إلى تفكك إليها التنظيمات الأساسيان اللذان يخططان لتلك العمليات - وهما تنظيما «الجهاد» و«الجماعة الاسلامية»- إلى محاولة استثمار العملية سياسياً، وتحكيرها لصالحهم. وتناقض بيانات الجماعتين في نسبة الموقف إلى كل منهما، ما يكشف عن كذب أحدهما على الأقل أو على كذب الاثنين. إذ الغالب من ملابسات العملية، ومن تحليل البيان الذي عثر عليه في موقع المذبحة ، أن الذين قاموا بتنفيذها ، هم أحد الجيوب الباقية من فلول الجماعة الاسلامية ، التي يقوم تكتيكها على استغلال الثغرات الأمنية للقيام بعمليات عنف عشوائية بين الحين والآخر . لا تستهدف -كما جاء في بيان المنفذين، وفي الشعارات التي كانوا يعصبون بها رؤوسهم - سوى الثأر والانتقام والتخريب والدمار.. وتخلو من أي مطالب أو أهداف سياسية.

وطريقة الذي جاء ليكحلها فأعماها . فقد حاولت بيانات وتصريحات قيادات الخارج، أن تضفي على العملية ثوباً سياسياً . فجاء مبتذلاً، ونضح بالكذب كما نضح بذلك التسابق على سرقة عار القتيل.. إذ جاء تبرير العملية بعبية النظام المصري للسياسة الأمريكية وبعلاقاته مع اسرائيل ، على عكس الانطباع السائد لدى المصريين والعرب، وفي مرحلة تسترد فيها السياسة المصرية الخارجية استقلالها النسبي تجاه الطرفين، وفي قضايا عربية واسلامية بالغة الحساسية لعبت خلالها مصر دوراً اقليميا ودولياً نشطاً.

والأهم من ذلك أن الثياب الوطنية التي حاولت قيادات الخارج أن تستر بها عار مذبحة الأقصر، جاءت متناقضة مع الأساس الذي استندت إليه القيادات التاريخية للجماعة الاسلامية، التي صدرت عنها مبادرة طرة لوقف العنف، انطلاقاً من رغبتها في العمل المشترك بين كل القوى الوطنية ، في مواجهة التعنت الاسرائيلي الأمريكي!.

وقد وصل العمى السياسي بقيادات الارهاب المقيمة في الخارج إلى الحد الذي تصورت معه، أن الثياب الوطنية الشفافة ، التي ألبستها على مذبحة الأقصر ، قد سترت عارها، وأن الأوان قد آن لتقبض ثمن إنجازها الوطني العظيم فاشترطت لوقف عملياتها التي لم تتم بها في الواقع شروطا مضحكة. لا تبدأ بطرد السفير الاسرائيلي في مصر، ولا تنتهي بالافراج عن الشيخ عمر عبد الرحمن، ولو أنها تملك أي قدر من البصيرة السياسية لادركت أن الاتهام بالعمالة لأمريكا واسرائيل، يحيق بالذين نفذوا العملية، وليس بالحكومة التي كانت هدفا لها، وأن الانطباع السائد لدى الرأي العام المصري والعربي، بل ولدى أقسام مهمة من التيار الإسلامي نفسه، هو أن العملية تستهدف الثأر من هذه الحكومة ليس لعمالتها لامريكا واسرائيل، ولكن لمحاولتها مواجهة ضغوطهما عليها..

ولو كان الاسلام هو ما يعني الذين قاموا بهذه المذبحة، وتسابقوا لتبريرها. لما قتلوا الأطفال والشيوخ ومثلوا بجثثهم على نحو يسيء للإسلام ، ويعرض ملايين المسلمين، الذين يقيمون في البلاد التي ينتمي إليها الضحايا، لإخطار لا أول لها ولا آخر.

ولو كان استقلال الوطن وتحرره من التبعية هو ما يعنيهم لما اضعفوا قدرة الاقتصاد المصري ، بما يجعله في حاجة إلى معونات الآخرين. ويضطره لتقبل ضغوطهم.

ولو كانت الديمقراطية تعنيهم، لما أعطوا بما يفعلون ذريعة للذين يطالبون بالتعامل معهم بنفس القوانين التي طبقوها في مذبحة الاقصر.

ولو كانوا جادين في مبادرة وقف العنف.. فليتوقفوا عنه بلا قيد ولا شرط.. وليعلنوا الاسانيد الشرعية التي تدين العنف .. قبل أي حوار..!.

ولو كانوا يتوهمون ، أنهم يمكن أن يحكموا أي بلد بالعقلية التي تخطط لمثل هذه العمليات ، نحن لا نملك إلا أن نقول لهم: عشم إبليس في الجنة!.

صلاح عيسى